شعر إبراهيم ناجي

الأعمال الكاملة



شعر إبراهيم ناجي

شعر إبراهيم ناجي

الأعمال الكاملة

تأليف
إبراهيم ناجي



شعر إبراهيم ناجي

إبراهيم ناجي

رقم إيداع ٢٠١٢/١٧٦٠٦
تدمك: ٠ ٠٤٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

الغلاف: تصميم سحر عبد الوهاب.

المحتويات

ليالي القاهرة

الإهداء

إلى صديقي ع. م

الذي ندَّى الزهر الذابل من خمائل الماضي، وأنبت في روض الحاضر زهورًا ندية مخضلة بالأمل والحياة ... إليه أقدم ما أوحى به إليَّ ...

إبراهيم ناجي

كلمة

الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة ...
وأشرف منها على الأبد ...
وما وراء الأبد ...
هو الهواء الذي أتنفسه ...
وهو البلسم داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة
هذا هو شعري ...

إبراهيم ناجي

«كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة، ظلامًا متجاوبًا مع قتام في النفوس، وحلوكةٍ تجثم على الصدور، وقد مرت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صورًا في هذه الملحمة المختلفة الضروب والإيقاع.»

في الظلام

أليلاي ما أبقى الهوى فيّ من رشدِ
فردي على المشتاقِ مهجتَه ردِّي

أينسى تلاقينا وأنت حزينةٌ
ورأسك كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ

أقول وقد وسّدتُه راحتي كما
توسَّد طفلٌ متعبٌ راحة المهدِ ...

تعاليْ إلى صدرٍ رحيبٍ وساعدٍ
حبيبٍ وركنٍ في الهوى غير منهدِّ

بنفسيَ هذا الشعر والخُصَل التي
تهاوت على نحرٍ من العاجِ منقدِّ

ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى
تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خدِّ

وتلك الكروم الدانيات لقاطفٍ
بياض الأماني من عناقيدها الرُّبْدِ

فيا لك عندي من ظلامٍ محبَّبٍ
تألق فيه الفرقُ كالزمن الرغْد

ألا كُلُّ حسْنٍ في البريةِ خادمٌ
لسلطانة العينين والجِيدِ والقدِّ

وكل جمالٍ في الوجود حياله
به ذلةُ الشاكي ومرحمةُ العبدِ

وما راعَ قلبي منك إلا فراشةٌ
من الدمعِ حامتْ فوق عرشٍ من الوردِ

مجنحةٌ صيغتْ من النور والندى
ترفُّ على روضٍ وتهفو إلى وردِ

بها مثل ما بي يا حبيبي وسيِّدي
من الشجَن القتَّال والظمأ المُردي

لقد أقفر المحرابُ من صلواته
فليس به من شاعرٍ ساهرٍ بعدي

وقفنا وقد حان النَّوى أي موقفٍ
نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يُجدي

كأنَّ طيوفَ الرعبِ والبين موشكٌ
ومزدحم الآلامِ والوجدُ في حشدِ

ومضطرمَ الأنفاسِ والضيقُ جاثمٌ
ومشتبك النجوى ومعتنق الأيدي:

مواكب خُرس في جحيم مؤبَّد
بغير رجاءٍ في سلام ولا برد

فـيـا أيـكـة مدَّ الـهـوى مـن ظـلالـهـا   ربيعًا على قلبي وروضًا من السعدِ
تـقـلـصـتِ إلا طـيـفَ حـبٍّ مـحـيِّـرٍ   عـلـى درجٍ خـابـي الـجـوانـب مـسـودِّ
تــردَّدَ واســتــأنــى لــوعــد ومــوثــقٍ   وأدبـرَ مـخـنـوقًـا وقـد غـص بـالـوعـدِ
وأسـلـمـنـي لـلَّـيـل كـالـقـبـرِ بـاردًا   يـهب عـلـى وجـهـي بـه نَـفَـسُ الـلـحـدِ
وأسـلـمـنـي لـلـكـون كـالـوحـش راقـدًا   تمزقني أنيابُه في الدُّجى وحدي
كـأن عـلـى مـصـر ظـلامًـا مـعـلَّـقًـا   بـآخـر مـن خـابـى الـمـقـاديـر مـربـدِّ
ركـودٌ وإبـهـامٌ وصـمـتٌ ووحـشـةٌ   وقد لفها الغيبُ المحجَّبُ في بُردِ
أهـذا الـربـيـعُ الـفـخـمُ والـجـنـةُ الـتـي   أكـاد بـهـا أسـتـافُ رائـحـةَ الـخـلـدِ
تـصـيـرُ إذا جـنَّ الـظـلامُ ولـفـهـا   بجنحٍ من الأحلام والصمتِ ممتدِّ
مـبـاءةَ خـمَّـارٍ وحـانـوتَ بـائـعٍ   شقيٍ الأماني يشتري الرزق بالسهدِ
وقـد وقـف الـمـصـبـاحُ وقـفـة حـارس   رقـيـبٍ عـلـى الأسـرارِ داعٍ إلـى الـجـدِّ
كـأن تـقـيًّـا غـارقًـا فـي عـبـادةٍ   يصوم الدُّجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
فـيـا حـارس الأخـلاق فـي الـحـيِّ نـائـمٌ   قضى يومَه في حومة البؤسِ يستجدي
وسـادتـه الأحـجـارُ والـمـضـجـعُ الـثـرى   ويـفـتـرش الإفـريـزَ فـي الـحـر والـبـردِ
وسـيـارةٌ تـمـضـي لأمـر مـحـجَّـبٍ   مـحـجَّـبـة الأسـتـار خـافـيـة الـقـصـدِ
إلى الهدف المجهولِ تنتهبُ الدجى   وتومض ومْضَ البرق يلمعُ عن بُعدِ
متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ   مـرنَّـقـة بـالـجـوع والـصـبـرِ والـكـدِّ
يـنـقِّـبُ كـلـبٌ فـي الـحـطـام وربـمـا   رعى الليل هرٌّ ساهرٌ وغفا الجندِي
أيـا مـصـرُ مـا فـيـك الـعـشـيَّـةَ سـامـرٌ   ولا فـيـك مـن مـصـغٍ لـشـاعـرك الـفـردِ
أهاجِرتي، طال النوى فارحمي الذي   تـركـتِ بـديـدَ الـشَّـمـلِ مـنـتـثـرَ الـعـقـدِ
فـقـدتـكِ فـقـدانَ الـربـيـعِ وطـيـبـه   وعدتُ إلى الإعياء والسقْم والوجدِ
ولـيـس الـذي ضـيـعـتُ فـيـك بِـهَـيِّـنٍ   ولا أنـتِ فـي الـغـيـاب هـيـنـة الـفـقـدِ

* * *

بـعـيـنـيك أسـتـهـدي فـكـيـف تـركـتـنـي   بهذا الظلام المطْبق الجهْم أستهدي
بـورْدِكِ أسـتـسـقـي فـكـيـف تـركـتـنـي   لهذي الفيافي الصمِّ والكُثْب الجردِ
بـحـبـكِ أسـتـشـفـي فـكـيـف تـركـتـنـي   ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
وهذي المنايا الحمْر ترقص في دمي   وهذي المنايا البيض تختال في فودي

وكنت إذا شاكيت خففْت محملي ... فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ
وكنتُ إذا انهار البناءُ رفعتُهُ ... فلم تكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّي
وكنت إذا ناديتُ لبَّيْتِ صرختي ... فوا أسفًا كم بيننا اليوم من سدِّ!
سلامٌ على عينيك ماذا أجنتا ... من اللطف والتحنان والعطف والوُدِّ؟!
إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرعٌ ... فمنكِ الذي يُحيي ومنكِ الذي يُردي
إذا جُرِّدا لم يفتكا عن تعمدٍ ... وإن أُغمدا فالفتك أروعُ في الغمدِ
هنيئًا لقلبي ما صنعتِ ومرحبا ... وأهلًا به إن كان فتكُكِ عن عمدِ
فإني إذا جن الظلامُ وعادني ... هواك فأبديتُ الذي لم أكن أبدي
وملتُ برأسي كابيًا أو مواسيًا ... وعندي من الأشجان والشوقِ ما عندي
أُقبِّلُ في قلبي مكانًا حللتِه ... وجرحًا أُناجيه على القرب والبعدِ
ويا دارَ من أهوى عليكِ تحية ... على أكرم الذكرى على أشرف العهدِ
على الأمسيات الساحرات ومجلسٍ ... كريمِ الهوى عفِّ المآرب والقصدِ
تُنادِمُنا فيه تباريحُ معشرٍ ... على الدم والأشواك ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوْا ... فقد نقشوا الأسماءَ في الحجَرِ الصلدِ
وماذا عليهم إن بكوا أو تَعذبوا ... فإن دموعَ البؤسِ من ثمنِ المجدِ

أنوار

طابت بكِ الأيامُ وا فرحتاهْ … أنتِ الأماني والغنى والحياهْ

فليذهبِ الليلُ غفرْنا لهُ … ما دام هذا الصبح عقبى دجاهْ

يا من غَفَتْ والفجرُ من دارِها … شعشعَ في الآفاق أبهى سناهْ

قد طرق البابَ فتًى متعبٌ … طال به السير وكلَّت خطاهْ

نقَّل في الأيام أقدامَهُ … يبغي خيالًا ماثلًا في مُناهْ

عندك قد حطَّ رحال المنى … وفي حمى حسنِك ألقى عصاهْ

كم هدأ الليلُ وران الكرى … إلا أخا سُهْدٍ يغنِّي شجاهْ!

ناداك من أقصى الربى فاسمعيْ … لمن على طول الليالي نداهْ

نادى أليفًا نام عن شجوهِ … عذبٌ تجنيه عزيزٌ جناهْ

أحبَّكِ الحبُّ وغنّى بهِ … عف الأماني والهوى والشفاهْ

وإنما الحبُّ حديثُ العلى … أنشودة الخلدِ ونحنُ الرواهْ

أحلام سوداء

رُبَّ ليلٍ قد صفا الأفْقُ بهِ   وبما قد أبدعَ اللهُ ازدهرْ
وسرى فيه نسيم عَبِقٌ   فكأن الليلَ بُسْتَانٌ عَطِرْ
قلتُ: يا رب لمن جمَّلتَه   ولمن هذي الثرياتُ الغررْ ...؟
فعرا الأفْقَ قَتامٌ وبَدَتْ   سحبٌ تحبو إلى وجهِ القمرْ
كلما تقْرب تمتد لهُ   كأكفٍّ شرهاتٍ تنتظر
صِحْتُ بالبدر: تنبَّهْ للنذرْ   أدركِ الهالةَ حفت بالخطرْ
لا تُبحْ مائدة النور لهم   لا تُبحْها لسوادٍ معتكرْ
قهقه الرعدُ ودوَّى ساخرًا   فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكرْ
قمتُ مذعورًا وهمَّت قَبضتي ...   ثم مدَّت، ثم ردَّت من خَوَرْ
لهف القلب على الحسن إذا   قهقه الغربانُ والذِّئبُ سخِرْ
تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإن   كثر القطَّافُ لم تغنِ الإبرْ
آهِ من غصنٍ غنيٍّ بالجنى   ومِن الطامع في ذاك الثمرْ
آه من شكٍّ ومن حب ومن   هاجساتٍ وظنونٍ وحذرْ
كست الأفقَ سوادًا لم يكن   غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوق الفكَرْ
طالما قُلْت لقلبي كلما   أنَّ في جنبي أنينَ المحتضَرْ
إن تكن خانتْ وعقَّت حبَّنا   فأضِفْها للجراحاتِ الأُخَرْ

الميعاد الضائع

في ليلة من ليالي القاهرة العصيبة، وقفت تنتظره، ولكن حال بينهما القدر، وأقبل هو بعد ذهابها، فتخيل فزعها، ووحدتها، وحاجتها إليه، فجاءت هذه القصيدة عرضًا لتلك الخواطر.

يا مَن طواها الليلُ في بَيْدائهِ   روحًا مفزَّعة على ظلمائهِ
تتلفتين إليَّ في أنحائهِ   لهْفَ الفؤاد على الشريد التائهِ

* * *

إن تظمئي لي كم ظمئتُ إليكِ!   جمع الوفاءُ شقيةً وشقيًّا
يا منيتي قست الحياة عليك   وجرت مقادرها الجسام عليًّا

* * *

أسفًا عليكِ وأنت روحٌ حائرٌ   والكونُ أسرارٌ يضيق بها الحجى
تجتاز عابرة ويسرع عابر   وتمر أشباح يواريها الدجى

* * *

في وجنتيك توهج وضرام   وبمقلتيك مدامعٌ وذهولُ
وكذا تمرُّ بمثلكِ الأيامُ   مجهولةً وعذابُها مجهولُ

* * *

ولَّيتِ قبل لقائنا يا جَنَّتي   لم تظفري مني بقول مسعدِ
وكعادةِ الحظِّ الشقيِّ وعادتي   أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ

* * *

تتعاقبُ الأقدارُ وهي مسيئةٌ   كم عقَّنا ليلٌ وخان نهار!
وكأنما هذا الفضاء خطيئة   وكأن همسَ نسيمِه استغفارُ

* * *

وكأنه أحزانُ قومٍ سارُوا   هذي مآتمهم وثَم ظلالُها
عفَتِ القصور وظلت الأسوارُ   كمناحة جمدت وذا تمثالُها

* * *

ران السواد على وجودِ الدُّورِ   وسرى إليَّ نحيبُها والأدمعُ
وكأنني في شاطئٍ مهجورِ   قد فارقتْهُ سفينةٌ لا ترجعُ

* * *

حملتْ لنا أملًا فلما ودَّعتْ   لم يبقَ بعد رحيلها للناظرِ
إلا خيال سعادة قد أقلعتْ   ووداعُ أحبابٍ ودمعُ مسافرْ

اثنان في سيارة

العـمـرُ أكـثـرهُ سـدى وأقـلُّـهُ ... صـفـوٌ يـتـاحُ كـأنـه عُـمْـرَانِ
كم لحظة قصرت ومدت ظلَّها ... بعد الذهاب كدوحة البستانِ!
وتمر في الذكرى خيالُ شبابها ... فـكـأن يـقـظَـتـهـا شـبـابٌ ثـانِ
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي ... كفّـاه فـي كـفَّـيَّ هـاجـعـتـانِ
لكأننا والأرضُ تُطوى تحتَنا ... نجمان في الظلماءِ منفردانِ
لـكـأنـنـا والـريـحُ دونَ مـسـارنـا ... خـطـان فـي الأقـدارِ مـنـطـلـقـان
إنـي الْتَفَتُّ إلى مكانِك بعدما ... خـلَّـيْـتِـهِ فـبـكـيـتُ سـوء مـكـانـي
هل كان ذاك القربُ إلَّا لوعةً ... ونـداء مـسـغـبـةٍ إلـى حـرمـان
حـمَّـى مـقـدرة عـلـى الإنـسـانِ ... تبقى بقاءَ الأرض في الدورانِ
وكأنما هـذِي الـحـيـاة بـنـاسـهـا ... وضجيجها ضرب من الهذيانِ

لقاء في الليل

كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات، وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف.

قـالـت تـعـالَ فـقـلـت لـبـيـكِ   هيـهات أعصِـي أمرَ عينيكِ
أنـا يـا حـبـيـبـة طـائـر الأيـكِ   لـم لا أغـنـي فـي ذراعـيـكِ

* * *

أفـديـكِ مـقـبـلـةً عـلـى جـزعِ   بسطتْ إليَّ يمينَ مرتجفِ
وبـهـا ارتـعـاشـة طـائـر فـزعِ   من قلبها تسري إلى كتفِي

* * *

شحبت كَلَوْنِ المغرب الباكي   وتـألـقـت كـالـنـجـم عـيـنـاهـا
فـتـلـفَّـتَـتْ كـحـبـيـس أشـراكِ   وحكى اضطرابَ الموج نهداها

* * *

وأخـذتُ أُدْفـئ بـردَهـا بـفـمِـي   لـو تـنـفـعـنَّ حـرارة الـقُـبَـلِ
قلتُ اهدئي لِم ثورة الندمِ   كـفَّـاكِ تـرتـجـفـانِ يـا أَمَـلِـي

* * *

وجذبتُها بذراعِها نمشي نمشي وما ندري لنا غرضا
إلفان قد فرَّا من العشِّ يتبادلان سعادة ورضا

* * *

يا لحظةً ما كان أسعدَها وهناءةً ما كان أعظمَها
مَرَّ الغريب فباعدت يدها وخلا الطريق فقربت فمها

* * *

مرت بنا سيارة ومضت فضاحة خطافة النورِ
كشفت لعينيْنا وقد ومضت ظلَّين معتنقين في السورِ

* * *

ضحكتْ لظلينا وقد عجبتْ مما يخال فؤاد مذعورِ
وكأن ضحكتها وقد طربت قطرات ماء فوق بلورِ

* * *

عوَّذتها من شر أمسيةٍ تعيا بها وتضل أبصارُ
وكواكبٌ ليست بمجدية ظلمٌ مكدسةٌ وأحجارُ

* * *

عَثَرَتْ بها فرفعْتُها بيدي جسمًا يكاد يشف في الظلمِ
ويرف مثل الزهر وهْو ندِي ويخف مثل عرائس الحلمِ

* * *

وكأنني مما يسوء خلِي وحياتيَ انجابت حوالكُها
أرمي الطريق بناظريْ رجلِ وأنا لها طفل أضاحكُها

* * *

ملَّكتها الدنيا بما وسعتْ وأنا أهامسها بأسرارِي

وأسـرُّهـا بـحـكـايـة وقـعـتْ ورواية مـن نـسـج أفـكـارِي

* * *

وإذا الطريق يسير منعطفًا وإذا ريـاحٌ تـضـرب الـسـدفَـا
وكـأن مـنـهـا مـنـذرًا هـتـفَـا بـلـغ الـمـسـيـر نـهـايـةً، فـقِـفَـا

* * *

يا تـوأمًـا من صدريَ انتُزعَا يا من دعا قلبي له فسعَى
لـمَ أيـهـا الـداعـي هـواك دعَـا والـدهـر يـأبـى أن نظل معَـا

* * *

انـظـر ذراعـيَّ الـلـذيـن هـمَـا قـد طـوقـاك مـخـافـة الـبـيـنِ
أَقْـسِـمْ بـأنـك عـائـدٌ لـهـمَـا إنـي لـمـمـدودُ الـذراعـيـنِ

ختام الليالي

الليالي! يا ما أمرّ الليالي غيبتْ وجهك الجميل الحبيبَا
أنت قاسٍ معذبٌ ليت أني أستطيع الهجران والتعذيبَا
إن حبي إليك بالصفح سَبّا قٌ وقلبي إليك مهما أصيبَا
يا حبيبي كان اللقاءُ غريبًا وافترقنا فبات كلٌ غريبَا
غير أني أستنجد الدمْعَ لا ألـ ـقى مكان الدموعِ إلا لهيبَا
آه لو ترجع الدموعُ لعيني جف دمعي فلست أَبكي حبيبَا

الأطلال

هذه قصة حب عاثر: التقيا وتحابا، ثم انتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت.

يـا فـؤادي، رحـم الـلـه الـهـوى … كـان صـرحًـا مـن خـيـال فـهـوى
اسـقـنـي واشـرب عـلـى أطـلالـه … وارو عـنـي طـالـمـا الـدمـع روى
كـيـف ذاك الـحـب أمـسـى خـبـرًا … وحـديـثًـا مـن أحـاديـث الـجـوى
وبـسـاطًـا مـن نـدامـى حـلـم … هـم تـواروا أبـدًا وهْـو انـطـوى ...

* * *

يـا ريـاحًـا، لـيـس يـهـدا عـصـفـهـا … نـضـب الـزيـت ومـصـبـاحـي انـطـفـا
وأنـا أقـتـات مـن وهـم عـفـا … وأفـي الـعـمـر لـنـاسٍ مـا وفـى
كـم تـقـلـبـت عـلـى خـنـجـره! … لا الـهـوى مـال ولا الـجـفـن غـفـا
وإذا الـقـلـب عـلـى غـفـرانـه … كـلـمـا غـار بـه الـنـصـل عـفـا
يـا غـرامًـا كـان مـنـي فـي دمـي … قـدرًا كـالـمـوت أوفـى طـعـمـهِ
مـا قـضـيـنـا سـاعـة فـي عـرسـه … وقـضـيـنـا الـعـمـر فـي مـأتـمـهِ
مـا انـتـزاعـي دمـعـة مـن عـيـنـه … واغـتـصـابـي بـسـمـة مـن فـمـهِ
لـيـت شـعـري أيـن مـنـه مـهـربـي … أيـن يـمـضـي هـارب مـن دمـهِ

* * *

لست أنساكِ وقد أغريتني ... بفمٍ عذبِ المناداة رقيق
ويد تمتد نحوي كَيَدٍ ... من خلال الموج مُدَّت لغريق
آه يا قِبلة أقدامي إذا ... شكت الأقدام أشواك الطريق
وبريقًا يظمأ الساري له ... أين في عينيك ذياك البريق
لست أنساك وقد أغريتني ... بالذرى الشم فأدمنت الطموح
أنت روح في سمائي وأنا ... لك أعلو فكأني محض روح
يا لها من قمم كنَّا بها ... نتلاقى وبسرَّينا نبوح
نستشف الغيب من أبراجها ... ونرى الناس ظلالًا في السفوح

* * *

أنتِ حسن في ضحاه لم يَزَل ... وأنا عنديَ أحزان الطَفَل
وبقايا الظلِّ من ركب رحل ... وخيوط النور من نجم أفل ...
ألمح الدنيا بعيني سئمٍ ... وأرى حوليَ أشباح الملل
راقصات فوق أشلاء الهوى ... معولات فوق أجداث الأمل
ذهب العمر هباء فاذهبي ... لم يكن وعدك إلا شبحا
صفحة قد ذهب الدهر بها ... أثبت الحب عليها ومحا
انظري ضِحكي ورقصي فرحا ... وأنا أحمل قلبًا ذبحا
ويراني الناس روحًا طائرًا ... والجوى يطحنني طحن الرحى

* * *

كنت تمثال خيالي فهوى ... المقادير أرادت لا يدي
ويحها لم تدر ماذا حطمت ... حطمت تاجي وهدَّت معبدي
يا حياة اليائس المنفرد ... يا يبابًا ما به من أحد
يا قفارًا لافحاتٍ ما بها ... من نجيٍّ، يا سكون الأبد

* * *

أين من عيني حبيب ساحر ... فيه نبل وجلال وحياء
واثق الخطوة يمشي ملكًا ... ظالم الحسن شهي الكبرياء

عبق السحر كأنفاس الربى   ساهم الطرف كأحلام المساء
مشرق الطلعة، في منطقه   لغة النور وتعبير السماء

* * *

أين مني مجلس أنت به   فتنَة تمت سناء وسنى
وأنا حب وقلب ودم   وفراش حائر منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا   ونديم قدم الكأس لنا ...
وسقانا. فانتفضنا لحظة   لغبارٍ آدمي مسَّنا!
قد عرفنا صولة الجسم التي   تحكم الحي وتطغى في دماه
وسمعنا صرخة في رعدها   سوط جلاد وتعذيب إله
أمرتنا فعصينا أمرها   وأبيْنا الذل أن يغشى الجباه
حكم الطاغي فكنا في العصاه   وطردنا خلف أسوار الحياه

* * *

يا لمنفييْن ضلَّا في الوعور   دمِيَا بالشوك فيها والصخور
كلما تقسو الليالي عرفا   روعة الآلام في المنفى الطهور
طردا من ذلك الحلم الكبير   للحظوظ السود والليل الضرير
يقبسان النور من روحيهما   كلما قد ضنت الدنيا بنور

* * *

أنت قد صيرت أمري عجبا   كثرت حوليَ أطيار الربى
فإذا قلت لقلبي ساعة   قم نغرد لسوى ليلي أبى
حجبت تأبى لعيني مأربا   غير عينيك ولا مطلبا
أنتِ من أسدلها لا تدَّعي   أنني أسدلت هذي الحجبا

* * *

ولكم صاح بي اليأس انتزِعْها   فيردُّ القدر الساخر: دعْها
يا لها من خطة عمياء لو   أنني أبصر شيئًا لم أطعْها
وليَ الويل إذا لبيتها   ولي الويل إذا لم أتبعْها

قد حَنَتْ رأسي ولو كل القوى تشتري عزة نفسي لم أبغْها

* * *

يا حبيبًا زرت يومًا أيكه طائر الشوق أغني ألمي
لك إبطاء الدلال المنعم وتجني القادر المحتكمِ
وحنيني لك يكوي أعظمي والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقب في موضعي مرهفٌ السمعَ لوقع القدم

* * *

قدم تخطو وقلبي مشبه موجة تخطو إلى شاطئها
أيها الظالم بالله إلى كم أسفح الدمع على موطئها!
رحمة أنت فهل من رحمة لغريب الروح أو ظامئها؟
يا شفاء الروح روحي تشتكي ظلم آسيها إلى بارئها ...

* * *

أعطني حريتي أطلق يديّْ إنني أعطيت ما استبقيت شيّْ
آه من قيدك أدمى معصميّْ لِمَ أبقيه وما أبقى عليّْ
ما احتفاظي بعهود لم تصنها وإلام الأسر والدنيا لديّْ
ها أنا جفت دموعي فاعف عنها إنها قبلك لم تُبذل لحيّْ

* * *

وهب الطائر من عشك طارا جفت الغدران والثلج أغارا
هذه الدنيا قلوب جَمَدت خبت الشعلة والجمر توارى
وإذا ما قبس القلب غدا من رماد لا تسله كيف صارا
لا تسلْ واذكر عذاب المصطلي وهْو يُذْكِيهِ فلا يقبس نارا

* * *

لا رعى الله مساءً قاسيًا قد أراني كل أحلامي سدى
وأراني قلب من أعبده ساخرًا من مدمعي سخر العدا

ليت شعري أي أحداث جرت   أنزلت روحك سجنًا موصدا
صدئت روحك في غيهبها   وكذا الأرواح يعلوها الصدا

* * *

قد رأيت الكون قبرًا ضيقًا   خيَّم اليأس عليه والسكوتْ
ورأت عيني أكاذيب الهوى   واهيات كخيوط العنكبوتْ
كنت ترثي لي وتدري ألمي   لو رثى للدمع تمثالٌ صَموتْ
عند أقدامك دنيا تنتهي   وعلى بابك آمال تموتْ

* * *

كنت تدعونيَ طفلًا كلما   ثار حبي وتندت مُقَلِي
ولك الحق لقد عاش الهوى   فيَّ طفلًا ونما لم يعقلِ
ورأى الطعنة إذ صوبتها   فمشت مجنونة للمقتلِ
رمت الطفل فأدمتْ قلبه   وأصَابت كبرياء الرجلِ

* * *

قلْت للنفس وقد جزنا الوصيدا   عجِّلي لا ينفع الحزم وئيدا
ودَعِي الهيكل شبَّت ناره   تأكل الركَّع فيه والسجودا
يتمنّى لي وفائي عودة   والهوى المجروح يأبى أن نعودا
لي نحو اللهب الذاكي به   لفتة العود إذا صار وقودا

* * *

لست أنسى أبدًا   ساعة في العمر
تحت ريح صفقت   لارتقاص المطر
نوَّحت للذكر   وشكت للقمر
وإذا ما طربت   عربدت في الشجر

هاك ما قد صبت الريح بأذن الشاعر

وهي تغري القلب إغراء النصيح الفاجر

أيها الشاعر تغفو   تذكر العهد وتصحُو

وإذا ما التامَ جرحٌ جَدَّ بالتذكار جرحُ
فتعلمْ كيف تنسى وتعلمْ كيف تمحو
أوَ كلُّ الحب في رأ يك غفرانٌ وصفحُ؟

* * *

هاك فانظر عدد الرمل قلوبًا ونساءْ
فتخير ما تشاءُ ذهب العمر هباءْ
ضل في الأرض الذي ينشد أبناء السماءْ
أي روحانية تعصر من طين وماءْ؟ ...

* * *

أيها الريح أجلْ لكنما هي حبي وتعلاتي ويأسي
هي في الغيب لقلبي خلقت أشرقت لي قبل أن تشرق شمسي
وعلى موعدها أطبقت عيني وعلى تذكارها وسَّدْت رأسي

* * *

جنت الريح ونادته شياطين الظلام
أخِتامًا كيف يحلو لك في البدء الختام
يا جريحًا أسلم الجرح حبيبًا نكأه
هو لا يبكي إذا الناعي بهذا نبأه
أيها الجبار هل تصرع من أجل امرأة

* * *

يا لها من صيحة ما بعثت عنده غير أليم الذكر
أرقت في جنبه فاستيقظت كبقايا خنجر منكسر
لمع النهر وناداه له فمضى منحدرًا للنهر
ناضب الزاد وما من سفر دون زادٍ غير هذا السفر

* * *

يا حبيبي كل شيء بقضاء ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خله وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته لا تقل شيئًا! وقل لي: الحظ شاء

* * *

يا مغني الخلد ضيعت العمر في أناشيد تُغنَّى للبشر
ليس في الأحياء من يسمعنا ما لنا لسنا نغني للحجر
للجمارات التي ليست تعي والرميمات البوالي في الحفر
غنِّها سوف تراها انتفضت ترحم الشادي وتبكي للوتر

* * *

يا نداء كلما أرسلته رد مقهورًا وبالحظ ارتطم
وهتافًا من أغاريد المنى عاد لي وهو نواحٌ وندم
رب تمثال جمالٍ وسنا لاح لي والعيش شجو وظلم
ارتمى اللحن عليه جاثيًا ليس يدري أنه حسْن أصم

* * *

هدأ الليل ولا قلب له أيها الساهر يدري حيرتكْ
أيها الشاعر خذ قيثارتك غن أشجانك، واسكب دمعتكْ
رب لحن رقص النجم له وغزا السحْب، وبالنجم فتك
غنِّه حتى ترى ستر الدجى طلع الفجر عليه فانهتك

* * *

وإذا ما زهرات ذعرت ورأيت الرعب يغشى قلبها
فترفق واتئد، واعزف لها من رقيق اللحن، وامسح رعبها
ربما نامت على مهد الأسى وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعر كم من زهرة عوقبت لم تدر يومًا ذنبها!

متفرقات

ذات مساء

وانتحينا معًا مكانًا قصيًّا ... نتهادى الحديث أخذًا وردًّا
سألتْني: مللْتَنا أم تبدَّلـ ... ـتَ سوانا هوًى عنيفًا ووجدًا؟
قلت هيهات! كم لعينيكِ عندي ... من جميلٍ! كم بات يهدَى ويسدَى!
أنا ما عشت أدفع الدين شوقًا ... وحنينًا إلى حماكِ وسهدًا
وقصيدًا مجلجلًا كلَّ بيتٍ ... خلفه ألفُ عاصفٍ ليس يهدًا
ذاك عهدي لكل قلبك لم يقـ ... ـض ديونَ الهوى، ولم يرعَ عهدا
والوعودُ التي وعدتِ فؤادي ... لا أراني أعيش حتى تؤدَّى

رواية

نزل الستارُ ففيمَ تنتظرُ خلت الحياةُ وأقفر العمرُ
لم يبقَ إلا مقفر تعس تعوي الذئابُ به وتأتمرُ
هو مسرحٌ وانفضَّ ملعبُهُ لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ
ورواية رويت وموجزها صحبٌ مضوا وأحبّةٌ هجروا
عبروا بها صورًا فمذ عبروا ضحك الزمانُ وقهقه القدر

يأس على كأس

أصبحتُ من يأسيَ لو أن الردى يـهـتـف بـي، صـحـت بـه هـيـا
هيا فما في الأرض لي مطمح ولا أرى لـي بـعـدهـا شـيـا
مـاذا بـقـائـي هـا هـنـا بـعـدمـا نـفـضْـتُ مـنـه الـيـوم كـفَّـيَّـا
أهرب من يأسي لكأسي التي أدفـن فـيـهـا أمـلـي الـحـيَّـا
يـا أيـهـا الـهـارب مـن جـنـتـي تـعـال أو هـات جـنـاحـيَّـا
نبكي شبابينا ونبكي المنى وتـرتـمـي بـيـن ذراعـيَّـا

* * *

إني على يأسي وكأسي كابي وعلى سرابي عاكف وشرابي
ولقد فرغتُ من التعلل بالمنى إلا وميضًا في الرماد الخابي
رمقًا يعللني بأنك عائد يومًا لقلبي قبل يوم ذهابي
حتى إذا الأقدار شِئْنَ وعُدتَ لي راجعتُ نفسي واتهمت صوابي
أأرى شروقَك في أفولِ مغاربي وأشم عطرَك في ذبولِ شبابي!

* * *

هات اسقني واشربْ على سر الأسى وعلى بقايا مهجةٍ وشجاها
مهلًا نديمي! كيف يَنسى حبَّها من ينشد السلوى على ذكراها؟!
ما زلتَ تسقيني لتنسيَني الهوى حتى نسيْتُ، فما ذكرت سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قصةٌ هذا الحباب أعادها ورواها

الآن غشاها الضبابُ وها أنا خلفَ المآسي والدموعِ أراها
غال الزمانُ ضبابَها وحبابها وتبخرتْ أحلامُها ورؤاها
لا تبكِها ذهبْت ومات هواها في القلبِ متسعٌ غدًا لسواها
أحببتُها وطويتُ صفحتها وكم قرأ اللبيبُ صحيفةً وطواها!
تلك الوليدة لم تطل بشراها لمّا تكد تطأ الثرى قدماها
زف الصباحُ إلى الرمال نداءَها وسرى النسيمُ عشيةً فنعاها

عاصفة روح

الزورق يغرق والملاح يستصرخ.

أين شط الرجاءْ يا عُباب الهمومْ
ليلتي أنواءْ ونهاري غيومْ

* * *

أعولي يا جراحْ أسمعي الديّانْ
لا يهم الرياحْ زورقٌ غضبانْ

* * *

البلى والثقوبْ في صميم الشراعْ
والضنى والشحوبْ وخيالُ الوَداعْ

* * *

اسخري يا حياهْ قهقهي يا رعودْ
الصبا لن أراهْ والهوى لن يعودْ

* * *

الأماني غرورْ في فم البركانْ
والدجى مخمورْ والردى سكرانْ

* * *

راحـــتِ الأيـــامْ بـابـتـسـام الـثـغـورْ
وتــولــى الــظــلامْ في عناق الصخورْ

* * *

كـان رؤيـا مـنـامْ طـيفك الـمسـحـورْ
يا ضـفـاف السـلامْ تـحت عرش النورْ

* * *

اطـحـني يا سنين مـزقـي يـا حـرابْ
كـل بـرق يـبـيـنْ ومــضــه كــذابْ

* * *

اسـخـري يا حياهْ قـهقـهي يا غيوبْ
الـصـبـا لـن أراهْ والـهوى لن يؤوبْ

كبرياء

نـداؤك يـا فـؤادُ كـفـى نـداءَ   أما تـنـفـكُّ تـسـقـيـنـي الـشـقـاءَ
أنـا ظـمـآنُ لـم يـلـمـعْ سـرابٌ   عـلـى الـصـحـراءِ إلا خـلـتُ مـاءَ
وأنـت فَـراش لـيـل كـل نـور   تـبـعـت وكـلَّ بـرق قـد أضـاءَ
فـؤادي قـل لـهـا لـمـا افـتـرقـنـا   على شجن، وما نرجو اللقاءَ
حببتكِ ما شدوت لديك شعرًا   ولـكـنـي اعـتـصـرتُ لـكِ الـدمـاءَ
إذا أنا في هواك أضعت روحي   فلست أضيعُ فيك دمي هباءَ
غرامُكِ كان محراب المصلى   كأني قد بلغتُ بكِ السماءَ
خـلـعـت الآدمـيـةَ فـيـه عـنـي   ولـكـن مـا خـلـعـت بـه الإبـاءَ
فـلـم أركـعْ بـسـاحـتـه ريـاءً   ولا كـالـعـبـد ذلًّا وانـحـنـاءَ
ولـكـنـي حـبـبْـتُـكِ حـبَّ حـرٍّ   يـمـوتُ مـتـى أراد وكـيـف شـاءَ

***

وحـبـيـب كـان دنـيـا أمـلـي   حبه المحرابُ والكعبةُ بيتُهْ
من مشى يومًا على الوردِ له   فطريقي كان شوكًا ومشيتُهْ
من سقى يومًا بماء ظامئًا   فأنا من قدحِ العمرِ سقيتُهْ
خـفـق الـقـلـبُ لـه مـخـتـلـجًـا   خفقةُ المصباحِ إذ ينضبُ زيتُهْ
قـد سـلانـي فـتـنـكـرتُ لـهُ   وطوى صفحةَ حبي فطويتُهْ

***

أقبلتُ للنيلِ المباركِ شاكيًا زمني وقد كثرتْ عليَّ همومي
ومسحتُ كفي والجبينَ بمائهِ علِّي أهدئ ثورةَ المحمومِ
وجلست أنثرُ جعبةً معمورةً بالذكرياتِ جديدِها وقديمِ
لهفي لحب مات غيرَ مدنسٍ وشباب عمر مرَّ غيرَ ذميمِ
خان الأحبةُ والرفاقُ ولم أخنْ عهدي لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ
ايخيفُني العشبُ الضعيفُ أنا الذي أسلمت للشوكِ الممضِّ أديمي
وإذا ونى قلبي يدق مكانه شممي وتخفقُ كبرياءُ همومي
إني لأحمل جعبتي متحديًا زمني بها وحواسدي وخصومي
أحني لعرش الله رأسًا ما انحنى بالذل يومًا في رحابِ عظيمِ

اذكري

اذكري ذاك المساءَ كيف كنا سعداءَ
لم يدعْ عنديَ همًّا ومحا عنك الشقاءَ
ملأ الدنيا صفاءً عندما شئتِ وشاءَ
أحسن الدهرُ إليْنا بعدما كان أساءَ
كلما أقبلت السحـْـ ـبُ فظلَّلنَ السماءَ
قاتمات غائمات يتهادينَ بطاءَ
لاح نجمٌ من بعيد فتجلى وأضاءَ
وتصدّى قمرٌ را ح على الأرضِ وجاءَ

رسائل محترقة

ذوت الصبابةُ وانطوتْ وفـرغـتُ مـن آلامـهـا
لـكـنـنـي ألـقـى الـمـنـا يا من بقايا جامها
عـادت إلـيَّ الـذكـريـا تُ بحشدها وزحامها
فـي لـيـلـة لـيـلاء أرَّ قني عصيب ظلامها
هـدأت رسـائـل حـبـهـا كالطفل, في أحلامها
فـحـلـفْـت لا رقَـدَت ولا ذاقت شـهـيَّ مـنـامِـهـا
أشعلت فيها النار تر عى في عزيز حطامها
تـغـتـال قـصـة حـبـنـا من بدئها لـخـتـامـهـا
أحـرقـتُـهـا ورميت قلـ ـبي في صميم ضرامها
وبـكـى الـرمـاد الآدمِـيُّ عـلـى رمـاد غـرامـهـا

الغريب

يا قاسيَ البعد كيف تبتعدُ إنـي غـريـبُ الـديـارِ مـنـفـردُ
إن خانني اليومُ فيك قُلْت غدًا وأيـن مـنِّـي ومـن لـقـاك غـدُ؟
إنّ غـدًا هـوةٌ لـنـاظـرهـا تـكـاد فـيـهـا الـظـنـون تـرتـعـدُ
أطل فـي عـمـقِـهـا أسـائـلـهـا أفـيـك أخـفـى خـيـالَـهُ الأبـدُ
يا لامس الجرحَ ما الذي صنعتْ بـه شـفـاهٌ رحـيـمـةٌ ويـدُ
ملء ضلوعي لظًى وأعجبُه أنـي بـهـذا الـلـهـيـب أبـتـردُ
يا تاركي حيث كان مجلسنا وحـيـث غـنَّـاك قـلـبـيَ الـغـرِدُ
أرنو إلى الناس في جموعِهمُ أشْقتْهمُ الحادثاتُ أم سعدوا؟
تفرقوا أم همُ بها احتشدوا؟ وغوَّروا هابطين أم صعدوا؟
إنـي غـريـبٌ تـعـال يـا سـكـنـي فـلـيـس لـي فـي زحـامِـهـمْ أحَـدُ

بعد الفراق

أجل! أهواكِ أنتِ مُنى حياتي　　وأنت أحَبُّ من بصري وسمعي
وهل أنساكِ؟! كلا لست أنسى　　هوًى قد كان إلهامي ونبعي
لبست من التصبرِ عنكِ درعًا　　فها أنا تنزعُ الأيامُ درعي
وها أنا لست أورِّي عنك سرًّا　　عرفتِ محبتي ورأيتِ دمعي
تلاشت قوتي وغدا فؤادي　　كأن خفوقَه خلجاتُ نزعِ
أبشره فيرقص في ضلوعي　　وأنظرُ سودَ أيامي فأنعي
وقد نضبَ الخيالُ وغاض طبعي　　ومات على حياض اليأسِ زرعي
أُجرجرُ وحدتي في كل حشدٍ　　وأحمل غربتي في كل جمع

***

مزَّقَته فصار والله لا يقدر　　حتى أن يسأل اللهَ رفقا
لجةٌ بعد لجةٍ كلما صارع　　ردت له أمانيهِ غرقى
فيلقٌ بعد فيلقٍ حجب الشمس　　ولم يبقِ للنواظر أفْقَا
وسنانُ الغروب تغزوه حمرا　　وسنانُ العذاب تطعن زرقا
وجيوشُ الظلامِ تزحفُ زحفًا　　وثقالُ الأقدامِ تسحقُ سحقا …

المآب

خرج الشاعر من مصر مريضًا، ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازتين، فلما أشرفت السفينة على بورسعيد استقبل الشاعر مصر بهذه الأبيات.

هتفتُ وقد بدت مصرٌ لعيني رفاقي! تلك مصرٌ يا رفاقي
أتدفعني وقد هاضت جناحي وتجذبني وقد شدَّت وثاقي
خرجتُ من الديارِ أجرّ همي وعدتُ إلى الديار أجرُّ ساقي

في الأوتوجراف

من ن إلى هـ

طلبتِ الكتابةَ يا جنتي — وماذا تريدين أن أكتبا

وما في الجوانح خافٍ عليكِ — وقلبك يعلم ما غيبا

سأكتب أنكِ أنت الربيعُ — وأنكِ أنضر ما في الربى

وأنكِ أنت الجمالُ الفريدُ — وفجرُ الشبابِ وحلمُ الصبا

أهلل باسمكِ عند الصباح — وأطوي على ذكركِ المغربا ...

شكوى الزمن

يا ويلتا من عمريَ الباقي　　هذا سوادٌ تحت أحداقي

هذا بياضُ الشيب واعجبي　　من مغرب في زِي إشراقِ!

ويلي على كأسٍ معربدةٍ　　وعلى دمٍ في الكأس مهراقِ

وعلى سراب خادعٍ وعلى　　متألقِ اللمحاتِ برَّاقِ

طاف الزمان به على نفرٍ　　مالوا بهاماتٍ وأعناقِ

صُرعوا وأنت تظنهم سكروا　　مات الندامى أيها الساقي

يا دهر لم أشك الكلالَ ولا　　ملكتْ خطوبُ الدهر إرهاقي

عذبت أيامي بعِفَّتها　　وقتلتها بصفاء أخلاقي

يا كم غرست! وكم سقيت! وكم　　نضَّرت من زهر وأوراقِ!

ما حيلتي والأرضُ مجدبةٌ　　سيَّان إقلالي وإغداقي

أين الذين رفعت فانحدروا　　وبنيتهم بنيان خلَّاقِ

إن الوفاءَ بضاعةٌ كسدَتْ　　ومآل صاحبِها لإملاقِ

إن كنتُ لم أغنمْ فقد ظفروا　　مني بمغفرتي وإشفاقي

لكنني والجرح يُلهب لي　　حسِّي ويكوي كَيّ إحراقِ

هيهات أنسى أنهم عبثوا　　ووفيْتُ لم أعبث بميثاقي

كل الورى

كل الورى يدَّعون حبكْ   أنا الوحيد الذي أحبكْ
صدرُك فيه اضطرابُ شوقٍ   يقرع قرع العبابِ جنبكْ
فكيف تخلي به مكاني   وتسكن الغادرين قلبكْ؟!
لما اعتنقنا على اشتياقٍ   لمست بالساعدين خطبكْ
تعال لا تعتذر لذنب   بقدر حبي غفرت ذنبكْ

* * *

طال على المتعب الطريق   بلا حبيب ولا صديق
قد بعد الشاطئ المرجَّى   والموج لا يرحم الغريق
في واضح النور جنح ليلٍ   وفي الرحاب الفسَاح ضيق
يا أرجوان الغروبِ مهلًا   ولتتئدْ أيها العقيق
صبغت عمري فصرت أمشي   على دمائي التي أريق

* * *

يا مسرحًا والفصول تترى   عليه ما لي بك اغترارْ
فلا بخير ولا بِشَرٍّ   ولا طوالٍ ولا قصارْ
ما خنت عهدي لمن تولى   كلا ولا خانني اصطبارْ
أين الليالي التي تسرُّ   بلا لقاء ولا مزارْ
كم قلت ذا مشهد يمرّ!   ولم أقلْ إنه ستارْ

***

إن كان للمشجياتِ رسمٌ إنـي تـمـثـالـهـا الـمـقـامْ
بــلا دمــوع ولا شــكــاةٍ قـد جـمـد الـدمـعُ والـكلامْ
يا طالب الحزن في المآقي لا تنشد الدمع في الرخامْ
وخـذهُ مـن أخـرسٍ مـريـرٍ مـن شـفـه دمـعُـهـا سـجـامْ
فـهل فمٌ قـد بـكـى بـكـائـي مـن ذا رأى دمـعـةَ ابـتـسـامْ

صور شعرية

راقصة

عجبًا لعارية كسا — ها الفنُّ حسنًا رائعَا
سمراء وشَّتها بنا — نتُه بياضًا ناصعَا
شبه الفرائد قد كسيـ — ـن في الغمام براقعَا
خبَّأن نصفًا في الدجى — وجلون نصفًا لامعَا
من أي وديان الظبا — ء ملاعبًا ومراتعَا؟
من عبقرٍ، ومن الألمب، — ومن فنونهما معَا
تبدين ريان الثدي — لنا وخصرًا جائعَا
وترين كونًا يشبه الـ — ـكونَ الرحيبَ الواسعَا
متغاير الإبداع مخـ — ـتلف المحاسن جامعَا
لك خفة الطير المحلِّـ — ـق طائرًا أو واقعَا
لك خفة البطل المجـ — ـلِّي مقبلًا أو راجعا
متمهلًا للخصم متـ — ـئدًا،وحينًا للقاءِ مسارعا

الصنم الجميل

يا قلبي الشاكي المعذب ... هذه الشكوى لِمَا
حان الفرارُ وآن للمسجون ... أن يتنسما
حان الحسابُ وآن للموتور ... أن يتكلما
يا طفليَ النوَّاح آن ... اليوم أن تتعلما
أسفي لغالي الدمع تبذله ... لمرتخص الدمى
أفنيته ورجعت حتى ... من دموعك معدما
فإذا افتقدت الدمع عز ... فتبكينّ تبسما
تبكي على العرش المصوغ ... من المدامع والدما
تبكي على الصنم الجميل ... يكاد أن يتهكما
تبكي تراب الأرض ... مصبوغًا بألوان السما

الليل في فنيسيا

يا رب ما أعجب هذي البلاد   لا ليلَ فيها! كل ليلٍ صباح
وكل وجهٍ في حماها ضِماد   ومصر لا تنبت إلا الجراح

شكوك

يا رامي السهم يدري أين موضعه
منـي ويـعـلـم مـا داريت مـن ألـمِ

رميتَ فـي سـاحـةٍ مـوسـومـة بـدمٍ
مـنـقـوشـة بـنـدوب الـحـبِّ والـنـدمِ

لا يـخـدعـنَّـكَ مـنـهـا وهـي صـامـتـةٌ
صمت القبور فراغُ الموتِ والعدمِ

فكم شفاه جراحاتٍ إذا انطبقت
جـرح الإبـاءِ عـلـيـهـا غـيـر مـلـتـئـم!

فيم انتقامك من قلب عصفتَ به
لم يبقَ من موضـع فيه لمنتقمِ

وفيم لذعة سخطٍ من جوى برمٍ
ترمي بجمرته في جوف مضطرم!

النسيان

حـان الـشـفـاءُ فـودِّع الألـمـا   واسـتـقـبـل الأيـامَ مـبـتـسـمـا
ضيفٌ من السلوان حل بنا   حـدبُ الـيـديـن مـبـاركٌ قـدمـا
أو ما ترى الضيفَ الذي قدما   يطوي الغيوبَ ويذرعُ الظلما
فـي كـفِـهِ كـأسٌ يـقـدمـهـا   تمحو العذابَ وتغسلُ الندما
فـاشـربْ ولا تـرحـمْ ثـمـالـتَـهـا   لهفي عليك شربتَ أي ظما
فيض من النسيان يغمرني   إنـي لأحـمـد سـيـلـه الـعـرمـا
مستسلمًا للموج يغمرني   فرحـان حيـن أعـانـقُ الـعـدمـا

المساء

يا غلة المتلهفِ الصادي
مـاذا تـركـت لـديَّ مـن زادِ
يا لـلـمـسـاء الـعـبـقـري وما
شـفـتـاك شـفًّا لوعةً وظـمـا
نمشي وقد طال الطريقُ بنا
ونـودُّ لـو خـلـتِ الـحـياة لـنـا
نبني على أنقاض ماضينا
ونظل ننسج من أمانينا
وأظل أسـقـيـهـا وتـمـلأُ لـي
حتى إذا سكرت من الأملِ
حـلـفـت بـأنـي مـغـتـد مـعـهـا
فمسحت بالقبلات أدمعَها

يا آيتي وقصيدتي الكبرى
إلا اسـتـعـادة هـذه الـذكـرى
أبقى على الأيام في خلدي
وجمالك الجبار طوعُ يدي
ونـودُّ لـو نـمـشـي إلـى الأبـدِ
كطريقنا وغدتْ بلا أحدِ
قصـرًا من الأوهـام عـمـلاقـا
وشـيـا مـن الأحـلام بـراقـا
من مورد خلف الظنون خفي
وترنحت مالت على كتفي
حيث اغتدت وهواي في دمها
وطبعت ميثاقي على فمها

عذاب

ألـمـي مـحـا ذنـبـي إلـيك وكـفّـرا ... هبني أسأت ألم يحنْ أن تغفرا؟

روحـي مـمـزقـةٌ وأنـت تـركـتَـهـا ... لـمـخـالـب الـدنـيا وأنـيـابِ الـورى

روحـي مـمـزقـةٌ ولـو أدركـتـهـا ... جمّـعت من أشلائـهـا ما بـعـثـرا

أو ليس لي في ظل حبك موضع ... أحبو إليه وأرتمي مستنصرا؟

ما كنت أصبر عن لقائك ساعة ... كيف اصطباري عن لقائك أشهرا؟!

من بدّل الثغرَ الجميلَ عُبوسة ... ومضى إلى وجه السماء فكدرا

يا هاته الأقدار! عينك لا ترى ... تحت الدجى سأمان ممتنع الكرى

ظمآن، لو باع الأحبةُ قطرةً ... بالعمر والدنيا جميعًا لاشترى

اخفي جراحك واستعز بفتكها ... غريدك الشادي المحلق في الذرى

يرنو إليك على البعاد ويعتلي ... فيجره الجرحُ المميتُ إلى الثرى

قد عاش وهو معذبٌ بإبائه ... ولقد يلاقي يومَه مستكبرا

حتام كتماني وطول تجلدي ... يا أيها الجاني عليَّ وما درى؟!

ومتى المآب إلى رحابِك مرةً ... لأريك جرحي والدما والخنجرا؟

ملحمة السراب

السراب في الصحراء

السراب الخؤون والصحراء والحيارى المشردون الظماء
وليالٍ في إثرهن ليالٍ سنة أقفرَت وأخرى خلاء
قلَّ زادي بها وشح الماء وتولى الرفاق والخُلَصاء
كيف للنازح الحبيب ارتحالي وجناحاي السقم والبرحاء
وجراحي المستنزفات الدوامي وخُطاي المقيدات البطاء؟!
أدركي زورقي فقد عبث اليم به والعواصف الهوجاءُ
والعباب العريض والأفق المو حش واللانهاية الخرساءُ
أفق لا يحد للعين قد ضاق فأمسى والسجن هذا الفضاءُ
سهرت ترقب الصباح وعين الـ ـنجم كلَّت وما بها إغفاءُ
عجبي من ترقبي ما الذي أرجو ولما يعد لقلبي رجاءُ؟!
وأنا مرهف المسامع فيه لي إلى كل طارق إصغاءُ ...

* * *

التقينا كما التقى بعد تطوافٍ على القفر في السرى إنضاءُ
قطعوا شوطهم على الدم والشو ك وراحوا على اللهيب وجاءُوا
في ذراعيَّ أو ذراعيك أمن وسلامٌ ورحمةٌ ونجاءُ
وعلى صدرك المعذب أو صد ريَ حصن وعصمة واحتماءُ
كم أناديك في التنائي فترتد بلا مغنم ليَ الأصداءُ!

وأناديك في دمائي فتنسا ... ب على حسرة لديَّ الدماءُ
وأناديك في التداني وما أطمع ... إلا أن يستجاب النداءُ
باسمك العذب أنه أجمل الأسـ ... ـماء مهما تعددت أسماءُ
لفظة لا تبين تنطلق الأقدارُ ... عن قوسها ويرمي القضاءُ

* * *

وهي بين الشفاه ناي وتغريـ ... ـد وطير وروضة غناءُ
وهي في الطرس قصةٌ تذكر الأحـ ... ـبابُ فيها وتحشد الأنباءُ
صدفة ثم وقفة فاتفاق ... فاشتياق فموعد فلقاءُ
فقليلٌ من السعادةِ لا يكمل ... فيه ولا يطولُ الهناءُ
فحنين فلوعة فاحتراق ... فجحيم وقوده الشهداءُ
ما بقائي وأجمل العمر ولَّى ... وانتظاري حتى يحين الشتاءُ
يطلع الفجر مرهقًا شاحب النو ... ر عليه الكلال والإعياءُ
وبنفسي دب المساءُ وحل الليل ... من قبل أن يحين المساءُ

* * *

زرتني كالربيع في موكب الزهـ ... ـر له روعة وفيه رواءُ
ولك الوجه أومض الحسنُ فيه ... والتقى السحرُ عنده والذكاءُ
وشحوب كظل خمر وللند ... مان تجلو شحوبها الصهباءُ
ولك الجيد أتلعا أودع الصانع ... فيه من قدرة ما يشاءُ
قد من مرمر وشعشعه الفجـ ... ـر بورد وصُبَّ فيه الضياءُ
وأنا الطائر الذي تصطبي نفسي ... السماوات والذرى الشماءُ
راشني صائد رماني فأدما ... ني وولَّى الجاني وعاش الداءُ
مرحبًا بالهوى الكبير، فإن يبقَ ... وإن تسلمي يطبْ لي البقاءُ
فهو القمة التي تهزم المو ... ت ولا يرتقي إليها الفناءُ
مرّ يومي كأمسِه مسرحًا تُعرض ... فيه الحياةُ والأحياءُ
آدم كالقديم قلبًا وتفكيـ ... ـرًا ولكن تبدل الأزياءُ
لم يحلْ طبعه ولا ذات يوم ... لبست غير نفسها حواءُ

والنضار المعبود قدس وقربا ... ن ورب والشهرة الجوفاءُ
والحطامُ الفاني عليه اقتتالٌ ... والأماني بريقُها إغراءُ
وسفين تمر إثر سفين ... والرياح للذات والأهواءُ
والغيوبُ المحجباتُ رحابٌ ... تعبت في رموزها الحكماءُ
عندها المرفأ المؤمل والشط ... المرجى والصخرة الصماءُ ...
مرّ يومي كأمسه وأتى ليلٌ ... بهيج تزف فيه السماءُ
قد جلت فيه عرسها، كل نجم ... قدح يستحم فيه الضياءُ
لم تزل تسكب السلاف وللأقـ ... ـداحِ فيها تجددٌ وامتلاءُ
لم تزل حتى هوم الحان نعسا ... ن وأغفى البساط والندماءُ
غير نجم في جانب الليل يقظان، ... له روعة بها وجلاءُ
ذاك نجم الحبيب مني له الشو ... ق ومنه الوميض والإيماءُ
كم أغنِّيهِ بالحنين كما غنت ... على فرعِ غصنها الورقاءُ!
وذراعيَ في انتظارٍ، وصدري ... فيه بالضيف فرحة واحتفاءُ
موقدًا للغريب نار ضلوعي ... فعسى للغريب فيها اهتداءُ ...

***

لمَ خليتني وباعدت مسرا ... ك ومالي إلى ذراك ارتقاءُ
بالذي فيك من سنا لا تدعني ... فيم هذا المطال والإبطاءُ
ما تراني وقد ذهبت بحظي ... اخطأتني من بعدك النعماءُ
وانتهى بعدك الجميلُ فلا فضلٌ ... لمسد ولا يدٌ بيضاءُ
ومشى الحسن في ركابك والإحـ ... ـسان طرًّا والغرة السمحاءُ
حسنات كانت يدَ الدهر عندي ... فانطوت بانطوائك الآلاءُ

السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا ... ولا لقلبك عن ليلاك أنباءُ،
جفا الربيعُ ليالينا وغادرها ... وأقفر الروضُ لا ظل ولا ماءُ
يا شافي الداء قد أودى بي الداءُ ... أما لذا الظمأ القتَّال إرواءُ
ولا لطائر قلبٍ أن يقرَّ ولا ... لمركب فزع في الشط إرساءُ!
عندي سماء شتاءٍ غير ممطرةٍ ... سوداء في جنبات النفسِ جرداءُ
خرساء آونة هوجاء آونة ... وليس تخدع ظني وهي خرساءُ
وكيف تخدعني البيداءُ غافية ... وللسواقي على البيداء إغفاء
أأنتِ ناديتِ أم صوتٌ يخيل لي؟ ... فلي إليكِ بإذن الوهم إصغاءُ
لبيك لو عند روحي ما تطير به ... وكيف ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ

* * *

تفرق الناس حول الشطِّ واجتمعوا ... لهم به صخبٌ عالٍ وضوضاءُ
وآخرون كسالى في أماكنِهم ... كأنهمْ في رمال الشط أنضاءُ
هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم ... وقبل أن تتحدَّى الحبَّ بغضاءُ
ضاقت نفوسٌ بأحقادٍ ولو سلمت ... فإنها كسماء البحر روحاءُ ...
تألقتْ شمسُ ذاك اليوم واضطرمت ... كأنها شعلٌ في الأفْقِ حمراءُ
طابت من الظل، ظل القلب ناحيةٌ ... لنا، وقد صَلِيَتْ بالحرِّ أنحاءُ
ما لي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها ... وما وعت ولقلبي منك إغناءُ

لـو أنـه أبـدٌ مـا زادَ عـن سـنـةٍ   ومـدةُ الـحـلـم بـالـجـفـنـيـن إغـفـاءُ
أرنو إليك وبي خوفٌ يساورني   وأنـثـنـي ولـطـرفـي عـنـك إغـضـاءُ
إذا نطقْت فما بالقول منتفعٌ   وإن سـكـت فـإن الـصـمـتَ إفـشـاءُ
وأيـمـا لـفـظـة فـالـريـحُ نـاقـلـةٌ   والـشـطُّ حـاكٍ لـهـا والأفـقُ أصـداءُ
يا ليل من علم الأطيارَ قصتنا   وكيف تدري الصبا أنا أحِبّاءُ؟
لما أفقنا رأينا الشمسَ مائلةً   إلـى الـمـغـيـب، ومـا لـلـبـيـن إرجـاءُ
شابت ذوائبُ، وانحلت غدائرُها   شهباء في ساعة التوديع صفراءُ
مشى لها شفقٌ دامٍ فخضبها   كـأنـه فـي ذيـولِ الـشـعـرِ حِـنـاءُ

* * *

يا من تنفس حر الوجد في عنقي   كـمـا تـنـفـس فـي الأقـداح صـهـبـاءُ
ومن تنفستُ حر الوجد في فمه   فـمـا ارتـويـت، وهـذا الـري إظـمـاءُ
ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد   ولـن تـواريـك عـن عـيـنـيَّ ظـلـمـاءُ

السراب في السجن

يا سجين الحياة أين الفرارُ أوصد الليلُ بابه والنهارُ
فلمنْ لفتةٌ وفيم ارتقابٌ ليس بعد الذي انتظرت انتظارُ
والتعلات من هوى وشباب قصة مسدلٌ عليها الستارُ
ما الذي يبتغي العليلُ المسجَّى قد تولى العوادُ والسمارُ
طال ليلُ الغريب وامتنع الغمـ ـض وفي المضجع الغضا والنارُ

* * *

وهَب السجنُ بابه صار حرًّا لـكَ لا حائل ولا أسوارُ
وعفا القيدُ عنك كفًّا وساقًا فإذا الأرض كلها لك دارُ
أين أين الرحيل والتسيار؟ بعدت شقة وشط مزار
والخطى المثقلاتُ باليأس أغلا لٌ لساقيك والمشيبُ عثارُ
ما انتفاع الفتى إذا عفت الجنْـ ـنَة واجتاح دوحَها الإعصارُ
عشتُ حتى أرى خمائلَ حبي تتهاوي كشامخ ينهارُ
تحت عيني ويذبل الحسنُ فيها ويموتُ الربيعُ والأنوارُ
ما انتفاع الفتى بموحش عيشٍ بقيَتْ كأسُه وطاح العقارُ
وبقاء البساط بعد الندامى كأس سم بها يدور البوارُ
ما انتفاعي وتلك قافلة العيـ ـش وفي ركبها اللظى والدمارُ
الدمار الرهيب والعدم الشا مل واللفحُ والضنى والأوارُ

يا ديار الحبيب هل كان حلمًا ملتقى دون موعد يا ديارُ؟
يا عزيز الجنى عليك سلام كيف جادت بقربك الأقدار
بورك الكرم والقطوف وأوقا تٌ كأن العناقَ فيها اعتصارُ
كلما أطلقتك كفي استردتـ ـك كما يحفز الغريم الثارُ

آمال كاذبة

لا البرء زار ولا خيالك عادا ما أكذب الآمال والميعادا
عجبًا لحبك يا بخيلة كيف يخـ ـلق من جوانح عابد حُسادا
إني لأهتف حين أفترش المدى وأرى الجحيم لجانبيَّ مِهادا
آها على الرأس الجميل سلا وأغـ ـفى مطمئنًّا لا يحس سهادا
فرشت له الأحلام واحتفل الهدو ء يد ومد له الجمال وسادا
يا حبها، ما أنت؟ ما هذا الذي جمع الغريب وألَّف الأضدادا؟
كم أشرئب إلى سماك بناظري مستلهمًا بك قوةً وعمادا!
ولكم أبيتُ على السآمة طاويًا في خاطري شبحًا لها عوادا!
فأراك تعبث بي كطفل في السما ء يصرِّف الأقدار كيف أرادا
ولقد أقول هوًى كما بدأ انتهى فإذا الهوى وافى النهاية عادا
مات الرجاءُ مع المساءِ وإنما كان المماتُ لحبنا ميلادا
ماذا صنعت بناظر لا ينثني متطلعًا متلفتًا مرتادا
وأنا غريب في الزحام كأنني آمال أجفان حرمن رقادا
ولقد ترى عيني الجموع فما ترى دنيا تموج ولا تحس عبادا
فإذا رأيتك كنت أنت الناس والـ ـأعمار والآباد والآمادا
وأراك كل الزهر كل الروض أنـ ـت لديَّ كلُّ خميلةٍ تتهادى

البعث

يـا جـمـالًا وجـلالًا يـتـدفـقْ رجـع الـبـلـبـلُ أم عـاد الـربـيـعْ
بـهـر الـنـورُ عـيـونـي فـتـرفـقْ حـيـن تـدنـو إنـنـي لا أسـتـطـيـعْ

* * *

أيـهـا الـورد الـذي طـاف بـنـا أيـهـا الـطـل الـذي بـلَّ الـظـمـا
لا أراك الـلــه حــالــي وأنــا أطـأ الـشـوك ويـغـزونـي الـغـمـا

* * *

يـا أمـانـيَّ وحـبـي وخـيـالـي لا تـضـيـع لـحـظـة فـالـعـمـر ضـاعْ
لا أراك الـلـه حـالـي والـلـيـالـي كـاسـفـات لـيـس فـيـهـن شـعـاعْ

* * *

قد بـلـوت الـويلَ فـيـهـا لا بـلـوتـا وانـا أبـدأ يـومـي بـالـمـسـاء
وعرفت الضيق ضيق القلب حتى لم أجد في الكون ثقبًا من رجاء

* * *

لا وربِّي ليس في الدنيا ختام حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حـين يسـتـيـقـظ قـلـب مـن مـنـام والـمـنـادي أنـت والـحـب الـمـجـيـب

المنصورة

بأي معجزة في الحب نتفقُ ... يا قلب لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ
يا قلب، إنا لقينا اليومَ معجزةً ... تكادُ في ظلماتِ الليل تأتلقُ
ظللتُ أسأل نفسي كيف تعشقها ... بقيةٌ من بقايا العمرِ تحترقُ؟
وافيتُها وفلول النور دامية ... تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ
لم أدر حين تبدتْ لي إذا شفقي ... أبصرته أو على المنصورة الشفقُ؟
يا من منحت الأماني البيض معذرة ... إني بهذي الأماني البيض أختنقُ
أين الهدوء المرجَّى في جوانبها ... إني رجعت وليلي كله أرقُ
أقبلتُ أنشد أمنًا في هواك بها ... فلم أنل وتولى قلبي الفرقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي ... أنَّا بشيءٍ وراءَ الروحِ نعتنقُ
ويحي على كفكِ البيضاء إذ بسطتْ ... عند السلام، وويحي حين تنطبقُ
هل يسمع النيلُ إذ سرنا بجانبهِ ... والموجُ مجتمعٌ فيه ومفترقُ؟
صوتًا تماوجَ في روحي فجاوبَه ... من جانب القلبِ موجٌ راح يصطفقُ
تظل تنهبُ أذْني من أطايبه ... كأنها من خفايا الغيبِ تسترقُ
يا جنة من جنان الله أعبدها ... لن تبعدي ولديَّ السحر والعبقُ

وقفة على دار

قف يا فؤادُ على المنازل ساعا فهنا الشبابُ على الأحبة ضاعا
وهـنـا أذلَّ إبـاءَه مـتـكـبـرٌ أمـرت عـيـونٌ قـلـبـه فـأطـاعـا
أحسست بالداء القديم وعادني جـرح أبـيـت لـعـهـده إرجـاعـا
ومشى مع الأمل الذهول كأنما طـارت بلبِّي الحادثات شعاعا
كثرت علـيّ متاعبي فمحونني ومحون حتى السقم والأوجاعا
يا من هجرت لقد هجرت إلى مدى فـإلـى الـلـقـاء، ولـن أقـول وداعـا

الراهبة الباكية

لمن العيون الغائرات خشوعا | لمن النواظر قد صفت ينبوعا
وتكللت بالطهر مؤتلقَ السنا | وجلت لنا معنى الجمال رفيعا
مهلًا فتاة الدير والحسن الذي | تصبو له مهجُ العبادِ جميعا
الحسنُ من حق الورى وحملتِه | مستخفيًا متأبيًا ممنوعا!
في الدير مثواه، وفي جنح الدجى | يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا
يا مؤنس الدنيا فديتك موحشًا | تهتاج وجدًا أو تضيق ضلوعا
تتحرق الدنيا عليك وربما | أوقدت نفسك في الظلام شموعا

من ن إلى ع

يا شطر نفسي وغرامي الوحيد
ما شئتِ يا ليلاي لا ما أريد
يا من رأت حزني العميق البعيد
داويتِ لي جرحي بجرحٍ جديدْ

* * *

هتكتِ عن روحي خفي النقاب
فلم يزل يا ليلَ هذا الحجاب
حتى مشت كفّاك فوق العذاب
يا ليلَ إني لشقي سعيدْ

* * *

عمري سرابٌ في بقايا سراب
وكل أيامي المواضي اغتراب
فاليوم يا ليلاي طاب المآب
في ظلِّك الرحب الجميل المديد

* * *

فليذهب الماضي البعيد السحيق

فيه صريع للبلى لا يفيق
في جدث يزداد ضيقًا وضيق
في كفن ضمَّ الشباب الشهيد!

* * *

ويوم لقياك على سلمٍّ
في جانب مكتئب مظلمِ
يا عذبة العينين والمبسم
وغضة الحسن الشهي الفريد!

* * *

في لحظة يقفز فيها دمي
وتعقد الدهشة فيها فمي
من أي كون جئت لم أعلمِ
يا نفحة من نفحات الخلود

* * *

هيا! أجل! هيا إلى أينا؟
لحيث نحكي حلم روحينا
لحيث نروي سر قلبينا
فإن فرغنا من حديث نعيد!

* * *

أي مكان بهوانا يضيق؟
فامض بنا، إن زحام الطريق
في ظل حبينا رحيب طليق
وكل ركن طيب في الوجود

* * *

مـن أنـتِ؟ لا أدري، ولا مـن أنـا
فـيـا إلـه الـحـب مـاذا اسـمـنـا
إنَّــا حــبــيــبــان وذا حــبــنــا
إنَّــا ولــيــدان، وهــذا ولــيــد

* * *

ومجلس قد ضمنا في الزحام
رف عـلـى قـلـبـين فـيـه الـسـلام
تـرمـقـنـا فـيـه ظـنـون الأنـام
ولا تـخـلـيـنـا عـيـون الـحـسـود!

* * *

وحـيـن ودعـتِ خـلال الـجـمـوع
مشى على إثرك قلبي الوجيع
مشى به الحب، وكيف الرجوع؟!
وفي ضميري هاتف: هل تعود؟!!

رثاء الهمشري

الشاعر النابغ الذي انطفأ نجمه في نضارة الشباب

لا تجزعوا للشاعر الملهم ما مات لكن صار في الأنجمِ
مـا كـان إلَّا زائـرًا عـابـرًا لأي سـر جـاء لـم نـعـلـمِ
والآن قـد رُدَّ إلـى سـربـه في قدس ذاك الفلَك الأعظمِ
الآن قــد رُدَّ إلــى ربــه فتى إلى الخلد مشوقٌ ظمي
الآن قد أصبـح فـي قـربـه فـتـى لآفـاق الـسـمـا يـنـتـمـي
كان فراشًا حائرًا في الدنى في نورها أو نارها يرتمي
فـإن نـجـا مـن نـارهـا مـرة فمن لهيب النفس لم يسلم

***

لا تجزعوا للشاعر الملهم بـنـضـرة الأيـام لـم يـنـعـم
مرَّ بهذا الكون في لحظة طـالـت كـعـمـر الأبد الأعظم
أي جـلالٍ فـاتـه وصـفـه وأي حـسـن فـيـه لـم يـرسـم
فـإن يـكـن ردَّ إلـى حـضـنـه فـعـودة الـمـغـرم لـلـمـغـرمِ
ورجعة القلب إلى صدره بالعطف في إحنائه يرتمي
لا تجزعوا للشاعر الملهم والـلـه مـا نـام مـع الـنـوَّمِ

ولـم ينل منه أكول البلـى   وإنـمـا غـاب إلــى مـوسـمِ

الدكتور عبد الواحد الوكيل (وزير الصحة)

هي صفحة طويت وحان ختامُ — آسي الأساة على ثراك سلامُ
لهفي عليك تسلَّمتك يد البلى — وانفض عنك إلى النشور زحامُ
الحفل منتظم تكامل عقده — أين العشيَّ خيالك البسامُ؟
يتلفتون به كأنك عائد — هيهات في ريب المنون كلامُ
لا صحو من سِنة المنون وإنما — سهر الخلود عليك حيث تنامُ
يا أيها الآسي العزيز بمضجع — ناءٍ له الإكبار والإعظامُ
أنتَ الطبيب وقد بلوت حياته — ومجالها الأوجاع والأسقامُ
جلت الحياة له حقيقتها فما — في ظلها لبسٌ ولا أوهامُ
وله مع القدر الرهيب وقائع — وله مع الموت الملمِّ صدامُ
ووراء ذلك قوة أزليةٌ — خرساء عنها ما أميط لثامُ
أي الأساة هو المدلّ بفنه — سبحان من تحنى لديه الهامُ!
بلدٌ على بلد كأنك ضارب — في الأرض ما يدري لديه مقامُ
فرجعتَ من حمى الحياة لمثلها — حمَّى تهد الصرح وهو مقامُ
سفر على سفر فهذي رقدة — شفي الغليل بها وطاب أوامُ
يلقي الغريب على جوانبه العصا — وتقر فيها أعين وعظامُ
رقد الصغير إلى الكبير مجاورًا — وتعانق الأحباب والأخصامُ
هجعوا إلى يوم النشور وهكذا — هجعت هنالك إلفة وخصامُ

رثاء الشاعر محمد الهراوي

ألقيت في حفلة تأبينه

ها هنا حفل وذكرى ووفاءْ   لبِّنا أنت ملبِّي الأصدقاءْ
يا لها من غربة مضنية   ليس تنجاب وأيام بطاءْ
ذهب الموت بأغلى صاحب   وثوى في الترب أوفى الأوفياءْ
لست أنساك وقد أقبلت لي   تشتكي غدر صديق قد أساءْ
آه من جرح ومن قلب على   ألم الجرح انطوى مر الأباءْ
كلما آلمك الجرح فأحسسـ   ـت به لطّفته بالكبرياءْ
أيها الشاكي من الدهر استرح   كلنا يا أيها الشاكي سواءْ
الجراحات التي عانيتها   لم تدع أرواحنا إلا ذماءْ
برم العيش بها لم يشفها   وتولى الدهر سأمان وجاءْ
أذن الموت لها فالتأمت   وشفاها بعدما استعصى الشفاءْ
لست أرثيكَ أيرثى خالد   في رحاب الخلد موفور الجزاءْ؟!
كيف أرثيك؟! أيرثى فاضل   عاش بالخيرات موصول الدعاءْ؟!
إنما الدنيا هي الخير على   قلة الخير وقحط العظماءْ
إنما الدنيا فتى عاش لكم   باذلًا من قُوتِه حتى الفناءْ
فإذا مات فقد عاش بكم   فهو بالذكرى جدير بالبقاءْ

ذلـك الـشـاعـر قـد واسـاكـمُ وبـكـى آلامـكـم كـل الـبـكـاءْ
ذلـك الـشـاعـرُ قـد غـنَّـاكـمُ صادحًا في أيككم بشرى الهناءْ
وأولو الشعر المصابيح التي حـطـمـتْـهـن ريـاح الـصـحـراءْ
خـلـدت أنـوارهـم رغـم الـبـلـى وبها المدلج في الليل استضاءْ
سوف يفنى القول إلَّا قولهم ويـمـوت الـنـاس إلا الـشـعـراءْ
عـد إلـيـنـا نـسـمـة حـائـرة ذات نـجـوى وحـنـيـن وولاءْ
ثـم حـلـق بـجـنـاحـيـن إلـى عـالـم نـحـن لـه جـد ظـمـاءْ
طِرْ مطارَ النسم واترك قدَمًا ثقلت بالشوك في أرض الشقاءْ

تكريم السيد إبراهيم عبد الهادي (وزير الصحة)

خذ من طبيب الحي رأي النادي   واسمع إلى غريد هذا الوادي
إني عن الفئتين قمت وإنه   شرف بلغت به أجلَّ مرادِ
أنا لا أوفِّي اليوم حقك وحده   لكن أؤدي فيك حق بلادي
يا عائدًا تحدو السلامة ركبه   بوركت في الغيّاب والعوادِ
مصر التي بك في اشتداد كروبها   عرفت فتى الفتيان يوم جهاد
رفت عليك قلوبها وتطلعت   وهفت إليك منابر الأعواد
أي المحامد فيك لم ترفع به   رأسًا ولم تتحدَّ كل معادي؟!
وطنية ملء الفؤاد وهمة   علوية من حكمة وسداد
فلو ان أعواد المنابر قد مشت   لمشت لإبراهيم عبد الهادي
أنا ما التفت إليك إلا عادني   طيف يراوح خاطري ويغادي
طيف من الماضي الكريم وصفحة   (أخذت لها عهدًا على الآباد)
إني به مترنم وبكل ما از   دانت به تلك الصحيفة شادي
أيام يجمعنا الشباب وكلنا   بالروح والدمِ والجوارح فادي
السجن مثل الأسر مثل النفي مثـ   ـل القتل، تلك قضية استشهاد

تكريم الدكتور علي إبراهيم

في يوبيله الفضي

إليك أزف في اليوم الجليل   تحيات الزميل إلى الزميل
تحيات يرف عليك منها   ندى الأسحار في ظل الخميل
سلامًا للإمام علِيَّ جئنا   إليه بالعشير وبالقبيل
نبايع منه فنًّا عبقريًّا   وعقلًا في العقول بلا مثيل
تَلَفَّتْ يا عليُّ تَجِدْ وفاء   وما احتاج الوفاء إلى دليل
أقول لحاسب الستين مهلًا   وقعت على الحساب المستحيل
إذا أحصيت للأجسام عمرًا   فكيف تعدُّ أعمار العقول
ولو أن الألى أنقذتَ جاءوا   يؤدون القديم من الجميل
ولو أن الألى علَّمتَ جاءوا   يؤدون القليل من القليل
ولو منحوك عمرهمُ جميعًا   وما هو بالكثير ولا الجزيل
إذن لرأيت عمرك عمر نجم   له في اللانهاية ألف جيل
بربك كم وصلت حياة قوم!   وكم حاربت من داء وبيل!
وكم أنقذت من أسْر المنايا!   وكم نضوٍ شفيت! وكم عليل!
إذا ما الموت أبدى ناجذيه   إذا انطفأت عيون في الذبول
إذا غامت محاجرها ظماءً   كما غامت نجومٌ في الأفول

فما هو غير أن أقبلتَ حتى | تبدَّل كل أمر مستحيل
كأنك لمع برق في الأعالي | يحيي مقدم الغيث الهطول
كأنك واحةٌ في القفر لاحت | رأتها أعين الركب الكليل
كأنك جنة في البيد تندى | بعذب الماء والظل الظليل
ولو أيامك العصماء جاءت | بكل أغر مزدانٍ حفيل
إذن لطلعن في الظلمات بيضًا | من الغرر اللوامع والحجول
ولو أن المآثر ذات قول | لقلت تكلمي وصفي وقولي
أضفها فهْي أعمار أضيفت | وما تدري لماضيك النبيل
تعال أذع لنا سر الفحول | ودع صمت الحيي أو الخجول
سلالة عبقرٍ وعشير جن | بعدتم في الحياة عن الشكول
فما للشيب من باب إليكم | ولا للضعف يومًا من سبيل
لقد جهل الألى حسبوك شيخًا | فلا تقبل حسابًا من جهول
أعيذ صباك كيف يكون شيخًا | شعاع سلافة وسنا شمول؟!
وما ظفروا بأثبت منك عودًا | ولا أقوى وأصلب في الحمول
ولا ظفروا بأصفى منك روحًا | كأن مزاجها من سلسبيل
أرى سحر الشباب عليك غضًّا | وقاك الله أنفاس الأصيل
تعالى الله كم من معجزات | معلقة بإصبعك النحيل!
محيل القسوة الكبرى حنانًا | ورافعها إلى فن جميل
معارك من دمٍ أم ساح حرب | أسنتها منغمة الصليل
يسير المبضع الجبار فيها | بكفك سير مطواع ذليل
معارك كم كسبْت بها حياة | وما لك في المواقع من قتيل!
تقسمك الورى قومًا فقومًا | وما لك بالورى ضجر الملول
تقضّي في مسائك ألف أمرٍ | وتقطع في نهارك ألف ميل
وإما سرت عن حفل قصير | فعن وعد بمؤتمر طويل
وأنت أب لذا وأخ لهذا | ومنك لمن رجاك يدا خليل

* * *

نبيّ الطب أدركنا إذا ما | تطلعت العيون إلى رسول

فكم في مصر أجسام مراض　　بـأرواح كـأشـبـاح الـطـلـول!

فيا أسفا إذا تركت فظلت　　فـرائس لـلـدعـيّ ولـلـدخـيـل

عليّ لقد ملكْت عصاة موسى　　فقم واضرب بها أفعى الخمول

أقول لأعين الطب الحيارى　　وقعت من الفخار على سليل

أبا حسن سلمت على الليالي　　وعش متعت بالعمر الطويل

المرحوم أنطون الجميل

رئيس تحرير الأهرام[1]

كيف أنسى زمنًا كنت به من أخ أغلى وأسمى من أبِ
ضقت ذرعًا بزماني وكذا ضاقت الأيام والآلام بي
رائحًا في لجة طاغية غاديًا في عاصف مضطربِ
قد تغشاني ظلام لا أرى فيه مغداي ولا منقلبي
صامدًا للظلم والظلم له معول يهدمني عن كثب
وأنا أدفعه عن منكبي بيدي حتى تهاوى منكبي
وتماسكت فلم يبق سوى كبرياء هي درع للأبي
هتفت بي النفس فلنمض إلى ذلك الورد الكريم الطيبِ
إن «أنطون» وما أعظمه! طاهر القلب نبيل المشربِ
كأس ود لم ترنق أبدًا وصفت كالذهب المنسكب
ونداماه على طول المدى رفقة حفّوا به كالحبب

[1] ألقيت في حفلة تكريم في منزل صديقه الأديب الوزير إبراهيم دسوقي أباظة.

* * *

مكتب لا بل بساط عامر ... بالمعالي يا له من مكتب
مكتب قد صيغ من عالي ... المساعي ونبيل الدأب
مكتب يُزهي بحُر ماجد ... ثابت الرأي سني المأرب
صائد الدر تراه غارقًا في ... صحف أو غائصًا في كتب
مصغيًا في حكمة، أو مطرقًا ... في وقار سامعًا في أدب
فإذا أدلى برأي تلقه ... راح يدلي بالعجيب المطرب
مستفيضًا ببيان جامع ... سحر «هوجو» وجلال العرب
ذاك «أنطون» وما أروعه! ... صفحة لا تنتهي من عجبِ
قطرات حسبت من عرق ... وهي لو حققتها من ذهب
أسعد الأيام يوم ضمني ... بك في دار كأفق الشهب
كُرّمت من شرف وارتفعت ... بالعلا، وازَّينت بالحسب
لدسوقيٍّ وما أنسى له ... إنه مثلك في الفضل أبي
كيف أنسى فضله وهْو الذي ... ذاد عني عاديات الحقبِ
أنتما للمجد ذخر فابقيا ... للمعالي، واسلما للأدب

عبد الحميد عبد الحق (١)

في حفلة تكريمه بدار الأوبرا

أنت فوق التكريم فوق الثناء جلَّ ما قد أسديت عن إطراء
يا عظيم الشؤون جلَّتْ شؤون أنت منها في الذروة الشماء
يا عظيم الأوقاف جلتْ أمور عرّفتنا مواقف العظماء
لم نكرمك للوزارة والمنـ ـصب والمجد والسنا والرواء
نحن قوم نهيم بالرجل الكا مل يمضي للأمر دون التواء
الرحيب الصدر، القوي على الخطـ ـب السريع الهدم السريع البناء
قد رأيناك كالمنار المعلى مثلًا للقوي في الأقوياء
ورأيناك في الرجال فريدًا فاقتفينا خطاك أي اقتفاء
وحببناك ما بنا من نفاق لا ولا في قلوبنا من رياء

***

إي وربي لأنت من صور الما ضي ومجد الجدود والآباء
وجلال الصعيد والملك في الوا دي عزيز البنود ضافي اللواء
قد ينام التراث جيلًا فجيلًا غافيًا في مجاهلٍ خرساء
وتنام الروح العريقة في المجـ ـد لتبدو في طلعة سمراء
فتراها مصرية السمت والقوْ وَة والعزم والحجى والمضاء

قسما قد غفا الجلال ليصحو   من جديد في وجهك الوضاء
أيها الكوكب الدؤوب على الدهـ   ـر بلا فترة ولا إبطاء
تصنع الخير واضحا شبه نجم   ساكب نوره بعرض الفضاء
وتؤديه خافيًا مثل نجم   مستتر خافٍ خلال السماء
غير أن النفوس تعلم مسرا   ه وإن كان ممعنًا في الخفاء
وعظيم الفعال يجمل بالإفـ   ـصاح عنه كالسيف غب الجلاء
ما جمال الربيع في الروض إن لم   يشدُ طير في الروضة الغنَّاء؟
ما جمال السماء والبدر إن لم   يشدُ سار في الليلة القمراء؟
واضياع النبوغ في مصر إن لم   تتحدث منابر الخطباء
واضياع النبوغ في مصر إن لم   يَكُ تخليده على الشعراء
طاقة الشعر طاقة الورد معنى   جلَّ قصدًا وقلَّ في الاهداء
لست تجزي به أقل الجزاء   فتقبله آية من وفاء

***

كيف ننساك والعفاة على با   بك حشد يموج بالبأساء
الشريد الطريد والعامل المر   هق يشقى من صبحه للمساء
وبيوت هي العريقة في الأمـ   ـجاد صارت عريقة في الشقاء
لم تطق أن ترى دموع اليتامى   تترامى على أكف السخاء
والأيامى كالكأس بعد الندامى   ذكرت حظها من الصهباء
وقف الدهر دونهم كل باب   طرقوا صم عن ذليل النداء
غير باب من المروءات سمح   لك ما ردَّ مرة عن نداء
انظر الحفل داويًا بالدعاء   وانظر البحر زاخرًا بالنداء
أنت ورد النبوغ جادت به الدنـ   ـيا لقوم إلى المعالي ظماء
كلما أطلعت لهم عبقريًّا   جعلوا منه معقدًا للرجاء
حمدوا فيك يومهم واطمأنوا   مشرئبين للغد المترائي
كيف ننساك في المحاماة حرًّا   طاهرًا ذيله عفيف الرداء؟!
وقف المجلس المحير يومًا   مرهف المسمعين بالإصغاء
إذ يرى فيك نائبًا وخطيبًا   دامغًا بالحقيقة البيضاء

عبد الحميد عبد الحق (١)

مـفـعـمًـا مـقـحـمًـا قـويًّـا جـريـئًـا   مـاحـقًـا لـلـخـصـوم والأعـداء

عبد الحميد عبد الحق (٢)

في وزارة الأوقاف

قل لوزير الحق وهْو الذي
قد استقامت في حجاه الأمورْ

خذ من مقالي ذمة إنني
عنهم إلى ساح المعالي سفيرْ

يا جاعل الأوقاف في عهده
مدينة والقفر فيها قصور

ونابشًا فيها الكنوز التي
مرَّت عليها بالعفاء العصور

نبشْت فيها عبقرياتها
منقبًا عن كل قدر خطير

فكل ما قيل وما لم يقل
عن فضلك الجمِّ الغفير الوفير

مما جرى في شفةٍ عاجزًا
وما توارى في حنايا الصدور

من حق عبد الحق في عدله
له — وإن يأبى — إليه المسير

تحية للأصل مردودة
وباقة قد قدمت للوزيرْ

سبحان ربي قد رأينا الدجى
يجلوه في عهدك صبح منير

ماشيت هذا العصر في سيره
والعصر يعلو بجناح النسور

ما زلت بالأوقاف حتى رأت
محطم القيد وقادي الأسير

كم عيروها بسلحفاتها!
فلينظروها بجناحٍ تطير

يا نابشًا فيها كنوز الحجى
من كل وهاجٍ قليل النظير …

من ذهب الدار وآياتها
فتى كبير القلب صافي الضمير

له معاني البحر في هدأة
وفيه روح كانسياب الغدير

خذ من سجاياه ومن علمه   ما يهب الورد وتطوي البحور

عبد الحميد عبد الحق (٣)

في وزارة الأوقاف

عش مديدًا وجددِ واعل والمع كفرقدِ
لو رأى الحق عبده وهْو بالحق يهتدي
وعلى الحق رائحًا وعلى الحق يغتدي
بسط التاج باليد قائلًا قم تقلدِ
قم تقلَّدْ تقلدِ يا أميري وسيدي
وبإيمان ركَّعٍ وتسابيح سجَّدِ
بايع الحق عبده والبرايا بمشهد

***

انظر الساح داويًا بالنداء المردد
انظر البحر زاخرًا بالشباب المجند
حمدوا فيك يومهم مشرئبين للغد
عش مديدًا لتبتني كل صرح ممرد
فلك الرأي قاطعًا ما به من تردد
يهدأ السيف في القرا ب ويثوي بمرقد
ولك السيف ساهرًا يقظًا غير مغمد

* * *

خذ بيانًا نظمته　　شبه عقد منضد
ما به من تزلف　　جلَّ شعري ومقصدي
خالد أنت بالعلى　　والفعال المسدد
فتقبل على المدى　　كل شعر مخلد

الشاعر عزيز أباظة

في حفلة تكريمه بمنزل الوزير الأديب دسوقي أباظة

غيث على القفر حيًّانا وأحيانا ... يا شاعر الجيل كان الجيل ظمآنا

كنا نعيش من الدنيا على عدة ... نبني من الأمل الموعود دنيانا

فالآن قد حققَتْ ما كان منتظرًا ... منها وإن لمعت بالوعد أحيانا

جاءت بأروع من هز البيان ومن ... أعاد مجد القوافي مثل ما كانا

ريحانة النيل هزت نفسها طربًا ... وقدمت لأمير الشعر ريحانا

ماذا نقول ونبدي بعدما سبقت ... لك الشهادة من تكريم مولانا

أقمت من عبقري الشعر برهانًا ... وقبلها كنت للأخلاق عنوانا

بآيتين: وفاء للتي ذهبت ... وأنت مَنْ حفظ الذكرى ومَنْ صانا

إن التي نضَّرت عيشًا نعمت به ... وصيرت بيتك المعمور بستانا

لو لحظة نحو ذياك الضريح رنت ... عيناك، تلق الهوى لم يختلف شانا

وآية من وفاء للألى سحبت ... عليهمو حادثات الدهر نسيانا

عهد الرشيد وعهد المجد في زمن ... به توطد ملْك العرْب سلطانا

وعهد بغداد حيث العيش مؤتلقٌ ... يهفو خمائل أو يهتز أفنانا

جلوته وهْو فتاك بجعفره ... والسيف يقطر بغضاءً وعدوانا

يا للطلاء الذي يكسو النفوس لكم ... كسا النفوس من التزييف ألوانا

تلك الطبيعة لا شيء يغيرها   ينام فيها خيال الفتك وسْنانا
الحرص يوقظه والمجد يوقظه   والويل إن وثب الوسنان يقظانا

* * *

جوزيت عن لغة الفصحى وأمتها   عمرًا مديدًا وتكريمًا وإحسانا

أغنية أنتِ

أنتِ إن تؤمني بحبي كفاني لا غرامي ولا جمالك فاني
أجدب الهجرُ خاطري وخيالي وأجف النوى دمي ولساني
فتعاليْ روِّي الظما في عيوني وا جنوني لقطرة من حنان
طال والله في تنائيك ذلي ووقوفي على ديار الهوان
أي روح أحسه أي سر في جناحيك كلما ظللاني!
أي روح أحسه أي سحر سكبت فيّ هاته العينان!
لكأنّ الرميم ما تبعثان وكأن النشور ما تسكبان
وكأني محلق في سماء ومطل منها على الأكوان
مستعز بما منحت قوي أجمع الكون كله في عنان

الإبراهيميات

لصاحب المعالي دسوقي أباظة فضل على الأدب والأدباء، فهو أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما في ذلك من منازع، هذا فوق فضله على ناظم هذا الديوان، الذي يجد أنه في الأبيات القليلة التالية لا يعبر إلا عن جزء ضئيل مما يعتلج في خاطره من الشكر والمحبة وعرفان الجميل.

في حفلة تكريمه في دار الأوبرا

منًى نلتَها كانت لأنفسنا منَى ... تلفتْ تجد مصرًا بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى ... وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكنَّ قلب الحُرِّ تعروه نشوةٌ ... فيثني على الآلاء وضَّاحة السنا
إذا أخذ البدرُ المنير مكانه ... ومُلِّكَ آفاقَ السما وتمكنا
إذا الملك المحبوب قدر سيدًا ... وعن رأيه في الفضل والنبل أعلنا
فعن ثقة ممن يحب ويحتبي ... وإيمان قلب بات بالحق مؤمنا
سلامًا مليك النيل أنت ربيعه ... وأنت مغنيه وفي ذاتك الغنى
فذلك تكريم الربيع لروضِة ... جلاها الأباظيون وارفة الجنى
أجلْ! روضة صارت لكل عظيمة ... وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجدِ والعلى ... إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي إذا راح سيد ... غدا آخرٌ نحو اللواءِ فما ونى

***

عصيُّ القوافي سار نحوك مسرعًا ... ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا
وأنت الذي فك القيودَ جميعَها ... عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرةً ... بذلنا له من أجود الشعرِ معدنا

***

دسوقي إذا أقللتُ فاقبل تحيتي ... فما أنا شاديهم ولا خيرهم أنا

ولـكنـنـي صـوت الـمـحـبـين كـلـهـم ومن روضك الغالي وبستانهم جَنَى
فراش على مصباح مجدِكَ حائم وأي فـراش مـن جـلالـك مـا دنـا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم فـدعـنـي أقـم عـمـا يـكـنُّـون مـعـلـنـا

في جامعة أدباء العروبة

يـا ربـيـعًـا جـمـل الـلـه بـه ... روضة الدنيا ووقاها الخريفْ
وشـعـاعًـا مـده الـلـه عـلـى ... هـذه الأمـة مـن مـدْن وريـفْ
أيـهـا الـنـعـمـة لا حـدّ لـهـا ... نحن من نعماك في ظل وريف
يا شريف النفس والقلب لنا ... فيك صافي القول والشعر الشريف
يـا أبـا الـرقـة لا تـعـدلـهـا ... رقة الوالد ذي القلب العطوف
رقـة تـنـزل مـن عـلـيـائـهـا ... كشعاع البدر بالضوء اللطيف
يـتـمـنـى الـشـعـر فـيـه غـايـة ... وهْو عنها عاجز الباع ضعيف
كـلـمـا حـاولـهـا أعـجـزه ... قصر الطرف عن الصرح المنيف
أيـهـا المصباح صرنا حوله ... كفراش حام بالنور يطوف
أيـهـا الأيـك غـدونـا حـولـه ... نسمًا في الأيك موصول الحفيف
أنا مَن غنَّاك عنهم فاستمع ... من أغاريد الربى نجوى الأليف

في ندوة الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباظة

وزيري الطيب الحر الجليلا تقبله هوى حرًّا نبيلا
يقيم على الحوادث لا يبالي ويأبى في العوادي أن يميلا
ولا يدري الزمان له اختلافا ولا يدري الرياء له سبيلا
على الأدب الرفيع وواردية بسطت الخير والظل الظليلا
وما للقائلين عليك فضل فقد جئنا نرد لك الجميلا
قطفت لك القوافي طوق شعري فعذرا إن قطفت لك القليلا
وددت بأن أطيل لك القوافي فيمنعني حياؤك أن أطيلا
وزيري الطيب الحر الجليلا وقفت عن الرفاق هنا رسولا
أعيد لك الذي يطوي فؤادي وفخرًا أن أعيد وأن أقولا
أقول لجاهلٍ معنى المعالي إلامَ يظل جاهلكم جهولا
دسوقي لا الوزارة قربتنا ولا قامت على صلة دليلا
عشقنا فيك أخلاقًا وفضلا تقبله هوى حرًّا نبيلا

تعزية لمعاليه في بعض السراة الأباظيين

إن السراة الأباظيين قد عظموا ... عن طوق ند وعن تحليق أضداد

تخطف القَدَرُ الجاري أحساسنهم ... بصير في المنايا أو بنقَّاد

كم صحْت والعين تذري الدمع في أسف ... على الجواهر في كف الردى العادي!

ألا رقًّى للأباظيين تحفظهم ... على الحوادث من أنظار حساد؟!

في منزل الشاعر وقد تكرم الوزير بزيارته

بأي لفظ يفيك شعري ... شرفت قدري وزنت داري
أما كفى برك المواسي ... فزدتني روعة المزار
أقسمت بالشمس في ضحاها ... أقسمت بالبدر بالدراري
بفضلك الماحق الدياجي ... كأنه واضح النهار
فيك من البحر كل معنى ... فمن سمو إلى وقار
وأنت صدر العباب رحبًا ... وبسمة الشط والمنار
كأن هذا الجميل يترى ... من طيب غادٍ ولطف ساري
موج من البر ذو اتصال ... بلا هدوء ولا قرار
غمرتني بالجميل حتى ... لجت قوافيَّ في العثار
أنقذني البحر غير أني ... غريق فضل بلا قرار
كنت ندى في رياض عيشي ... وكنت غيثًا على القفار
لقيت ضنكًا من الليالي ... فمن غمار إلى غمار
قد طال عتبي على الليالي ... وطال للراحم انتظاري
صفحت عن كل ما أساءتْ ... حق لها الليلة اعتذاري

في حفلة الربيع التي أقامتها جامعة أدباء العروبة

أمير الفضل فضلك بيت شعر عُلاك نسجنَ معناه الرفيعا
إذا كان الضياء نسيج فن سناه يملأ الكون الوسيعا
فحولك حيثما تمشي وتسعى قصيد عامر غمر الربوعا
تكلم حيثما تمضي مبينا وما عرف البيان ولا البديعا
حببت سناك أتبعه بشعري وفخرًا أن أكون له تبيعا
مدحتك جهد مقدرة القوافي فضقت بها مقصّرة جميعا
أتعصاني مغردة بنفسي معودة هنالك أن تطيعا!
أقول لها وقد كلت قصورًا رويدكِ، واهدئي لن نستطيعا
يراك الناس حيث ترى عظيما كريمًا في تسامحه وديعا
وأنت النهر دفاقًا قويًّا إذا ما همَّ لم يملك رجوعا
يفيض على الربوع جلال نعمى ويغشى من حوائلها المنيعا

مظلمة

أنـا لا أظـل، وكـل شــي ءٍ مـسـتـمـد مـن جـلالـكْ
فــي قــاتــم مــحــلــولــك سدّت علـي بـه الـمـسـالـكْ
إن لـم تـضـعـنـي فـي سـنـا ك حمدت حظي في ظلالكْ
إن لـم تـضـعـنـي فـي يـمـيـ ـنك فالتفتْ لي في شمالكْ
الـرأي رأيـك لـيـس فـي الــ ــأوقـاف شــيء غـيـر ذلـك
يـا أحـكـم الـحـكـمـاء لا يـفـتـى وفـي الأوقـاف مالكْ

شكر واعتذار

أبـي! أخـي! كـعـبـة آمـالـنـا — أكـرمـتـنـي أكـرمـك الـلـهُ
أعجب ما في الشكر أني امرؤ — بـيـانـه عـنـدك يـعـصـاهُ
يا من يرى القلبَ وشكواه — ويـعـلـم الـشـعـر ونـجـواهُ
كم شـاعـر مـنـطـقـه خـانـه — فاغرورقت بالشعر عيناهُ!
مـا أكـرم الـخـلـق وأسـمـاه! — وأعـذب الـطـبـع وأصـفـاهُ!
إنـك فـردٌ دون ثـانٍ ولـن — يـرى لـهـذا الـنـبـل أشـبـاهُ
عفوك عن حال فتىً متعب — بـات عـلـى الأشـواك جـنـبـاهُ
طال به الليل على حيرة — وامـتـد كـالـموجـة يـغـشـاهُ
يسائل الليل على طوله — عـن ذلـك الـلـيـل وعـقـبـاهُ
والنور أين النور؟ هل غاله — مـاحٍ مـحـا الـفـجـرَ وأخـفـاهُ؟
قد كِدْتُ لولا ثقة لا تهي — وخـشـيـة الـلـه وتـقـواهُ
أقـول جـف الـبـر لا ديـمـة — تـهـمـي ولا الـمـزنـة تـرعـاهُ
حتى رأيت الخير في طلعة — تـحـمـل لـي الـخـيـر وبـشـراهُ
في لمعة تومض في فرقد — فـي فـلَـك أنـت مـحـيـاهُ
حمدت ربي وعرفت الرضى — يـا رحـمـة الـلـه ونـعـمـاهُ

بطل الأبطال

الشهيد عبد الحكيم الجراحي

بطل الأبطال من أرض الهرمْ — لبس الغار وجلَّى وغنمْ

كيف تذرون عليه دمعكم — وهْو وضاحُ المحيا يبتسمْ

كيف يبكي منكمُ الباكي على — عَلَمٍ لف شهيدًا في عَلَمْ

يا شباب النيل فتيان الحمى — وحماة الدار أشبال الأجمْ

زعموكم أمة هازلة — كذب الزاعمُ فيما قد زعمْ

تتحداهم على طول المدى — ثورة نكراء شبت تلتهمْ

ومقال الدهر عنا في غد — وحديث المجد عن عبد الحكمْ

كم أغر في بواكير الصبا — ناضر يسحب أذيال النعمْ!

طبْعه الجود فلما هتفت — مصر تدعوه تناهى في الكرمْ

قدم الورحَ إليها ومشى — ثابت الخطوةِ جبارَ القدمْ

كلفتهُ اليقظةُ الكبرى بها — همة ترعى وعينًا لم تنمْ

جشمته خطة دامية — وعرة المسْلك حفتْ بالألمْ

يجد الموتُ بها لذته — ويرى العار إذا المرء سلمْ

* * *

يا لهذي الجنة الفيحاء كم — فتحت قبرًا لباغٍ قد ظَلم!

يصبح الصبحُ على هذي الربى　　　فـإذا الـورد ضـحـوك فـي الأكَمْ
فـإذا أمـسـى الـمـسـاء انـقـلـبـت　　　فـوهـةٌ شـعـواءُ تـرمـي بـالـحـمـمْ
لـسـت تـدري إذ تـراهـا ظـمـئـت　　　فـروى الأحـرار واديـهـا بـدمْ
ذاك لون الورد أم لون الردى الـ　　　ـجاثم أم لون الحميم المضطرم!
يا شباب النيل فتيان الحمى　　　وحـمـاة الـدار أشـبـال الأجـم
حطموا القيد الذي حطمكمْ　　　واجـعـلـوا أمـتـكـمْ فـوق الأمـم
وإذا اسـتـشـهـد مـنـكـمْ بـطـل　　　جـاده الـغـيـث وحـيَّـتـه الـديَم
ولـقـد أدى لـمـصـر ديـنـه　　　ذلـك الـفـادي، ووفـى بـالـقـسـم

مصر

أَجلْ إن ذا يوم لمن يفتدي مصرا ... فمصر هي المحرابُ والجنةُ الكبرى
حلفنا نولي وجهنا شطر حبها ... وننفد فيه الصبر والجهد والعمرا
نبث بها روح الحياة قوية ... ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
نحطم أغلالًا ونمحو حوائلًا ... ونخلق فيها الفكر والعمل الحرّا
أجل إن ماءَ النيلِ قد مرَّ طعمُه ... تناوشه الفتاك لم يدعوا شبرا
فدالت به الدنيا وريعت حمائمٌ ... مغردة تستقبل الخير والبشرى
وحامت على الأفْق الحزين كواسر ... إذا ظفرت لا ترحم الحسن والزهرا
تحط كما حط العقاب من الذرى ... وتلتهم الأفنان والزغب والوكرا
فهلا وقفتم دونها تمنحونها ... أكفًّا كماء المزنِ تمطرها خيرا
سلامًا شباب النيل في كل موقفٍ ... على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرا
تعالوا نشيّدْ مصنعًا رُب مصنعٍ ... يدر على صُناعنا المغنمَ الوفرا
تعالوا نشيّدْ ملجأ، رُب ملجأً ... يضم حطامَ البؤسِ والأوجهَ الصفرا
تعالوا لنمحو الجهلَ والعللَ التي ... أحاطتْ بنا كالسيل تغمرُنا غمرا
تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمةٌ ... فلا كان منا غافلٌ يصم العصرا
تعالوا نقلْ للعصب أهلًا فإننا ... شبابٌ أَلِفنا الصعبَ والمطلبَ الوعرا
شبابٌ إذا نامت عيونٌ فإننا ... بكرنا بكورَ الطيرِ نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومةَ المجدِ كلنا ... ومن يغتدي للنصر ينتزعُ النصرا

حب على الصحراء

أحبكَ ما حييتُ وأنتَ حسبي فجربْ أنت قلبًا بعد قلبي
ويا أسفا على صحراءِ عمرٍ جفاها بعدك المطرُ الملبي
نهاري في لوافحِها سرابٌ وليلي من أباطيلٍ وكِذْبِ
وفي أذنيَّ من شفتيكَ عتبٌ إذا أنا ساعةً أضجعتُ جنبي
وتلك قوافلُ الأيامِ تترى تمر علي سربًا بعد سربِ
عوابِسُ لا يطل سناك منها ولم ألمحْ مطالعه بركب
فإن غفلتْ عيونُ الحظِّ عنا وصرت — ولم أكن أدري — بقربي
تبيِّنِّي فتلك خيامُ حبي وإني موقد لك نار قلبي

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها، وقد أوشكت على الفناء، بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثًا عن واحة أو ظلٍّ أو ماء.

تعالَ سلِ القبيلةَ والجمالا	لأيـةِ غـايـةٍ شـدوا الـرحـالا
وكيف تبدلوا أرضًا بأرضٍ	وكيف تغيروا حالًا وحالا
تطلعتِ العيونُ لعل ماءً	يتاحُ على الهواجرِ أو ظلالا
ومدّ الشيخُ في الصحراء لحظًا	كلحظ الصقرِ في الآفاق جالا
كأن بنيه سقْما أو هزالًا	خيال جر هيكلهُ خيالا
أقافلة الحياة أريتنيها	فلم ترَ مثلها عيني مثالا
أجل هي نحن في الدنيا حيارى	وما ندري لقافلةٍ مآلا
رأيتُ حياتَنا. كم من غريب	على جنبيه بالإعياء مالا!
وكم من سائلٍ لم يلقَ ردًّا	وقد سأل الهواجرَ والرمالا!
فإن تجب القفار عليه يومًا	تردّ له سوافيها السؤالا

* * *

أقافلة الحياة أريتنيها	خيالًا، أو ضلالًا، أو محالا

عاصفة

صورةٌ للبحر أم صورةُ نفسٍ　　عندما النفس من اليأس تثورْ
قد علا الموجُ وقد عز التأسي　　لم يعدْ إلا عبابٌ وصخورْ

***

زلزل البحرُ على راكبه　　مثلما زلزل قلبٌ ضجرُ
سفر صار على طالبه　　ركبُ ضنك، والمنايا سفرُ

***

غرَّب الحظُّ كما مال الشراعْ　　هكذا الأعمار في الدنيا تميلْ
وسرتْ في الجو أشباحُ الوداعْ　　وتنادى كل شيء بالرحيلْ

***

أإذا اشتد على القلب البلاء　　أإذا جار عبابٌ وتناهى
تعصف الأمواجُ عصفًا بالرجاء؟!　　كيف ننسى أن للكون إلها؟!

عينان

طوى السنين وشق الغيبَ والظلما   برقٌ تألق في عينيك وابتسما
يا ساري البرق من نجمين يومضُ لي   ماذا تخبئُ لي الأقدارُ خلفهما؟
أجئتَ بي عتبات الخلدِ أم شركا   نصبتَ لي من خداع الوهم أم حلما؟
كأنني ناظرٌ بحرًا وعاصفةً   وزورقًا بالغد المجهولِ مرتطما
حملتني لسماءٍ قد سريْت لها   بالروحِ والفكرِ لم أنقل لها قدما
شفّت سديمًا ورَقَّت في غلائلها   فكدت أبصر فيها اللوحَ والقلما
رأيت قلبين خط الغيبُ حبهما   وكاتبًا ببيان النورِ قد رسما
وسحر عينيكِ إني مقسم بهما   لا تسألي القلبَ عن إخلاصه قسما
واهًا لعينيكِ كالنبعِ الجميل صفا   وسال مؤتلقُ الأمواجِ منسجما
ما أنتما؟ أنتما كأْسٌ وإن عذُبت   فيها الحمامُ ولا عذر لمن سلما
لمَّا رمى الحبُّ قلبينا إلى قدرٍ   له المشيئةُ لم نسألْ: لمن؟ ولما؟
في لحظةٍ تجمعُ الآباد حاضرها   وما يجيء وما قد مرَّ منصرما
قد أودعتْ في فؤاد اثنين كل هوًى   في الأرضِ سارتْ به أخبارُها قدما
كلاهما ناظرٌ في عين صاحبهِ   موجًا من الحب والأشواقِ ملتطما
وساحة بتعلَّات الهوى احتربت   فيها صراعٌ وفيها للعناق ظما
يا للغديرين في عينيك إذ لمعا   بالشوق يومضُ خلفَ الماءِ مضطرما
وللنقيضين في كأسين قد جمعا   فالراويان هما والظامئان هما
بأي قوسٍ وسهم صائب ويدٍ   هواك يا أيها الطاغي الجميل رمى

يـرمـي ويـبْـرئ فــي آن وأعـجـبـه أن الـذي فـي يـديـه الـبـرءُ مـا عـلـمـا
وكـيـف يـبْـرئـنـي مـن لـسـت أسـألـه بـرءًا وأوثـر فـيـه الـسـهـدَ والـسـقـمـا؟
لـو أن لـلـمـوت أسـبـابًـا تـقـربـنـي إلـى رضـاك لـهـان الـمـوتُ مـقـتـحـمـا
إن الليالي التي في العمر منك خلتْ مـرت يـبـابًـا، وكـانـت كـلـهـا عـقـمـا
تـلـفَّـتَ الـقـلـبُ مـكـروبًـا لـهـا حـسـرا وعـض مـن أسـف إبـهـامَـه نـدمـا

إيمان

قـدرٌ أراد شـقـاءنـا   لا أنتِ شئت ولا أنا
عزَّ التلاقي والحظو   ظُ السودُ حالت بيننا
قد كدت أكفر بالهوى   لو لم أكن بكِ مؤمنا!!

إليها

أيها الماضي الذي أودعته حفرةً قد خيم الموتُ بها
أيها الشعر الذي كفَّنتُهُ مقسمًا لا قلتُ شعرًا بعدها
أيها القلب الذي مزقتُه صارخًا: عهدك يا قلب انتهى
قسمًا ما مات منكمْ أحدٌ إنها رقدةُ يأسٍ إنها
آه لو قام رسولٌ ضارعٌ أو شفيعٌ منكمُ يمضي لها
آه من يخبرها عن طائر نسي الأوكارَ إلا وكرها!

بعد الحب

أرى سمائي انحدرتْ وانطوتْ لا تحسبي النجمَ هوى وحدهُ
فيا نجوم الليل لا نجم لي ولا أرى لــي أفــقًــا بــعــدهُ

أنوار المدينة

ضحكتْ لعينيَّ المصابيحُ التي   تعلو رؤوسَ الليلِ كالتيجان
ورأيتُ أنوارَ المدينةِ بعدما   طال المسيرُ وكلَّتِ القدمان
وحسبتُ أن طاب القرار لمتعب   في ظل تحنانٍ وركنِ أمانِ
فإذا المدينة كالضباب تبخرتْ   وتكشفْ لي عن كذوبِ أماني
قدرٌ جرى لم يجرِ في الحسبانِ   لا أنتِ ظالمة ولا أنا جاني

خمر الرضا

يا حبيبي اسقني الأمانيَ واشربْ بوركتْ خمرةُ الرضا وهْي تسكبْ
بورك الكأسُ والحبابُ الذي ير قصُ في الكأس والشعاعِ المذهبْ
نضبت رحمةُ الوجودِ جميعًا وبكَ الرحمة التي ليس تنضبْ
وإذا ضاقت السماءُ بشجوي فالسماءُ التي بعينيكَ أرحبْ
كم تمنيتُ والصدور تجافيـ ـني وتزورُ والوجوه تقطبْ!
كم تمنيت صدرك البر يرتا حُ على خفقهِ الطريد المعذبْ!
هات وسِّدْنيَ الحنان عليه جسدي متعب وروحي متعب

في حفلة تكريم الدكتور ناجي صاحب الديوان

سان جيمس ١٩٣٤

يا صفوة الأحباب والخلّانِ عفوًا إذا استعصى عليَّ بياني
الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ هي فوق آي الحمد والشكرانِ
وأنا الذي قضَّى الحياةَ معبرًا ومرجعًا لخوالج الوجدانِ
أقفُ العشيةَ بالرِّفاقِ مقصرًا حيران قد عقد الجميلُ لساني
يا أيها الشعر الذي نطقتْ به روحي وفاض كما يشاء جناني
يا سلوتي في الدهر يا قيثارتي ما لي أراكِ حبيسة الألحان؟
أين البيان؟ وأين ما علمتني أيام تنطلقين دون عنانِ؟
نجواك في الزمن العصيب مخدرٌ نامت عليه يواقظ الأشجانِ
والناسُ تسأل والهواجسُ جمةٌ طبٌّ وشعرٌ كيف يتفقان؟
الشعرُ مرحمة النفوسِ وسِرُّه هِبةُ السماءِ ومِنحةُ الدَّيانِ
والطبُّ مرمحة الجسومِ ونبعُهُ من ذلك الفيضِ العليِّ الشانِ
ومن الغمام ومن معينٍ خلفَهُ يجدان إلهامًا ويسْتقِيان
يا أيها الحبُّ المطهرُ للقلو ب وغاسل الأرجاس والأدران
ما أعظم النجوى الرفيعة كلما يشدو بها روحان يحترقان!

أنفا من الدنيا وفي جسديهما ذُلُّ السجين وقسوة السجانِ
فتطلعا نحو السماءِ وحلَّقا صُعُدًا إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلفَ الغمامِ وأترعا كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ
اكتبْ لوجه الفَنِّ لا تعدلْ بهِ عَرَض الحياةِ ولا الحطام الفاني
واستلهم الأمَّ الطبيعةَ وحدَها كم في الطبيعةِ من سريِّ مَعانِي!
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرُها ما حاجة الشعراءِ للتيجانِ
«هومير» أمّرهُ الزمانُ بنفسه وقضت له الأجيالُ بالسلطان
اهبطْ على الأزهار وامسح جفنَها واسكب نداك لظامئٍ صَدْيانِ
في كلِّ أيكٍ نفحةٌ وبكل رو ضٍ طاقةٌ من عاطر الريحانِ

غصن صغير

رأيتِ غصنًا صغيرًا　　مــنــورًا ونــضــيــرا
أرق ما تشتهي النفــ　　ــسُ منظرًا وعبيرا
جذبتُه جذب عنفٍ　　قد كاد يذوي الزهورا
فلم يئنَّ لجذبي　　وكان غصنًا صبورا
لكنني لم أدعْهُ　　حتى علا مسرورا
وارتد يضربُ وجهي　　ضربًا عنيفًا مثيرا
وعاد ينشر في الأيــ　　ـك ذا الحديثَ الأخيرا
تضاحك الأيكُ جذلا　　نَ شامتًا مسرورا
ضحكَ الذي بعد صبر　　قد فاز فوزًا أخيرا

دعابات

حفلة عدس في منزل الوزير الأديب دسوقي أباظة

الدعابة موجهة إلى صديقنا الشاعر النابغ الأستاذ محمود غنيم.

دعوتَ فلبينا ودارُك كعبةٌ بها انعقد الإخلاصُ والحبُّ طوَّفا
خميلتُنا تهفو إليها قلوبُنا وأي فؤادٍ للخميلةِ ما هفا؟!
بنوك الألى تحنو عليهم تعطفًا وترعاهم برًّا بهم متلطفا
إذا خلعوا بعض الوقار فدعهمُ فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا
هنا اطرح الأعباء مثقل كاهل وخفف من وقريه من تخففا
فمال على الفضل الأباظي طامعًا وأغرق في الجود الأباظي مسرفا
فيا ندوة السمار هل من مسجل يدوّن إعجاز القرائح منصفا؟
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا مع الطبع جلَّ الطبع أن يتكلفا
وفي دمنا يجري به متواصلًا مع النفَس الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقلٌ عني الغداة وناشر مقالة صدق قد أبت أن تحرَّفا؟
حديث غنيم والردنجوت والذي جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفا

* * *

بصرت به والصحن بالصحن يلتقي فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا

تراءى له لحم فلم يدر عنده أديَّكَ من بعد الطوى أم تخرفا

وأومأ لي باللحظ يسألني به: أتعرفه؟ أومأت باللحظ مسعفا

وقدمته للديك وهْو كأنما يطير إليه واثبًا متلهفا

غنيم! أخونا الديك! قدمت ذا لذا فهذا لهذا بعد لأْي تعرَّفا

وما هي إلا لحظة وتغازلا وقد رفعا بعد السلام التكلفا

فمال على الورك الشهي ممزِّقًا ومال على الصدر النظيف منظفا

جزى الله أسنانًا هناك عتيقة ظللن على الصحن الأباظي عكَّفا

* * *

تعير ناجي بالردنجوت جاءه معارًا فغامرْ واستعرْ أنت معطفا

وأقسم لو أن الردنجوت نلته وجاد به من جاد كرهًا وسلّفا

لقلّبته ظهرًا لبطن محيرًا به تحسبنَّ الوجه من عبط قفا

رأيتك والعدس الأباظي قادم كما انتفض المحموم بشِّر بالشفا

وناهيك بالعدس الأباظي منظر عظيم كما هيأت للعين متحفا

على أنه ما جاء حتى رأيته توارى كطيف لاح في الحلم واختفى

فلله من لفظ ببطنك راسب قرير ومعناه برأسك قد طفا

* * *

قِفا نبك أو نضحك على أي حالة قِفَا صاحبي اليوم من عجب قفا

كأن صحاف الدار في عين صاحبي غوان كستهن المحاسن مطرفا

أشار لإحداهن إذ برزتَ له وناجته عن بعد وأبدت تعطفا

«تسائلني: من أنت؟ وهي عليمة» وهل بفتى مثلي على حاله خفا؟

سأخبرها من أنت! إنك شاعر قنوع إذا ما الخير جاء تفلسفا

ومن أنت حتى ترفض النعمة التي أتيحت وتأبى مثلها متقشفا؟!

فتى حاله غلبٌ وآخره الطوى وخطته عريٌ ومشروعه الحفا

هجو في من اسمه عبد الحميد

رجل أرى — بالله — أم حَشَرَهْ   سبحان من بعبيده حشَرَهْ

يا فخر داروين ومذهبه   وخلاصة النظرية القذرهْ

أرأيت قردًا في الحديقة قد   فلّته أنثاه على شجرهْ؟

عبد الحميد اعلم فأنت كذا   ما قال داروين وما ذكرهْ

يا عبقريًّا في شناعته   ولدتك أمك وهي معتذرهْ

هجو شاعر

أيـهـا الـحـي ومـا ضـرْ　　رَ الورى لو كنت مُتًّا
أوَ شـعـر ذاك؟! لا بل　　حـجـر يـنـحـت نـحـتـا
تـلـقـم الـنـاس وتـرميـ　　ـهم به فوقًا وتـحـتـا
صحت من يأسي لما　　برَكِيك الشعر صحتا
آه يـا قـاتـل يـا سـفْــ　　ـفَاك! حتى أنت حتى!

الخريف

يا حبيبي غيمة في خاطري وجفوني وعلى الأفْق سحابهْ
غفر اللهُ لها ما صنعت كلما شاكيتها تندى كآبهْ
صرخ القفرُ لها منتجِبًا وبكى مستعطفًا مما أصابهْ
فأصمّ الغيثُ عنهُ أذْنَهُ ما على الأيام لو كان أجابهْ؟!

***

كثر الهجرُ على القلب فهل من سلو أو بعاد يرتضيه؟
أنت فجرٌ من جمال وصبا كل فجر طالع ذكَّرنيه
كيف جانبتك أبغي سلوةً ثم ناجيتك في كل شبيه؟
أيها الساكن عينِي ودمي أين في الدنيا مكان لست فيه؟

***

عندما أزمعَ ركب العمرِ رحلةً نحو المغاني الأخرِ
ظهرت تجلوك كفُّ القدرِ صورةً أروع ما في الصورِ
تتراءى في الشباب العطرِ نفحةً تحملُ طيبَ السحرِ
وقف العمرُ لها معتذرًا وثنى الركبُ عنانَ السفرِ

***

عندما أقفرتِ الدنيا جميعا لحتَ لي تحمل عمرًا وربيعا

إن يكن حلمًا تولى مسرعًا أجمل الأحلام ما ولَّى سريعا
إن يكنْ ما كان دَيْنًا يقتضي خلني أدفعه عنك دموعا
قد شريناه عزيزًا غاليًا إن تكن بعتَ فإني لن أبيعا

* * *

يا ندامى الحب سُمّار الهوى سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب
أرقوني أجرع السقم وبي صفرة الكأس وأوهام الحباب
كلما تقبل أيام المنى تنجلي النعماءُ عن ذاك السراب
وترى أياميَ الحيرى على عرسها الضاحك أحزان الضباب

* * *

لم أقيدك بشيء في الهوى أنت من حبي ومن وجدي طليقْ
الهوى الخالص قيدٌ وحدهُ رب حر وهْو في قيد وثيقْ
مزَّقت كفيك أشواكُ الهوى وأنا ضقت بأحجار الطريقْ
كم ظميٍّ بظميٍّ يرتوي! وغريق مستعين بغريقْ

* * *

يا ليالي العمر ما سر الليالي البطيئات المملات الطوالِ
مسرعات مبطئات ولها خفة الموت وأثقال الجبالِ
كاسفات البال عرجاء المنى عاثرات الحظ شوهاء الظلالِ
عجبًا للعمر يمضي مسرعًا للمنايا بسلحفاة الملال

* * *

يا قمارى الروض في أيك الهوى جفَّتِ الروضةُ من بعد النديمْ
حل بالأيك خريفٌ منكرٌ وظلال قاتماتٌ وغيومْ
ماتت الروضةُ إلا طائفًا من هوًى حيٍّ على الذكرى يقومْ
فإذا أنكر ما حل بها فر يبغي سربَه بين النجومْ
شاهت الدنيا وجوهًا ورؤًى وتولاها سهومٌ ووجومْ
يا عذارى الحسن في ظلِّ الصبا كل حسن بعد ليلاي دميمْ

يا نعيم العيش في ظل الرضا آه لو أعرف ما طعم النعيمْ
أَنكر الجنةَ قلبٌ ضجرٌ أبدي النار موصول الجحيمْ

* * *

طالما موهتُ بالضحك فما غيَّر التمويهُ رأيًا لك فيَّا
كلما تنظر في عيني ترى سري الغافي ومعناي الخفيَّا
وترى في عمق روحي زهرةً قد سقاها الحزنُ دمعًا أبديا
ويراه الناسُ طلًّا وترى أنت دمعًا غائمًا في مقلتيا

* * *

يا فؤادي ما ترى هذا الغروبْ؟ ما ترى فيه انهيار العمرِ؟
ما ترى فيه غريقًا ذا شحوبْ يتلاشى في خضم القدرِ؟
ما تراها اتأدتْ قبل المغيبْ ورمتْ من عرشها المنحدرِ؟
لفتةَ الحسرةِ للشط القريبْ قبل أن تسقط خلف النهرِ ...

* * *

يا فؤادي قاتل اللهُ الضجرْ وعذابي بين حَل وسفرْ
ما ترى قنطرةً من بعدها راحة ترجى وبال يستقرْ؟
ذلك الجرح وما أفدحه! ما عليه لو إلى السلوى عبرْ؟!
قد طواه اليوم في بردته وأتى الليلُ عليه فانفجرْ

* * *

مرَّ يومي فارغًا منك ومن أملِ اللقيا فما أتعسَ يومي!
أنت يومي، وغدي أنت، وما من زمان مرَّ بي لم تكُ همي!
آهِ كم أغدو صغيرًا!، حاجتي لكَ كالطفل إلى رحمةِ أمِّ
ولكم أكبر بالحب إلى أن أغتدي مستشرفًا آفاق نجمِ!

* * *

أي سرٍّ فيك؟ إني لست أدري كل ما فيك من الأسرار يغري

خطرٌ ينسابُ من مفتر ثغر　　فتنة تعصف من لفتة نحرِ
قدر ينسج من خصلة شعر　　زورق يسبحُ في موجةِ عطرِ
في عباب غامض التيار يجري　　واصلًا ما بين عينيك وعمري

* * *

ذات ليلٍ والدجى يغمرنا　　أترى تذكر إذ جزنا المدينهْ؟
كلما روعت من نارٍ شجٍ　　حرما يصلى تلمست جبينَهْ
بيدٍ شفافة مثل الندى الرطـ　　ـبِ تعيد النار بردًا وسكينه
أيها الآسي لناري هذه　　ما الذي تصنع بالنار الدفينه؟

* * *

أخيالًا كان هذا كلُّهُ　　ذلك الجسر الذي كنا عليه؟
والمصابيح التي في جانبيه　　ذلك النيل وما في شاطئيه؟
وشعاع طوفت في مائه　　وظلالٌ رسبت في ضفتيه
وحبيب وادع في ساعدي　　ووعود نلتها من شفتيه؟

* * *

رب لحن قص في خاطرنا　　قصةَ الحادي الذي غنّى سهادَهْ
وكأن الصمت منه واحةٌ　　هيأتْ من عشبِها الرطبِ وسادَهْ
ها أنا عدت إلى حيث التقينا　　في مكان رفرفت فيه السعادَهْ
وبه قد رفرف الصمتُ علينا　　إنَّ في صمت المحبين عبادَهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن أقبلتْ　　من أقاصي السهلِ أصداء بعيدَهْ
تتهادى في عبابٍ ساحرٍ　　مرسلٍ للشطِّ أمواجًا مديدَهْ
كم نداءٍ خافتٍ مبتعدٍ　　تشتهي أذْنُ الهوى أن تستعيدَهْ!
عاد منسابًا إلى أعماقها　　هامسًا فيها بأصداءٍ جديدَهْ

* * *

رفرف الصمتُ ولكن ها هنا كل ما فيك من الحسن يغني
آه كم من وتر نام على صدر عودٍ نومَ غافٍ مطمئنِّ!
وبه شتى لحون من أسى وحنينٍ وأنينٍ وتمني
رقد العاصفُ فيه وانطوتْ مهجةُ العودِ على صمتٍ مرنِ ...

* * *

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها أين في الرمضاء ظل من ظلالكْ
ربما تزخر بالحسن وما في الدمى مهما غلت سر جمالكْ
ربما تزخر بالنور وكم من ضياء وهو من غيرك حالكْ!
لو جرت في خاطري أقصى المنى لتمنيتُ خيالًا من خيالك

* * *

أنا إن ضاقت بي الدنيا أفئْ لثوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا
إنما الدنيا عبابٌ ضمَّنا وشطوطٌ من حظوظٍ فرقتنا
ولقد أطفو عليه قلقًا غارقًا في لحظة قد جمعتْنا
كلما تترى المعاني أجتلي خلف معناها لأسرارِك معنى

* * *

ما الذي صبك صبًّا في الفؤادْ؟ ما الذي إن أُقصِه عنيَ عادْ
طاغيًا يعصفُ عصفًا بالرشادْ ظامئًا سيان قرب وبعادْ
ساهر العينين موصول السهادْ؟ ما الذي يجري لهيبًا في الرمادْ؟
ما الذي يخلقنا من عدم؟ ما الذي يجري حياةً في الجمادْ؟

* * *

كم حبيب بعدت صهباؤه وتبقت نفحةٌ من حَبَبِهْ
في نسيجٍ خالدٍ رغم البلى عبث الدهرُ وما يعبث بِهْ!
ما الذي في خصلة من شعرهِ؟ ما الذي في خطه أو كُتبِهْ؟
ما الذي في أثرٍ خلَّفه من أفانين الهوى أو عجبِهْ؟

* * *

ما الذي في مجلس يألفه عقد الحبُّ عليه موعدَهْ؟
ربما يبكي أسى كرسيُّهُ إن نأى عنه وتبكي المائدَهْ
ربما نحسبها هشتْ إذا عائدٌ هش لها أو عائدَهْ
ربما نحسبها تسألنا حين نمضي أفراق لعدَهْ؟

* * *

كم أعدت لك سترًا في الخفاء وتوارت عن عيون الرقباء!
كم أعدت نفسها وانتظرت واستوت موحشة تحت السماء!
وهْي لو تملك كفًّا صافحت كفَّك الحلوةَ في كل مساء
وهْي لو تملك جودًا بذلت كل ما تملك كفٌّ من سخاء

* * *

رب كرْم مده الليل لنا فتواثبنا له نبغي اقتطافَهْ
وعلى خيمته أسوده عربي الجود شرقي الضيافَهْ
وجد العرس على بهجته وسناه دون ورد فأضافَهْ
ثم وارت يدَه جنيةٌ وطوته في أساطير الخرافَهْ ...

* * *

أرج يعبق في أنحائه حملته نحو عرشينا الرياحْ
كل عطر في ثناياه سرى كان سرًّا مضمرًا فيه فباحْ
يا لها من حقبة كانت على قِصَرٍ فيها كآماد فِساحْ
نتمنى كلما طابت لنا أن يظل الليل مجهول الصباحْ

* * *

يا فؤادي العمر سِفْرٌ وانطوى وتبقتْ صفحة قبل النوى
ما الذي يغريك بالدنيا سوى ذلك الوجه، وذياك الهوى؟!

العائد

أجرْ غربتي أيها العائدُ فقد ملّني الداءُ والعائدُ
أجرْ غربتي فبلادي الهموم وليلٌ بطيء الخطى راكدُ
تقاسمني في نواك الديار وأنتَ لي الوطن الواحدُ
محياك داري ومنك نهاري إذا ضمك الصدرُ والساعدُ

* * *

أجرْ شفتي من عذاب الظما أما أذن اللهُ أن ترحما؟!
أتمعن في الهجر حتى ترانا بكينا دمًا واحترقنا فما؟
ولي رمقٌ صنتُهُ كي أراك فأشفِقْ على رمقي ريثما
إذا طلب الحبُّ برهانَهُ من الموت لبَّيتُ كي تعلما

* * *

لياليّ مرت هباءً عقيمًا فهل تتوالى البواقي سدَى؟
أسائل جرحيَ عمن جناهُ وأرنو فأستخبر العوَّدا
فما اطلعوا اليوم بالبشريات ولا عللوا بالتلاقي غدا ...
فلما تنكرَ حتى المحب تلفتُّ أسألُ عنك العدا

* * *

سلام على غائب عن عيوني حملت حطامي إلى دارِهِ

وقلت لقلبي تمهل بنا   وخبئ شقاءَك أو دارِهِ
تناسَ الأسى ها هنا أو يقال   حملتَ الظلامَ لأنوارِهِ ...
أتغدو إلى عتبات النعيم   بلفحِ الجحيم وإعصاره! ...

الطائر الجريح

زازا

أنا وحدي في البيدِ حيرانُ هائمْ فمتى تذكُرُ القفارَ الغمائمْ

رحمةً يا سماء إن فمي جفَّ وحلْقي عن المواردِ صائمْ

غاض نبعُ المُنى ولم يبقَ حتى ومضةُ الحُلْم في محاجر نائمْ

أيها الطاعم الكرى ملْءَ جفنَيْـ ـك وجفني من الكرى غيرُ طاعمْ

أَبكِني واستبِدَّ بي واقضِ ما شا ء لك الحسنُ فيَّ واظلِمْ وخاصمْ

غير هذا النوى فإن ليا ليه ظلالٌ من المنايا حوائمْ

تضمحلُّ الحياةُ فيه وتنهدُّ كأنَّ النهارَ معْولُ هادمْ

لا تكلْني لذلك الأبد الأسـ ـوَدِ في قاعِ مُزبِدِ اللُّج قاتمْ

لا تكلني لِهُوَّة تعصفُ الأشـ ـباحُ في جوفها وتَعْوي السَّمائمْ

لا تكلْني إلى جناحِ عُقابٍ في ضلوعي محَلِّق الرعبِ جاثمْ

لا تكلْني لضائعٍ في حنايا ها غريبٍ في مَهْمَهٍ من طَلاسمْ

يسأل الزهرُ والخمائلُ والأنْـ ـوارُ عن تِرْبها الضحوك الباسمْ

ذاق ما ذاق في الصبابة إلا ذَبْحةَ الرُّوحِ وانفصالَ التوائمْ

إن تَعُدْ محسنًا إليّ فعُد بي للعهود المقدّساتِ الكرائمْ

وإذا ما رأيتَ عزميَ ينها رُ فثبِّتْ بالذِّكْرَياتِ الدعائمْ

جئتني في الخريف والروضُ عارٍ فكسوتَ الرُّبى عذَارَى البراعمْ

وأجالَ الربيعُ أخضرَ كفَّيْـ ـهِ ليمحو اصفرارَه المتراكمْ

رحلة للنجوم لم تك أوها مًا وبعضُ النعيمِ أوهامُ حالمْ

آه كـم لـيـلـةٍ أراجـع أيـا   مي أَعُدُّ العُلى وأُحصي العظائمْ!
وحسبت الخسار فيها فكان الـ   ـغَبْنُ عندي زَمانِيَ المتقادمْ
قبل أن نلتقي فلما تلاقيْـ   ـنا عرفتُ الغِنَى وذقتُ المغانمْ
حيثما أغْتدِي فإن الدراري   ملءُ روحي وفي خيالي بواسمْ
إن أبِتْ جائعًا فثمَّةَ زادي   أو أبتْ معسرًا فثمَّ الدراهمْ
وعجيبٌ قد كنتَ لي حسد الحسَّـ   ـادِ فيها وكنت أنت التمائمْ
بالذي صُنتُ عهدَه لم أخُنْهُ   ومتى خانتِ الأكفُّ المعاصمْ؟
والذي حكمُه كأقدار عينيـ   ـك فما منهما ولا منه عاصمْ
أيُّ صوتٍ من الغيوب يناديـ   ـني فأطوي له الدُّنَى والمعالمْ
قدَرٌ مُشْعَلٌ على شفةٍ تد   عو فأخطو على اللَّظى غيرَ نادمْ
وفؤادي يحومُ بالنار لا يَحـ   ـفلُ أني على المنيَّةِ حائمْ
الهوى مَصرعي وكم من حِمامٍ   كان بابًا إلى الخلود الدائمْ
وطريقًا من الأسنّةِ والشو   كِ رَوَتْ أرضَه الدموعُ السواجمْ
شهد اللهُ ما قضيتُ الليالي   ناعمَ الجنبِ فوق مهْدٍ ناعمْ
أيُّ جَيشَيْك مُغرِقِي ليليَ الطا   غي أم الشوقُ وحدهُ وهْو عارمْ؟
آهِ مِن رُبما ومن أملٍ يُمْـ   ـسكُ نفسي رجاء يومٍ قادمْ
قد تجيءُ الأنباءُ من شاطئ النيـ   ـل غدًا والمبشراتُ النسائمْ
وتكونُ النجاةُ في القمر السا   ري على زورقٍ من النورِ حالمْ

بقايا حلم

آهِ من وجْدك بالهاجر آهْ   تتمنى أن تراه؟ لن تراه!
خدَعَتْنا مُقْلَتاهُ خدعتْنا   وجنتاهُ خدعتنا شَفَتاهْ
والذي من صوتهِ في مسمعي   وخيالي غادرٌ حتى صداهْ
حُلُم مرَّ كما مرَّ سواه   وكذا الأحلامُ تمضي والحياهْ

* * *

أين يا ليلايَ عهدُ الهرمِ؟   أين يا ليلاي حُلوُ الكَلِمِ؟
هامساتٍ بين أذني وفمِي   ساريات غرِداتٍ في دمِي
كلماتٌ عذبةٌ معسولةٌ   ضيَّعت وارحمتا للقَسمِ
ذهبت مثل ذهاب الحُلمِ   إنني أعلم ما لم تعلمِي

* * *

كيف صدَّقنا أضاليلَ الهوى   بِنُهَى طفلٍ وإحساس صَبِي؟
حسبُنا منه سماء لمعتْ   فوق رأسينا وكوخٌ خشبي
حُلمٌ ولّى ووهمٌ لم يدُم   ما تبقَّى غيرُ خيطٍ ذهبي!

* * *

ذات يوم في أصيلٍ فاتنٍ   ذابت الشمسُ فسالتْ ذهبا
كست النيلَ نُضارًا وانثنَتْ   تغمر الصحراء نَخْلًا ورُبَى

ما على الجِيزةِ أن قد أبصرتْ شفَقِي معتنقًا فجرَ الصبا
قد رأتنا مثل طَيْفَيْ حُلُمٍ ما عليها أقبلا أم ذهبا!

* * *

قلتُ هيَّا! قلتِ نمشي سرْ فما من طريق طال لا نَذْرعُهُ
قلتُ والعمر بعيني كالكرى وأنا في حلُم أقطعهُ
جمع الدهرُ حبيبًا وامقًا بحبيبٍ وغدًا ينزَعُهُ
أطريقان: طريقٌ دونَه في حياتي وطريقٌ معهُ؟

* * *

كلما خلَّى حبيبي يَدَهُ لحظة قلتُ وحبّي أبقِها!
أبقها أنفضْ بها خوفَ غدٍ وأُحِسَّ الأمنَ منها وبها
أبقها أشدُدْ بها أزري إذا ضَعُفَ الأزرُ أو العزمُ وهَى
أبقها أُومنْ إذا لامستُها أن حبي ليس حُلْمًا وانتهى

في ظلال الصمت

ها أنا عُدْتُ إلى حيثُ التقيْنا   في مكانٍ رفرَفَتْ فيه السعادهْ
وبه قد رفرفَ الصمتُ علينا   إنَّ في صَمْتِ الحبيبين عباده
رب لحنٍ قصَّ في خاطِرنا   قصَّةَ الساري الذي غنَّى سهادهْ
وكأنّ الصمتَ منهُ واحةٌ   هَيّأَتْ من عُشبِها الرَّطبِ وساده

***

صَمَتَ السَّهلُ ولكنْ أقبلتْ   من ثنايا السهل أصداءٌ بعيدهْ
كلُّ لحنٍ في هدوءٍ شاملٍ   تشتهي النفسُ به أن تستعيدَهْ
يتهادى في عُبابٍ ساحرٍ   باعِثٍ للشّطِّ أمواجًا مديده
فإذا ما ذهب الليلُ بها   تزخرُ النفسُ بأصداءٍ جديدهْ

***

هدأ الليلُ هنا لكنِّي   كنتُ في حُسنِكِ بالصَّمتِ أُغنّي
كلُّ لحنٍ لَجِبٍ يغشَى دمي   لَعِبَ العازف بالعُود المُرنِّ
ناقلًا للنّهر والسهل معًا   قصةً يشرحُها عنكِ وعنِّي
قصةَ الشاعر والحسنِ إذا اسـ   ـتَبَقَا للخلْدِ في حَوْمة فنِّ

***

ما الذي في خُصْلَةٍ راقدةٍ؟   ما الذي في خطِّه أو كتبِهْ؟

مـا الـذي فـي أثـرٍ خَـلَّـفَـهُ   من أفانينِ الهوى أو عَجَبِه؟

***

مـا الـذي فـي مـجلسٍ يَـألَفُـه   عـقـدَ الـحبُّ عـلـيـه مـوعِـدَه؟
ربـمـا يـبـكـي أسًـى كـرسـيُّـه   إن نـأى عنـه وتـبـكـي الـمائـده
ولـقـد نـحـسـبُـهـا هـشَّـتْ إذا   عـائـدٌ هَـشَّ لـهـا أو عـائـده
ولـقـد نـحـسـبُـهـا تـسـألُـنـا   حـيـن نَـمـضـي أفِـراقٌ لـعِـدَه؟

***

كم أعَدَّتْ نفسَـها وانـتـظـرتْ   واستوتْ موحشةً تحت السماء
وهـي لـو تملِك كفًّا صـافحـتْ   كفَّكِ الـغضّـة فـي كل مـسـاء

***

رُبّ كَـرْمٍ مَـدّه الـلـيـلُ لـنـا   فتواثبنا له نَبْغِـي اقتطافَـه
وعـلـى خـيـمَـتـه حـارسُـه   عربيُّ الجود شرقيُّ الضيافهْ
وجَـد الـعُـرسَ عـلـى بـهـجـتـه   وسـنـاه دونَ وَرْدٍ فـأضـافـهْ
ثـم وراتْـهُ غَـيـابـاتُ الـدّجـى   كخيالٍ من أساطيرِ الخُرافه

***

أرجٌ يـعـبـقُ فـي جُـنـحِ الـدُّجـى   حملَته نحو عَرْشَيْنا الرياحْ
كـلُّ عـطـرٍ فـي ثـنـايـاه سَـرَى   كان سِرًّا مُضْمرًا فيه فباح
يا لَـهـا من حِقبَةٍ كانت على   قِـصَـرٍ فـيـهـا كـآمـادٍ فِـسـاحْ
نـتـمـنـى كـلـمـا امـتـدَّت بـنـا   أن يَظَلَّ الليلُ مجهولَ الصَّباحْ

***

أنـا إن ضـاقـتْ بـيَ الدنيا أَفِـئْ   لـثَـوانٍ رحـبـةٍ قـد وَسِـعَـتْـنـا
إنـمـا الـدنـيـا عُـبـابٌ ضَـمَّـنـا   وشطوطٌ من حُظُوظٍ فرَّقتنا
ولـقـد أطْـفُـو عـلـيـه قَـلِـقًـا   غارقًا في لحْظةٍ قد جمعتنا
ومـعـانـي الـحـسـن تـتـرى وأنـا   ناظرٌ فيها لمعنًى خَلْفَ معنى

* * *

هـذه الـدنـيـا هـجـيـرٌ كـلُّـهـا   أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلالكْ؟
ربـمـا تـزخـرُ بـالـحـسـن ومـا   في الدُّمى مهما غَلَتْ سحرُ جمالكْ
ولـقـد تـزخـر بـالـنّـورِ وكـم   من ضياء وهْو من غيرِك حالكْ
لو جَرَتْ في خاطري أقْصى المُنى   لـتـمـنَّـيـتُ خـيـالًا مـن خـيـالِـك!

* * *

قـلـتُ لـلّـيـلِ الـذي جـلّـلـنـا   والـذي كـان عـلـى الـسرّ أمـيـنـا
أينَ يا قلبيَ مَنْ قلبي اجتَبَى   لـهـواهُ واصـطـفـاهُ لـي خـديـنـا؟
لـم أكـن أطـمـع أن تـرحـمـنـي   بعد أن قَضَّيْتُ في الوجدِ السنينا
لـم أكُنْ أطـمـعُ أن تُـضْـمِـرَ لـي   آسيًا يُبْرئُ لي الجُرح الدفينا
لـم أكـن أعـلـمُ يـا لـيـلَ الأسـى   أن في جُنْحِكَ لي فجرًا جنينا

* * *

أيـهـا الـلائـذُ بـالـصّـمـتِ كَـفَـى   وأدِرْ وجْـهَـكَ لـي وانـظـرْ طـويـلا
لا تـمِـل واسـخـرْ مـن الـدنـيـا إذا   شـاءت الأيـام يـومًـا أن تـمـيـلا

* * *

ما الذي مكَّن في القلب الودادْ؟   ما الذي صبَّك صبًّا في الفؤادْ؟
مـا الـذي ملَّك عينيك الـقـيـادْ؟   ما الذي يعصف عصفًا بالرشادْ؟
مـا الـذي إنْ أُقْـصِـهِ عـنِّـيَ عـاد   طـاغـيًـا؟ سِـيَّـانِ قُـرْبٌ أو بـعـاد!
مـا الـذي يَـخْـلُـقُـنـا مـن عـدم؟   ما الذي يُجري حياةً في الجمادْ؟

* * *

كـم حـبـيـب بَـعُـدت صـهـبـاؤه   وتـبـقـت نـفـحـة مـن حـبَـبِـهْ
فـي نـسـيـج خـالـدٍ رغـمَ الـبـلـى   عَـبَـثَ الـدّهـرُ ومـا يـعـبـثُ بـه!

* * *

أين سلطاني ومجدي والذي حبُّه مجدٌ وسلطانٌ وعزَّه؟
أين إلهامي ونوري والذي أيقظَ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزَّه؟

نأى عني

قد نـأى عنـي الـذي يـرحمُني والـذي يـفـهـمُ آلامـي وروحــي
والــذي أعــبــدُ مــنــه غُــرَّةً كنَدَى الأزهار في الوجهِ الصبيحِ
والــذي أشــتَـمُّ مـنــه غــاديًـا عَبَقَ الأنداءِ في الوادي الصدوحِ
آه يـا هـنـد جـراحـي كـثُـرَتْ فتعاليْ ضَمّدي أنتِ جروحي!

قصة حب

مرت حياتي دون أمنيَّهْ وتقلّبت مَللًا على مللِ
حتى لقيتكِ ذات أمسيَّهْ فعرفت فيكِ مطالع الأملِ

***

طافت بي الأيامُ واحدة لم تلقني فرحًا ولا جزعا
وتمرّ فارغة وحاشدة وقد استوت ضِيْقا ومتسعا

***

والعمرُ سارَ كأنه العدمُ سقمي به عندي كعافيتي
فأذقتني ما لم يذقه فمٌ من أي كاس كنت ساقيتي؟

***

ما هذه الدنيا التي اقتربتْ فيها المنى والظلُّ والثمرُ؟
تجتاز وامضة فمذ وثَبَتْ وثَبَ الهوى وتمهَّلَ القدرُ!

***

قدماك ما انتقلا على دَرَجِ حاشك بل خطرا على ثبجِ
كسفينة خفَّت على اللججِ نشوى بما حملت من الفرَجِ!

* * *

فـي مـظـلـم مـتـعـرج كـابِ والـلـيـل تـغـزونـي جـحـافـلُـهُ
دقّت يدُ النعمى على بابي والعيش خابي النجم آفلُهُ

* * *

يا للمقادير الجسام ولي من ظلمها صرخات مجنونِ
باكي الفؤاد مشرَّد الأمل وقف الزمان وبابه دوني!

* * *

مزّقتِ ظلمة كل ديجورِ وألنت ما قد كان منه عصَى
وفتحتِ مصراعيه للنورِ ما كنتِ إلا ساحرًا وعصا

* * *

ماءٌ ضربتُ الصخر فانبجسا وجرى الغداةَ زلالهُ العذبُ
أيقول دهري إن ما يبسا هيهات يرجع عودهُ الرطبُ

* * *

صيّرت دعواه لتفنيدِ وحطَمْته وهزمت حجّتهُ
وأعدت ما قد جفَّ من عودي مخضوضرًا وأقمت صعدتَهُ!

* * *

يا من رأت طللًا كتمثالِ يستعرض العمرَ الذي مرَّا
وكأنه في رسمِهِ البالي ندم الأسيف ودمعة حرَّى

* * *

ورْد ذوي أو طائر صمتا العمر مثل الظلِّ منتقلُ
الناس لا يدرون من ومتى والناس إن علموا فقد جهلوا
ما خطبهم في روضة حالت أو صوَّحت أفنانها الخُضُلُ

* * *

نزل الربيع بها فنضّرها وأحالها بشبابه لحنا
ومشى الشتاءُ لها فغيَّرها وأحالها لفظًا بلا معنى

* * *

هذا حديثٌ يشبه السِّحرا هيهات أفرغ من روايتهِ
شفق المغيب جعلته فجرًا وبدأت عمري من نهايتهِ

* * *

إني لطيرٌ حائر باكِ قد كانتْ الأحزانُ فلسفتي
ذابت حنانًا يوم لقياكِ وجرت أغاريدًا على شفتي

* * *

يا من طويت عليه جارحتي وسألت عنه الأنجمَ الزهرا
وضربت في الصحراء أجنحتي أستلهم الكثبانَ والقفرا

* * *

والماءَ أنهَل حيثما كانا والبرقَ أَتْبَع حيثما لمعَا
فأرى صفاءَ الوردِ غيمانا والمطلقَ المجهولَ ممتنِعَا!

بقية القصة

كـلَّا ولا لـغـة لـه إلا الـذي   قد جال في عينيك أو عينيّا
أو لفظة جمدت على شفتيك من   فزَع كما ماتت على شفتَيّا
أو حسرة مني إليك وحسرة   مرتدة من ناظريك إليَّا

* * *

لا أنت نائية ولا أنا ناءِ   إني لديك مُقَيَّد بوفائِي
بعضُ الهوى يُسدي كمِنَّةِ مُنعمٍ   وجميلُهُ دَيْنٌ رهينُ قضاءِ
ويقلُّ عُمر الدهر تَوْفيَةً لما   أَسْدَيْتِه بجمالكِ الوضَّاءِ
عُمر الزمان فِدًى لساعةِ مُلتقًى   سمحتْ بها الأقدارُ ذاتَ مساءِ

* * *

أنتِ التي علَّمتِني معنى الحيا   ة حبيبةً ونجيَّةً وصديقا
أنكرتُ معناها بغيرِك واستوتْ   وتشابهتْ سعةً عليَّ وضيقا
وَوَدِدْتُ لو غال الخلائقَ غائلٌ   مُفْنٍ أو اشتعَل الصباحُ حريقا
وسلمتِ أنتِ فأنتِ أدناهم إلى   روحي وأبعدهم عليَّ طريقا!

* * *

لا تسألِيني عن غدٍ لا تسألي   فغدًا أعود كما بدأتُ غريبا
هَتَكَ الستارَ مُقنَّع حسناتُه   يخفين خلفَ ريائِهن الذيبا

كان التلاقي بيننا كَفَّارةً ... للدهر عن آثامه لِيَتوبا
فلْتَذْهَبِ الحسناتُ غيرَ كريمةٍ ... سأَعُدُّهُنَّ على المتابِ ذنوبا!

* * *

أرنو وحيدًا للمكانِ الخالي ... كأسي وكأسُك فارغانِ حِيالي
مرَّ المساء مُخَيَّبًا فتساءلا ... وتَلَفَّتا لكِ في المساء التالي
حتى إذا مَلَّا تَرَقُّبَ عائدٍ ... يُحْيي وَيبْعَثُ ميتَ الآمال
بَكَيَاكِ بالحبَبِ الحزين وربما ... بكت الكؤوس على النديم السالي!

* * *

أرنو على الصهباء غام شعاعُها ... وامتدَّ نحو النفسِ ظلُّ جنابها
وكأنما روحي هناك حبيسةٌ ... تطفو وتَرْسُب في خطوطِ حَبابها
وكأن راهبة هناك سجينة ... مغمورة بدموعها وعذابها
ظلَّت تُقيم على الشموعِ صلاتها ... حتى تلاشى النُّور في مِحْرابها

* * *

كم ذكرياتٍ في الحياةِ عزيزةٍ ... مَرَّتْ عليَّ! فكنتِ أَغْلاهُنَّ
حتى إذا عَفَتِ الصبابةُ وانقضى ... ما بيننا أَقْبلتُ أَسْأَلهنَّ
وسألتُ عنك العمر ماضِيَه وحا ... ضِرَه فكان العُمر أنتِ وهُنَّ
والله ما غدَر الزمانُ وإنما ... هانَتْ عليكِ الذكرياتُ وهُنَّا!

* * *

يا زهرةً عذراء تنشر عِطْرَها ... وتُذيعُ في جفنِ الضُّحى أحلامَها
لاقيتُها والريحُ تجمعُ شملَها ... والسُّحْبُ تجمع بَرْقَها وغَمامَها
عانقتُها ظمآنَ أشربُ راحَها ... واستقطرتْ قلبي لتملأَ جامَها
فإذا الرياحُ نَزَعْنَها عن خافقي ... ضَمَّتْ على أنفاسِه أكمامَها

* * *

حُلُمٌ كما لمع الشهابُ تَوارى ... سَدَلَتْ عليه يد الزمانِ سِتارا

وحبيسُ شَجْوٍ في دمي أَطلَقْتُه ... متدفِّقًا وَدَعَوْتُه أشعارا
ووديعةٌ رَجَعَتْ فما خطبي إذا ... رُدَّ الذي كان الزمانُ أعارا؟
قد كان قلبًا فاستحال على المدى ... لحنًا تناقله الرواةُ فسارا!

* * *

يا حِصنيَ الغالي فقدتُكِ وانطوى ... ركني وأقفرَ موئِلي وملاذي
نعطي ونأخذ في الحديث ومُقلتي ... مسحورةٌ بجمالك الأخَّاذِ
والدهر يغريني فأُعرِضُ لاهيًا ... فيظلُّ يفتِنُني بتلك وهذي
والدهرُ يَهزِلُ والغرامُ يَجِدُّ بي ... ما كنتِ ساخرةً، ولا أنا هاذي

* * *

هل كان عهدُك قبل تشتيت النَّوى ... إلَّا مخالسةَ الخيالِ الطارقِ؟
إشراقة وطغى عليها مَغرِبٌ ... غيرانُ يخطَفُها كخطف السارقِ
أو لمعةٌ لم تتَّئدْ ذهبتْ بها ... دكناءُ مدَّتْ كفَّها من حالقِ
وكأن ثغرَك والنوى تعدو بنا ... شَفَقٌ يلوحُ على نضيدِ زنابقِ

* * *

شفتاكِ في لُجِّ الخواطرِ لاحَتا ... كالشاطئين وراءَ لُجٍّ ثائرِ
لهما إذا التقتا على أغرُودةٍ ... خرساءَ في ظلِّ الجمالِ الساحرِ
إسعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ ... وعناقُ أحبابٍ وعَودُ مسافرِ
وبراءةُ الملكِ المتوَّجِ حُسْنُه ... بجمالِ رحمنٍ وطيبةِ غافرِ

* * *

صَحِبَ الحياةَ فآدَه استصحابُها ... ركبٌ على طُرُقِ الحياةِ كليلُ
خدعت ضلالاتُ الحياةِ تبيعَها ... والدَّرْبُ وعرٌ والطريقُ طويل
فتلفَّتَ الساري لعلَّ لعينه ... يبدو صباحٌ أو يلوحُ دليل
فبدا له نورٌ وأشرق منزلٌ ... أَلِقٌ ورفت جنةٌ وخميل

* * *

لكِ في خيالي روضةٌ فينانةٌ غنَّى على أغصانِها شاديها
يَحْمِي مغارسَها ويرعى نبتها راعٍ يجنِّبُها البِلى ويقيها
فإذا النوى طالت عليَّ وشفَّني جُرْحي وعاد لمهجَتِي يُدميها
نسق الخيالُ زهورَها وورودَها فقطفتُها وشممتُ عطرَكِ فيها!

* * *

بعض الهوى فيه الدمارُ وإنما بعض النفوس على الدَّمار حِراصُ
فيكون فيه القيد وهْو تحرّرٌ ويكونُ فيه الموتُ وهْو خلاصُ
آمنت بالحبِّ القوي وحتمِهِ ما من هوايَ ولا هواكِ مناص
إن كان داءً فالسقامُ دواؤُه أو كان ذنبًا فالمتاب قِصاص!

* * *

أصبحتُ والدنيا وداعُ أحبَّةٍ ودموعُ خلَّانٍ وحزنُ رفاقِ
فسِخرْتُ من صَرَخاتِهم وبكائهم لا دمعَ إلا الدمعُ في أحداقي
لا صوتَ إلا صوتُ حُبِّك في دمي أُصغي له وأراه في أطواقي
متدفقًا مثل العُباب ومُزبِدًا متفجرًا كالسيل في أعماقي!

* * *

ساهرتُ أحلامَ الظلامِ وكلُّها أشباحُ هجر أو طيوفُ وداعِ
مرَّت مواكبُه عليَّ بطيئةً وإلى الفناء مَشيْنَ جِدَّ سِراعِ
حتى إذا سَفكَ الصباحُ دماءَهُ وهوى قتيلُ الليلِ بعد صِراعِ
أبصرتُ في المرآة آخرَ قصتي ونَعى بها نفسي إليَّ الناعي!

* * *

يا ربِّ أرسلتَ الأشعَّةَ ها هنا وهناك تُشرقُ في الحِمَى والدُّورِ
ومن الشموس دفينةٌ في خاطري مخبوءةُ الأضواء طيَّ شعوري
وأُحِسُّ في نفسي نقاءَ سمائِها أَصفى برونقِها من البَلُّورِ
يا ربِّ أودعتَ الضحى في مهجتي وأنا الذي أشقى بهذا النورِ!

خاطرة

نـارٌ مـن الـشـوقِ إثـرَ نـارْ فـــلا هـــدوءٌ ولا قـــرارْ
إنـــك لـــي مـــبـــدأ وَعَـــوْدٌ مـنـك إلـى صـدرك الـفِـرارْ
يـا مـرفـأ الـروحِ لا تـدعْـنـي بـــلا دلـــيـــلٍ ولا مـــنـــارْ
مـوجٌ وريـحٌ وزحـفُ لـيـلٍ فـــمـــن دمـــارٍ إلـــى دمـــارْ
إن أنت أخـلـفـت وعـد حـبـي لـم تُـؤْوِنـي فـي الـديـارِ دارْ
وليسَ لي في الهوى اصطبارٌ ولـيـس لـي دونـك اخـتـيـار

ظلام

لا تـقـلْ لـي ذاك نـجـمٌ قـد خـبـا   يـا فـؤادي كـلُّ شـيءٍ ذهـبـا
ذلك الـكـوكـبُ قـد كـان لـعـيـنـي   الـسـمـاواتِ وكـان الـشُّـهُـبـا
هـذه الأنـوارُ مـا أضْـيَـعَـهَـا!   صِرْن في جَنْبِي جراحًا وظُبى
كـلـمـا أَهـدَتْ شـعـاعًـا خـلَّـفَـتْ   بـعـده سـجـنًـا ومـدَّتْ قُـضُـبـا

***

قـلـتُ أسـلـوك وكـم مـن طـعـنـة   بـالـمـداراة وبـالـوقـتِ تـهـون!
فـإذا حـبُّـكِ يـطـغـى مُـزبـدًا   كدفُوق السل طُغيانَ الجنونْ
وكـذا تـمـضـي حـيـاتـي كـلُّـهَـا   بـيـن يـأسٍ ورجـاء وظـنـونْ
مـا عـلـى الـهـجـر مـعـيـنٌ أبـدًا   وعلى النسيان لا شيءَ يُعينْ

***

ذلـك الـحـب الـذي فُـزتُ بـهِ   لا أُبـالـي فـيـه ألـوان الـمـلامَـهْ
ذلـك الـشـطُّ الـذي ذُقـتُ بـه   بـعـد لُـجِّ الـبـحـر أمـنًـا وسـلامـهْ
إنـه مـزَّق قـلـبـي قـسـوةً   وسقاني المرَّ من كاس الندامَهْ
صـار نـارًا ودمـارًا فـي دمـي   وصـراعًـا بـيـن قـلـبٍ وكـرامـهْ

***

ذلـك الـحـبُّ الـذي عَـلَّـمَـنـي   أن أُحِبَّ الناسَ والدنيا جميعَا

ذلك الحب الذي صوَّر مِن مُجدِب القفرِ لعينيَّ ربيعًا
إنه بصَّرني كيف الورى هدموا من قُدْسِه الحصن المنيعًا
وجلا لي الكونَ في أعماقه أعيُنًا تبكي دماءً لا دموعًا

* * *

لم تُعينيني على صَرْفِ النَّوى آهِ لو كنتِ على الدهر أَعَنْتِ!
قدرٌ نكَّس مني هامتي آذن الدهرُ بِبَيْنٍ وأذنتِ
وعجيب أمر حب لم يَهُنْ هو لو هان على نفسي لَهُنْتِ
لهف قلبي لهفة لا تنقضي كنتِ دنياي جميعًا كيف كُنتِ؟

* * *

كنتِ في برجٍ من النور على قمةٍ شاهقةٍ تغزو السحابا
وأنا منكِ فَراش ذائبٌ في لُجَيْنٍ من رقيقِ الضوءِ ذابا
فَرِحٌ بالنّورِ والنارِ معًا طار للقمَّةِ محمومًا وآبا
آب من رحلته مُحترقًا وهْو لا يألوك حبًّا وعتابا!

* * *

برئت نفسي من الحقد ولم أُخف ضِغنًا لك بين العَبَراتِ
إنَّ يومًا واحدًا أسعدني جمع الأفراح طرًّا من شتاتِ
وهْو عمرٌ كاملٌ عشتُ به كلَّ أعمارِ الورى مُجتمعاتْ
لستُ أنساكِ وقد علمتِنِي كيف يحيا رجلٌ فوق الحياةِ

* * *

افرحي ما شئتِ يا روحي افرحي أنشدي ما نقلَتْه الطيرُ عني
واغنمي نفْح الصَّبا وانتقلي في الصِّبا المِمْراحِ من غُصْنٍ لغصن
وعلى أيكِكِ ناغي كلَّ من مرَّ بالأيك ونادي كل خدن
لن يُحِبُّوكِ كحبي! لن ترَيْ ضاحكًا مثلي ولا حُزْنًا كحزني!

* * *

يا كتابَ الحُسن جَلَّت آيةً   من جمالٍ وكمالٍ وشبابِ
زعموا أنِّيَ قد خلّدْتُها   بأغانيَّ وألحاني العِذابِ
ما أنا شادٍ ولكنْ قارئٌ   سُوَرًا من ذلك الحسنِ العُجاب
لم أزَلْ أقرأُ حتى سجدوا   وَجَعَلْتُ الخُلدَ عُنوانَ الكتاب

* * *

يا ابنةَ الأصدافِ والبحرُ أبي   قبلَ أن يُلقِي بي الموجُ هنا
سائلي الأعماقَ عن غَوَّاصها   أنا صيَّادُ لآليها أنا!
إن هجَرْنا القاعَ والليلَ إلى   قِمَمٍ شُمٍّ وعِشنا في السَّنا
فَبِنا الأمواجُ والصخرُ وما   بَرِحَ العاصفُ في أعماقنا

* * *

عاصفٌ عاتٍ تمنيت له   هدأةً أين له ما تطلبين؟!
اسألي عن مقلةٍ مخلصةٍ   خبَّأتْ رسمكِ في جَفنٍ أمينْ
سهرتْ تَرْعاك مهما لقيتْ   في سبيلِ العهدِ والودِّ المكينْ
أقسمتْ لا تسألُ النّومَ ولا   تطلب الرحمة منه بعض حينْ

* * *

بعدما غوَّر نجمي ودليلي   ما مسيري دون تِرْبٍ وخليلِ؟
في طريق الشّوك والصخر وفي   شُعَب الإرهاق والكدِّ الوبيل
الغريبان عليها التقيا   يستعينان على الدَّربِ الطويلِ
ما انتفاعي بحياتي بعدما   ساقَكِ التيَّارُ في غير سبيلي؟

* * *

يا لجَهْلِ اثنين أقدارَهما   آه يا ليتهما قد عَرَفَا!
ما الذي نصنعُ بالعيشِ إذا   ما صحا القلبُ غريبًا وغفا؟
ما الذي نصنعُ بالعيش إذا   ما السبيلان عليه اختلفا؟
ما الذي نصنع بالعيش إذا   صار تَذْكارًا فأمسى أسفا؟

* * *

عـنـدمـا تُـقـفِـرُ دارٌ مـن رِفـاقِ　　وتـحـسُّ الـسـمَّ فـي كـاسٍ وسـاقِ
عـنـدمـا يـكـشِـفُ بـؤسٌ وجـهَـه　　سـافِـرَ الـلـعـنـةِ مـفـقـودَ الـخـلاقِ
عـنـدمـا تُـمـسـي بـظـلٍّ عـالـقًـا　　وبـخـيـط الـوهـمِ مـشـدودَ الـوثـاقِ
يـا فـؤادي انـظـرْ وفـكـرْ وأفِـقْ　　أيُّ قَـيـدٍ لـك بـالأحـبـاب بـاقِ؟

* * *

كل جِـدٍّ عـبـثٌ والـدهـر سـاخـرْ　　وخـبـيء الـسـرِّ لـلـعـيـنـيـن ظـاهـرْ
أدَّعــي أنــي مــقــيــم وغــدًا　　ركبيَ المُضنَى إلى الصحراء سائرْ
عندما صافحت خانتني يدي　　ووشى خاف من الأشجانِ سافرْ
كـذَبَـتْ كـفٌّ عـلـى أطـرافـهـا　　رِعشةُ البعدِ وإحساسُ المسافرْ!

* * *

يـا ديـارًا يـومُـهـا مـن سُـحُـبِ　　وغـيـوم وضـبـاب أُفـق غـدْ
كـل نـبـتٍ عـبـقـريٍّ أطـلـعـتْ　　جـعـلـتْ مـنـه طـعـامًـا لـلـحـسـدْ
أخـلـفَ الـمـيـثـاقَ مـن كـان بـهـا　　كـل آمـالـي فـلـم يـبـقَ أحـدْ
ضــاع عــمــرٌ وحــصــادٌ وغــدا　　من هـشـيـم كل مـا كـنـتُ أعِـدْ!

* * *

قُم بنا والكونُ جهمٌ كالدجى　　نَتَلَمَّسْ من جـحـيـمٍ مـخـرجـا
وانــجُ مــنــه بــبــقــايــا رَمَــق　　أو حـطـام وقـلـيـلٌ مـن نـجـا
لا تُـدِرْ رأيًـا بـه أضْـيَـع مَـن　　فـي لـظـاهُ مـسـتـعـيـنٌ بـالـحِـجـا
واسأل الرحمن أن يصلح عهـ　　ـدًا كـسـيـحًـا وزمـانًـا أعْـرَجـا

* * *

عـشـت وامـتـدّتْ حـيـاتـي لأَرَى　　في الثرى من كان قَبْلًا في القمم
انـهـيـارُ الـمـثُـلِ الـعـلـيـا وإنـ　　ـكـارُ آلاءٍ وكُـفـرٌ بـالـقِـيَـمْ
مـن يَـكُـنْ عـضَّ بـنـانًـا نـادمًـا　　فـأنـا قَـطَّـعْـتُ إبـهـامَ الـنَّـدَم

وإذا انـحَـطَّ زمـانٌ لـم تـجـدْ   عـالـيًـا ذا رفـعَـةٍ إلا الألــم

* * *

ضِـحْـكـةٌ سـاخـرةٌ هـازلـة   وخـيـالٌ تـافـهٌ هـذي الـحـيـاه
هـذه الأكـذُوبـةُ الـكـبـرى الـتـي   خُـدِعَ الـنـاسُ بـهـا وا أسـفـاه!
ذلَّ فـيـهـا الـمـالُ والـجـاه إلـى   أن غـدا أحـقَـرَهـا مـالٌ وجـاه
نـحـمـدُ الـلـهَ عـلـى أنَّـا بـهـا   لـم نـصُـنْ مـن ذِلّـةٍ إلا الـجـبـاه

* * *

عبَـثًـا أهـرُبُ مـن نـفـسـي ومـن   ذلـك الـسـاكـنِ روحـي والـبـدنْ
من لـقـلـبٍ مُـسـتـطـارِ الـلُّب مَـنْ   كـلـمـا عـاوده الـتـذكـارُ جُـن؟!
أيـنـمـا أمـضـي فـحـوْلـي ذِكَـرٌ   وحـبـيـبٌ ومـكـانٌ وزمـنْ
وربـيـع دائـم الـخـضـرة فـي   روضـة الـنـفـس وطـيـرٌ وفـنـن

* * *

قـصـة خـالـدة لا تـنـتـهـي   وهْـي مـا كـان لـهـا يـومُ ابـتـداءِ
أنـا لا أدري مـتـى كـان ولا   أيـن عـنـد الـلـهِ أسـرارُ الـلـقـاءِ
حينما لاح شـهـابٌ فـي سـمـائـي   أسـمـرُ الـنـور رفـيـعُ الـخُـيـلاءِ
عـبـقـريٌّ مُـوحـشٌ مـنـفـردٌ   مـتـعـالٍ قَـلِـقُ الأضـواءِ نـاءِ

* * *

هـو فـي الأفـقِ بـعـيـدٌ وهْـو دان   هـو لـي نـفـسـي وروحـي وكِـيـانـي
مـخـطـئٌ مـن ظَـنَّ أنّـا مُـهـجـتـانِ   مـخـطـئٌ مـن ظَـنَّ أنَّـا تـوأمـانِ
هـو شـطْـرُ الـنَّـفـسِ لا تـوأمُـهـا   هـو مـنـهـا هـو فـيـهـا كـلَّ آن
نـحـنُ نـبـضٌ واحـدُ! نـحـن دمٌ   واحـدٌ حـتـى الـردى مـتَّـحـدانِ!

وحيد

إني على كاسي أُعيد السنينْ وأبعثُ الماضي البعيدَ الدفينْ
وحدي وقد أقسمتُ لن تعرفي وما الذي يجديك لو تعرفينْ؟
وما الذي يُجدي طعينَ الهوى لَمْسُكِ يا هندُ جراحَ الطعينْ؟
أصبحتُ لا أدري شربتُ الطِّلَى عند بكائي أم شربتُ الأنينْ؟

* * *

كم أزرع السّلوانَ في خاطري! وكيف ينمو في مَحيلٍ جديبْ؟
بالخمر أسقيه وفي مسمعي إرنانُ باكٍ وتشاكي حبيبْ
الجامُ يبكي لوعةً أم أنا جامي غريبٌ وفؤادي غريبْ؟
وا حيرتي تُرى أصُبُّ الطِّلى أم أنني فيه أصبُّ النحيبْ؟

* * *

يا إلْفَ نفسي لم يكن ها هنا هــمٌّ لإلــف وســلــوٌّ هــنــاكْ
لم يَجْرِ همسٌ لك في خاطرٍ إلّا جرى عندي كأني صداكْ
ولم أكن أعرفُ لي مدمعًا إلا الذي تذرفُه مقلتاكْ
أصونُ حزني لك حتى اللقا وأحبِسُ الفرحَةَ حتى أراكْ

* * *

إن كنت غنَّيتُ فإني الذي وقفتُ ألحاني على سَرْحَتِكْ

حَبَسْتُ هذا الصوتَ لم ينطلقْ إلَّا علـى حزنـكِ أو فـرحـتِـكْ
خـمـائـلُ الـروض بـأعـطـارهـا لم تَشْجُني إلَّا على نفحتِكْ
أنـكـرتُـهـا طُـرًّا ولـم أعـتـرفْ إلاّ بـطـيـبٍ جـاء مـن جـنَّـتِـكْ!

***

وَافـرَحِـي الـيـومَ بـحـريَّـتـي بـأيِّ لـيـل مـدلـهـمٍّ أطـيـرْ
رُدِّي على قلبي قيودَ الأسير وذلك الصبحَ الوضيءَ المنيرْ
كم شُعَبٍ لاحتْ فلم تختلفْ لأيِّـهـا نـغـدو وأنّـى نـسـيـرْ!
بعد سِنِي الأنوار خلّفْتِ لي جَهْمَ المساعي وخَفِيَّ المصيرْ

***

علـمتِ حالي؟ لا وحقِّ الذي صيَّرني أُشْفِقُ أن تعلمي
هيهات تَدرين انطلاقَ الهوى كـجـمـرةٍ نـضّـاحـةٍ بـالـدمِ
هـيـهـات تـدريـن وإنْ خِـلـتِـه وَثْبَ الهوى الضاري وفتكَ الظَّمِي
وصارخًا كَبَحْتُه في فمي وطـاغـيًـا كـبّـلـتُـه فـي دمـي

***

لا أنت تدرين وما من أَحَدْ بواصفٍ حسنَكِ مهما اجتهدْ
أو بـالـغٍ سـرَّ الـذكـاءِ الـذي يـكـادُ فـي لـحـظِـكِ أن يَـتّـقِـدْ
أو مدركٍ عمقَ المعانِي التي فـي لـمـحـةٍ عـابـرةٍ تـحـتـشـدْ
أو فـاهـمٍ فـنّ الـصِّـنـاعِ الـذي أبدَع الاثنين: الحِجا والجسدْ

أطلال

يا من بِواديهِ حَطَطْتُ الرحالْ   ورحَّبتْ بي وارفاتُ الظلالْ

بذلت أقصى ما يكون القِرَى   وما تمنَّى طامعٌ من منالْ

بسطتَ كالآباد عمر المنى   لطامعٍ في لحظاتٍ قِلالْ

بنيتُ محرابيَ لم أتَّخِذْ   دينًا سوى حبّك في كل حالْ

أمهلْ فؤادي ساعةً ريثما   أخلعُ عن عيني قِناعَ الخيالْ

أمهلْ فؤادي ساعةً ريثما   أخلعُ عن قلبي سرابَ الضلالْ

فهذه الصحراءُ عريانةٌ   ممتدَّةٌ خانقةٌ كالملالْ

خليعةُ الطبعِ على كُثبها   عربدةُ الريحِ وكفرُ الرمالْ

هيهات للقلب صلاة بها   ولا عليها معبد وابتهالْ

خلعتُ إيماني على شكِّها   وبدَّدتْه السارياتُ الثِّقالْ

نادتنيَ الصحراءُ وهْي التي   آدَتْ جحيمي في السنين الطوالْ

تُريد سرِّي إن سرِّي هنا   في مُغلقٍ أسرارُه لا تنالْ

قالت بهذا الصمتِ ما لم يُقلْ   وقلتُ بالزفْراتِ ما لا يُقالْ

ذنبي

أيـكـون ذنـبـي أن رفـعــ ـتُك وارتفعتُ إلى السماءْ؟
وعلـى جـنـاحـك أو جَـنـا حِي قد رقيتُ إلى الصفاءْ
إن كـان حـقًّـا أو خـيـا لًا فـهْـو وَثْـبٌ لـلـضـيـاءْ
وتــحــرُّرٌ مــمــا جــنــا هُ طـيـنُ آدمَ فـي الـدمـاءْ
أيـكـون ذنـبـي أن جـعـلـ ـتُكِ فوق عرشٍ من سناءْ
وجثوت فـي مـحـراب قُدْ سِـكِ عـابـدًا هـذا الـرُّواءْ؟
أيــكــون ذنــبــي أنــنــي بك أحـتـمـي من كل داءْ
وأراك عـافـيـتـي فـأضْــ ـرَعُ طالبًا منكِ الشفاءْ؟
أيــكــون ذنــبــي أن أرا ك لـخـاطـري قَـبَـسًـا أضـاءْ
وأُحـسُّ وحـيَـكِ مـن عـلٍ لي دون أهل الأرض جاءْ؟
أيـكـون ذنـبـي أن يُـنـا ط بـك الـتـعـلُّل والـرجـاءْ
وإليك شكوى القلبِ نجـ ـوى الروحِ أجمعَ النداء؟
أيـكـون ذنـبـي أنَّ حُــ ـبَّكِ لي من الدنيا وقِاءْ؟
فـإذا رضـيـتِ فـإنَّ نـعــ ـمَـتَـهـا ونـقـمـتَـهـا سـواءْ
أيـكـون ذنـبـي، أي ذنــ ـب صار لي إلا الوفاءْ؟!
إنـي عـشـقـتـكِ، مـا طـلـبـ ـتُ على محبّتيَ الجزاءْ
مَـن هـمُّـه هَـمّـي سـيـحــ ـمل من حبيبٍ ما يشاءْ
ولـقـد يُـسـاءُ فـمـا يـرى مـن حُـبِّـه أحـدًا أسـاءْ

قـد كـان عـنـدي عـزَّةٌ　　بصبابتـي ولـيَ احـتـماءْ
إن لانَ عُـودي لـلـخـطـو　　بِ شدَدتِ أزري بالـلـقـاءْ
أنسيتِ؟ كيف نسيتِ يا　　دنيا؟! على الدنيا العفاءْ!
يا لَلْهوَى! لا صُبح لي　　إلا هــواك ولا مــســاءْ
أشـوامـخُ الأحـلامِ والــ　　ـمثلِ الرفيعةِ كالهباءْ؟

الطائر الجريح

أيُّ جـوادٍ قـد كـبـا؟ وأيُّ سـيـفٍ قـد نـبـا؟
تـعـجـبـتْ زازا وقـد حـقَّ لـهـا أن تـعـجـبـا
لـمـا رأتْ فـيَّ شـحـو بَ الشمسِ مالت مغربا
وهْي التي زانت مشيـ ـبي بأكاليل الصِّبا
وهـي الـتـي قد علّمتْـ ـني حين ألقى النُّوَبا
كيف أُداري النابَ إن عضَّ وأخفي المخلبا؟
لاقيتُها أرقصُ بشـ ـرًا وأُغـنـي طـربـا
وهْي التي تهتك سِتْـ ـرَ القلبِ مهما انتقبا
لا مُـغْـلـقًـا تـجـهـلُـهُ يـومًـا ولا مُـغَـيَّـبـا
في فطنةٍ تومضُ حتَّـ ـى تستشفَّ ما خبا
رأتْ وراء الصدرِ طيـ ـرًا قَلِقًا مضطربَا
في قفصٍ يحلُمُ بالأفْـ ـقِ فيلقى القُضُبَا
إنَّ زمـانًـا قـد عـفـا وإنَّ عـمْـرًا ذهـبَـا
وصـيَّـرتْـهُ طـارقـا تُ السقمِ وَقرًا مُتعِبا
ورنَّـقـتْ مـورِدَهُ أنَّـى لـه أنْ يَـعـذُبـا؟
إنـي امـرؤٌ عـشـت زمـا نـي حـائـرًا مـعـذَّبـا
عـشـت زمـانـي لا أرى لـخـافـقـي مُـنـقَـلـبَـا
مـسـافـرًا لا قـومَ لـي مُـبـتـعـدًا مُـغـتـربَـا

مشاهدًا عَلِّيَ في ... مسرحِهِ أن أرقبا
روايةً مُلَّتْ كما ... مُلَّ الزمانُ ملعبا
وظامئًا مهما تُتَحْ ... مواردٌ أن أشربَا
وجائعًا لا زادَ في ... دنياي يَشفي السَّغَبَا
فراشة حائمة ... على الجمال والصِّبا
تعرَّضت فاحترقت ... أُغنيةً على الرُّبى
تناثرتْ وبعثرَتْ ... رمادَها ريحُ الصَّبا
أمشي بمصباحي وحيـ ... ـدًا في الرياح مُتعبا
أمشي به وزيتُه ... كاد به أن ينْضَبا
وشد ما طال الصرا ... ع بيننا وا حرَبا
ريحُ المنايا تقتضيـ ... ـني نسماتي الخُلَّبا
وليس بالأحداث فيـ ... ـما قيل أو ما كُتبا
كالعمر والسُّقم إذا ... تحالفا واصطحبا
لولاكِ ما قلتُ لشي ... ء في الوجود مَرْحَبا
ولم أَجِدْ ركنًا غنيّـ ... ـًا بالحنانِ طيِّبا
أنتِ التي أقمت مر ... فوعَ البناءِ من هَبَا
وإنني الصخرُ الذي ... أردتِ أن لا يُغلبا
ويضربُ البحرُ عليـ ... ـه مَوْجَه منتحبا
علمتِ يأسي وجنو ... ني وجهلتِ السَّببا
يا أملي إنك يأ ... سُ القلبِ مهما اقتربا
يا كوكبًا مهما أكن ... من بُرْجِه مُقَرَّبا
فإنه يظلُّ في السَّـ ... ـمْتِ البعيدِ كوكبا
وأين مني فَلَكٌ ... قد عزّني مُطَّلَبا
ليس إلى خياله ... إلا السهادُ مركبا
أستبطئُ الريحَ له ... وأستحِثُّ الكُتبا
ولو طريقُ حبِّه ... على القتاد والظُّبا
وقيل للقلب هنا الـ ... ـموتُ فعُدْ تسلمْ أبَى

إنـي امـرؤٌ عـشـتُ زمـا نــي حــائـرًا مــعــذَّبــا
لا أحـسِـبُ الأيـام فـيــ ــه أو أعُـدُّ الـحِـقَـبـا
ضـقـتُ بـهـا كـيـف بـمـن ضـاق بـهـا أن يَـحـسِـبـا
تـغـيّـرتْ واخـتـلـفـتْ وسـائـلًا ومـطـلـبـا
وارتـفـعـتْ وانـخـفـضـتْ طــرائــقًــا ومــأربــا
ساوت على الحالين حُمْـ ــلانًـا بـهـا وأذؤُبـا
وشـاكـلـتْ لـنـاظـري سـهـولَـهـا والـهُـضُـبـا
دخـلـتُـهـا غِـرًّا وعُـدْ تُ فـانـيًـا مـجـربـا
لا أسـألُ الأيـام عـن أعـمـالـهـا مُـعَـقِّـبـا
إن كان هذا الدهر فيـ ــمـا جـرَّه قـد أذنـبـا
فــإنــه تــاب وأدَّ ى وعـدَهُ الـمـرتَـقـبـا
لِـقـاكِ مـاحِ لـلـذنـو ب كيف لي أن أعتبا؟
ضـممتُ عِطْفيْكِ غدا ة الـرَّوْع أبـغـي مَـهـربـا
كم خِفتُ من أن تذهبي! وخـفـتِ من أن أذهـبـا!
كـأن طـفـلًا خـائـفًـا في أضلعي حَلَّ الحُبى
يضربُ ما اسْطاعَ على جُـدرانـهـا أن يـضـربـا
يــكــافــحُ الأمــواجَ أو يـصـرعُ جـيـشًـا لَـجِـبـا
إن بَـعُـد الـشـطُّ فـقـد آن لــه أن يَــقــرُبــا
أنـتِ الـحـيـاةُ والـنـجـا ةُ والأمـانُ الـمُـجـتَـبَـى

القمة

يا أيُّها العالي الغفورُ الصفوحْ   هل تَرحم القمَّةُ ضَعْف السُّفوحْ

تاجُك في النور غريقٌ وفي   عرشك غنَّى كل نجمٍ صَدُوحْ

وأين هاماتُ الربى نُكِّسَتْ   من هامةٍ فوق مُنيفِ الصُّروحْ؟

وأين أوراقٌ خريفيّةٌ   أرْجَحَها الشكُّ فما تستريحْ

من باسقٍ راسٍ به خضرَةٌ   ثابتةُ الرأي على كل ريحْ؟

بَرِئتَ من هذي الوهادِ التي   نَغْدُو على أنّاتِها أو نروحْ

وأين في مبتسمات الذرى   برقُ الأماني من وميض الجروحْ؟

أصِخْ لهذي الأرضِ واسمعْ لما   تشكو، لمن غيرك يومًا تبوحْ؟

تطفو على طوفان آلامها   وأين في آلامها فُلْكُ نوحْ

أروعُ شيءٍ صامتٍ في العُلى   أفصح مُفْضٍ بالبيانِ الصّريحْ

يعيِّر الأرضَ إذا أظلمتْ   بما على مفرقِه من وضوح

هل تسخرُ الحكمةُ مما بنا   من نزواتٍ وعنانٍ جَموحْ

حمْقَى؟ قُصارى كلِّ غاياتنا   عزمٌ مَهيضٌ وجناحٌ كسيحْ

أُعيذُ عدلَ الحقِّ من ظلمنا   فكم على القِيعان نسْرٌ جريحْ!

ونازحٌ من قِمَمٍ في علٍ   أوطانُه كل سَموقٍ طروح

أنتَ له كلُّ الحِمى المُرتَجى   وكلُّ مَبْغاه إليك النُّزوحْ

ما النسرُ إلا راهبٌ في العُلَى   محرابُه وجهُ السماءِ الصبيحْ

وقلبُها السَّمْح فما حطَّه   على الثرى الجَهْمِ الدميمِ الشحيحْ

علـى الـثَّـرَى حيـثُ تـسـابيـحُـه　　نـوح الـحـزانـى ونـداءُ الـقُـروحْ
مـبـتــهـلٌ بـاكٍ بـدمـع الأسـى　　عـلـى الـلـيـالـي وسـقـيـم طـريـحْ
مـا أتـعـس الأرضَ بـعُـبَّـادهـا　　تبْهِـجُ من أخلاطِهم ما تُبيحْ
قـد أنـكـرَ الـهـيـكـلُ زُوَّارَه　　وأصبح الديرُ غريبَ المُسوحْ
لم يعرف الجسمُ خلاصًا به　　من كُدْرةِ الطين ولم تنجُ روحْ
يـا سـيِّـد الـقـمَّـةِ أنـصِـتْ لـنـا　　لا يعرفُ الإشفاقَ قلبٌ مُشيحْ
وانظرْ إلى السِّكِّين في ساحةٍ　　قد زمجرتْ فيها دماء الذَّبيحْ
واسكبْ نَدَى الحبِّ بأفواهِنا　　كم من بَكِيٍّ وظَمِيٍّ طليحْ!
فـربـمـا يُـشـرقُ بـعـد الـضَّـنـى　　وجـهٌ مـلـيـح وزمـانٌ مـلـيـحْ!

أيها الغائبُ

أيها الغائبُ العزيزُ النائي فَسَدَتْ ليلتي وضاع هنائي
قَمَري أنت ليس لي منك بدٌّ في اعتكار السحائبِ السّوداءِ
هذه الشُّرْفةُ التي جَمَعَتْنَا يا حبيبي بوجهِك الوضَّاءِ
سألتْ عنك فالتفتُّ إليها وبنفسي كوامنُ البُرَحَاءِ
قائلًا صَهْ! باللهِ لا تسأليني فكلانا من دونِها في عناءِ
أين ذاك الوجهُ الذي يُرسلُ النو رَ ويُوحِي إشراقُه بالصَّفاءِ؟

أين غد؟

يا قاسيَ البُعدِ كيف تبتعدُ إنـي غـريـبُ الـفـؤادِ مُـنـفـردُ
إن خانني اليومُ فيك قلتُ غدًا وأيـن مـنّـي ومـن لـقـاكَ غـدُ؟
إن غــدًا هُــوَّةٌ لــنــاظــرهــا تـكـاد فـيـهـا الـظـنـونُ تـرتـعـدُ
أُطِلُّ فـي عـمـقِـهـا أُسـائـلُـهـا أفـيـك أخـفَـى خـالَـيـه الأبـدُ؟
يا لامسِ الجُرحِ ما الذي صنعَتْ بـه شـفـاهٌ رحـيـمـةٌ ويـدُ؟
ملءُ ضلوعي لظًى وأعجبُه أنـي بـهـذا الـلـهـيـبِ أبـتـردُ
يا تاركي حيث كان مجلسُنا وحـيـث غـنّـاك قـلـبـيَ الـغَـرِدُ
أرنو إلى الناسِ في جموعهمُ أشقتْهمُ الحادثاتُ أم سَعِدوا؟
تفرّقوا أم هُمُ بها احتشدوا؟ وغوَّروا في الوهادِ أم صعَدوا؟
إنـي غـريـبٌ تـعـال يـا سَـكَـنـي فـلـيس لـي فـي زحـامـهـم أحـدُ!

شك

تَشُكِّين في حبِّي؟ لك الحقُ إنني جديرٌ بهذا الظُّلم والريبِ والشّكِّ
خليقٌ بأن تَنْسَي هوايَ فتنطوي سعادةُ أيامي التي ذُقتُها منكِ
إذا أنا لم أذْكُرْكِ في كل لحظةٍ وقصَّرتُ لم أسألْ ثوانِيَهَا عنكِ
إذا أنا لم أبْذُلْ شجايَ وعَبْرَتي على كل وقتٍ ضائعٍ كنتُ لا أبكي
فلا حبَّ عندي أستلذُّ به الجوى بما فيه من سقمٍ وما فيهِ من ضنكِ
أليلايَ حُبِّي فيك حُبٌّ مُوَحِّد تَنزَّهَ عن ريبٍ وجلَّ عن الشِّركِ
تبقَّى بقاء القلب ينبضُ دائمًا وليسَ لسلوانٍ وليس إلى تَرْكِ

ليلة

وليلةٍ بات مَن أهوى ينادمني ... ما كان أجملَه عندي وأجْمَلها
بتنا على آيةٍ من حسنه عجَبٍ ... كتابُه من خفايا الخُلدِ أنزَلها
إذا تساءلتُ عمّا خَلْفَ أسطرها ... رنا إلـيَّ بـعـيـنـيـه فـأوَّلَـهـا
مُصوِّبًا سهمَه مُستشرقًا كبدي ... مُستهدفًا ما يشاء الفتك مقلتها
يا للشَّهيدة لم تعلم بمصرعها ... ما كان أظلمَ عينيه وأجهلَها
حتى إذا لم يَدَعْ منها سوى رمقٍ ... عدا على الرَّمقِ الباقي فجندلها
وصدَّ عنها وخلَّاها وقد دَمِيَتْ ... في قبضةِ الموتِ غشّاها وظلّلها
وحان من ليلة التوديعِ آخرُها ... وكان ذاك التلاقي الحلوُ أوَّلَها
ضممْتها لجراحاتي التي سلفتْ ... إلى قديمِ خطايا قد غفرتُ لها!

في الباخرة

أحبُّ أجلْ أحبُّ كأن نبعًا ... سماويًّا تفجّر في دمائي
لقد طاب الوجودُ بحالتيه ... شقائي فيك أجملُ من هنائي
وليلي فيك أحسنُ من نهاري ... وصبحي فيك أجملُ من مسائي
فمفترقان فيه إلى لقاء ... وملتقيان حتى في التنائي
أميمةُ إنّ عمرَ الحبِّ حقًّا ... لأعجبُ آيةٍ تحت السماءِ
فما أدري لأيهما ثنائي ... ثوانيه السِّراع أم البطاءِ
أهذا الحلم يمضي شبه لمحٍ ... أم الأبدُ المديدُ بلا انتهاءِ؟
أتفكيري هناك أم انتظاري ... لأروعِ هالةٍ حولَ البهاءِ
وأزهى من تثنَّى في حُلِيٍّ ... وأبهج من تهادى في رداءِ
وأسنى من تخطَّر في دلالٍ ... وأطهر من تعثَّرَ في حياءِ
سيذكر ملتقانا النيلُ يومًا ... غداة تُعَدُّ أيام الصفاءِ
وحيدٌ غير أني في زحامٍ ... من الآمالِ تترى والرجاءِ
إلى أن لاح عرشُ النورِ منِّي ... قريبًا والهلالُ إلى اعتلاءِ
فمؤتلقٌ على أفْقٍ بعيدٍ ... ومنعكسٌ على فضِّيِّ ماءِ
كذلك أنت في فكري وروحي ... سناك مع الهلال على سواءِ
وطيفٌ عبقريٌّ في خيالي ... وحيدُ الذّات مختلف الرُّواءِ!

سر بي

أحبك فوق ما عشقتْ قلوبٌ ... ولا أدري الذي من بعدِ حبي
وأعلـم أن كُلِّـي فـيك فـانٍ ... وعيـنـي فيك ذائبـةٌ وقـلـبـي
وأعلـم أن عندك من يُنـادي ... خـفـيًّا هـاتـفًا وأنـا الـمـلـبِّـي
وأعلم أن حبي ليس يشفـي ... وبعدي ليس يُجديني وقربي
ولـمَّـا لـمْ أجـدْ لـلـحـبِّ حـلًّا ... هتفتُ به كما يرضيك سِرْ بي!
وخذني حيث هندٌ لا تسلني ... لأيــة غــايــةٍ ولأيِّ دربِ!

الفراق

يا ساعة الحسراتِ والعبراتِ أعصفْتِ أم عَصَفَ الهوى بحياتي؟
ما مهربي؟ ملأ الجحيمُ مسالكي وطغى على سُبُلي وسَدَّ جهاتي
من أي حصن قد نزعت كوامنًا من أدمعي استعصمن خلف ثباتي؟
حطِّمت من جبروتهنَّ فقلْن لي أزِفَ الفراق فقلتُ ويحك هاتي!

* * *

أأموت ظمآنًا وثغرك جدولي وأبيت أشرب لهفتي وولوعي؟!
جفَّت على شفتي الحياةُ وحُلمُها وخيالُها من ذلك الينبوعِ
قد هدَّني جزعي عليك وأدَّعي أني غداةَ البيْنِ غيرُ جزوعِ
وأريد أُشبع ناظريَّ فأنثني كي أستبينك من خلال دموعي

* * *

هان الردى لو أن قلبك دارِ أأموت مغتربًا وصدرك داري؟
يا من رفعت بناء نفسي شاهقًا متهللَ الجنبات بالأنوارِ
اليوم لي روح كظلٍّ شاحبٍ في هيكل متخاذل الأسوارِ
لو في الضلوع أجَلْتِ عينك أبصرتْ منهارة تبكي على منهارِ!

* * *

لا تسألي عن ليلِ أمس وخطبه وخذي جوابَك من شقيٍّ واجمِ

طالت مسافتُه عليّ كأنها   أبدٌ غليظ القلب ليس براحمِ
وكأنني طفل بها وخواطري   أرجوحةٌ في لجّها المتلاطمِ
عانيتُها والليل لعنة كافر   وطويتُها والصبح دمعة نادمِ

ليلة العيد

اليوم منكِ عرفتُ سر وجودي ... وعرفت من معناك معني العيدِ
ما كنت بالفاني وسرُّك حافظي ... وبمقلتيكِ ضمِنْتُ كلَّ خلودي
الآن أعرفُ ما الحياة وطيبُها ... وأقول للأيّامِ طبتِ فعودي!
عاد الربيعُ على يديكِ وأشرقتْ ... روحي وأورقَ في ربيعِك عودي!

كذب السراب

البـحـر أسـألُـهُ ويـسـألـنـي   مـا فـيـه مـن ريٍّ لـظـامـئـهِ
مـتـمـرِّدٌ عـاتٍ يـضـلـلـنـي   كذِبُ السَّرابِ على شواطئِهِ

* * *

كم جال في وهمي فأرَّقني   أربٌ وأيـن الـفـوزُ بـالأربِ؟
وسرى بـأحـلامـي فـعـلَّـقـهـا   فوق السُّهى بلوامعِ الشهبِ

* * *

فـي يـقـظـةٍ مني وفـي وسنٍ   صَـرْحٌ بـذِروَتِـهِـنَّ مـتَّـحـدُ
الفجرُ والسحرُ المخضَّبُ من   لَـبِـنـاتِـهِ والـقـمـةُ الأبـدُ

* * *

واهًـا لـضـافـي الـظـلِّ وارفِـهِ   قضَّـيتُ عمري في تـوهُّـمِـهِ
لـمـا طـلـعـتُ عـلـى مـشـارِفِـهِ   أيـقـنـتُ أنـي فـوق سُـلَّـمِـهِ

* * *

ومن العجائب في الهوى اثنان   لـم يـضـربـا لـلـحـبِّ مـيـعـادا
ومـحـيِّـرُ الإفـهـامِ لـحـظـان   قَـرآ كـتـابَـهـمـا ومـا كـادا

* * *

سارا فمذ وقف الهوى وقفا　　يتبادلان الشوقَ والشغفا
عرف الهوى أمرًا وما عرفا　　مَن ذلك الداعي الذي هتفا

* * *

قَدَرٌ على قدرٍ تلاقِينا　　كلُّ الذي أدري وتدرينا
أنَّا أطعناهُ مُلَبِّينا　　من أنت؟ من أنا؟ من يُنَبِّينا؟

أنتِ

إن كنتِ عـارفـةً وواثـقـةً وبعـمق هذا الـحبِّ آمنتِ
فـثـقـي بـأنكِ قِـبْـلـتـي أبـدًا وصلاةُ روحـي حيثما كنتِ
إن كان لي في الدهرِ أمنيةٌ مـنـشـودةٌ أمـنـيَّـتـي أنـتِ

قيثارة الألم

إن حان لحنُ الختامْ — صار النشيدُ دعاءْ
مرّ الهوى في سلامْ — فلْنفترقْ أصدقاءْ
سرٌّ وراء الظنونْ — أظلّني وأضاءْ
لم أدرِ ماذا يكونْ — ولم أسَلْ كيف جاءْ

* * *

ما بين ضحكِ الرِّياحْ — وقهقهات الغيوبْ
ولَّى خيالٌ وراحْ — وحلَّ ظلٌّ غريبْ

* * *

يا ذنبُ فات المتابُ — لما تحطَّمَ صرحي
ما لي عليها عتابُ — إني أعاتبُ جُرحي

* * *

وهذه قيثاري — ذاتُ الشجى والأنينْ
وهذه أوتاري — أصرتِ لا تطربينْ؟!

* * *

يا كم شدوتُ بلحني — ما بين حزني ودمعي!

مـا بـالـه طـي أذنـي   لكنْ غريبًا لسمعي!

حلم الغرام

لا حبَّ إلا حيث حلَّ ولا أرى — لي غير ذلك موطنًا ومقامَا

وطني على طول الليالي دارهُ — مهما نأى وهواي حيث أقامَا

والأرضُ حين تضمُّنا مأهولةٌ — لحظاتُها معمورةٌ أيَّامَا

لا فرق بين شَمالِها وجنوبِها — فهما لقلبي يحملان سلامَا

وهما لعهدي حافظان وقلَّما — حفظ الزمانُ لمهجتين ذمامَا

وإذا بكيتُ فقد بكيتُ مخافةً — من أن يكون غرامُنا أحلامَا

ولربما خطرَ النَّوى فبكيتُهُ — من قبل أن يأتي البعادُ سجامَا

ثلاث سنين

ثـلاث سـنـيـن أم ثـلاث لـيـالِ هي البرق أم مرَّتْ كلمحِ خيالِ؟
وما كان هذا العمرُ إلا صحائفًا تلاشتْ ظلالًا رُحْن إثر ظلالِ
ومـا كـان إلا أمس لـقـيـاك إنـه لأثبتُ ما خـطَّ الـزمـانُ بـبـالـي
وما العمر إلا أنت والحب والمنى وما كان باقي العمر غيرَ ضلالِ!

عدنا وعدت

عُدنا وعدتِ وعادتْ   إن الحظوظَ أرادتْ
وبالعجائب جاءتْ   وما بذاك غريبَهْ

* * *

إن الغريبَ التنائي   فإن فيه شقائي
وإن أردت دوائي   داوي الهوى ولهيبَهْ

* * *

أنت المنى والعبادهْ   وليس عندي زيادَهْ
يا هند هذي شهادَهْ   لو أنها مطلوبَهْ

* * *

وأنت مني كنفسي   هواك يومي وأمسي
وأنتِ جهري وهمسي   صديقةً وحبيبَهْ

المقعد الخالي

هـمٌّ أنـاخ فـمـا انـجـلـى وخلا مكانُك — لا خلا!
ليل الـحـيـاة وكان لـيـ ـلي في الهواجِسِ أطولا
كم لحظةٍ في الصدر نا شـبـةٍ كـجـزّازِ الـكـلا!
كـالـرَّمْـسِ فـارغـةٍ وإن حفلت بإيحاشِ البلى
في إثر أخرى لم تكن إلَّا كــجــرداءِ الــفــلا
بَرَّحْنَ بي من وحشةٍ وقـتـلـتـهُـن تـمـلـمـلا
وجُنِنَّ من قلقي عليـ ـك وكيف لي أن أعقلا؟
قد رِشْنَ لي سهمًا يحا ول من يقيني مقتلا
فتعرّض الماضي الجميـ ـلُ بـوجـهِـهِ مـتـهـلـلا
فلوى عناني فالتفـ ـتُّ فلم أجد لي مَوئِلا
إلا دروعَ الـيـأسِ إنَّ اليأسَ أيسر محمِلا
يـقـتـادنـي فـأردُّهُ عن خاطري وأقول لا!
يا هندَ إن يكُ قلبُك الـ ـوافي تغيَّرَ أو سلا
وحصدتِ آمالي فإنَّ الموتَ أرحمُ منجلا

رحلة

نقلتُ حياتي والحياة بنا تجري
من الحُلُمِ المعسولِ للواقعِ المرِّ

فيا منتهى فنِّي إلى منتهى الهوى
على ذِروةٍ بيضاءَ في النور والطهرِ

عرفتك عرفان السماء ولم تكنْ
سوى همسات النجم ما جال في صدرِي

وغامت خطوطُ السفحِ حتى نسيتها
وحتى توارى السفح من عالم الذكرِ

وفي القممِ الشّمّاءِ حلَّقتُ حائمًا
وأنبتُّ في أعلى شواهقها وكرِي

ولم يبقَ إلا أنت والجنَّةُ التي
زرعنا وكلَّلْنا بيانعة الزهرِ

ولم يبقَ إلا أنت والنسمةُ التي
تهبُّ من الفردوسِ مسكيَّةَ النشرِ

ولم يبقَ إلا أنت والزورقُ الذي
ترنَّحَ منسابًا على صفحة النهرِ

فيا منتهى مجدي إلى منتهى الغنى
غنَى الروحِ بعد الضَّنْكِ والذلِّ والفقرِ

أعيذك أن أغدو على صخرة لَقى
وكنتِ مِجَنِّي في مقارعةِ الصخرِ

أعيذك بعد التاجِ والعرشِ والذي
تألَّقَ من ماسٍ وشعشع من تبرِ

أعيذك من ردِّي إلى سَفهِ الثرى
وحِطَّتِه بين الأكاذيبِ والغدرِ

أعيذكِ أن تنسي ومن بات ناسيًا
هواه فأحرى بالنُّهَى عقم الفكرِ

إذا ما ذكرتِ العمر يومًا تذكري
هوًى وزمانًا لا يتاحان في العمر

فيا لك من حلمٍ عجيبٍ ورحلةٍ
تعدَّتْ نطاق الحُلْمِ للأنجمِ الزُّهرِ!

ويا لك من يومٍ غريبٍ وليلةٍ
عَفَتْ وغفتْ عن ظلمِ روحين في أسرِ!

ويا لك من ركنٍ خَفِيٍّ وعالمٍ
خَفِيٍّ غنيٍّ بالمفاتنِ والسحرِ!

ويا لك من أفْقٍ مديد ومولد
جديدٍ لقلبينا! ويا لك من فجرِ!

عـرفـتـك عـرفـان الـحـيـاة أحـسـهـا وأبصَرَها من كان يخطو إلى القبرِ
عـرفـتـك عـرفـان الـنـهـار لـمـقـلـةٍ مـخـضّـبـةِ الأحـلام حـالـكـةِ الـذعـرِ
رأت بك روحُ الفجرِ حين تبيَّنتْ بياض الأماني في أشعَّتِهِ الحُمرِ
بيَ الجرحُ جرحُ الكونِ من قبل آدم تغلغلَ في الأرواحِ يَدْمى ويستشرِي
تـولَّـتـهُ بـالإحـسـانِ كـفٌّ كـريـمـةٌ مـقـدّسـةُ الـحـسـنـى مـبـاركـةُ الـسـرِّ
فإن عدتُ وحدي بعد رحلتِنا معًا شريدًا على الدنيا ذليلًا على الدهرِ
رجعت بجرحي فاغرَ الفمِ داميًا أداريه في صمتٍ وما أحدٌ يدري
هو العيشُ فيه الصبرُ كاليأس تارةً إذا انهارت الآمالُ واليأسُ كالصبرِ
عرفتكِ كالمحرابِ قدْسًا وروعةً وكنتِ صلاةَ القلبِ في السرِّ والجهرِ
وقد كان قيدي قيدَ حبِّكِ وحدَهُ أنا المرءُ لم أخضعْ لنهيٍ ولا أمرِ
وأعجبُ شيء في الهوى قيدُكِ الذي رضيتُ به صِنْوًا لإيمانيَ الحرِّ
بَرِمْتُ بأوضاعِ الورى كل أمرهمْ وسيلةُ محتاجٍ ومسعاةُ مضطرِّ
برمتُ بأوضاعِ الورى ليس بينهمْ وشائج لم توصَلْ لغايٍ ولا أمرِ
إذا كان ما استنُّوا وما شرعوا القِلَى فذلك شرعُ الطينِ والحمَأِ المُزري
تمردتُ لا أُلوِي على ما تعوَّدوا ونفسي بهذا الشرعِ عارمةُ الكفرِ
وَهَبْ ملَكي الغالي الكريمَ وحارسي تخلى فما عذرُ الوفاءِ؟ وما عذري؟
عشقتُكِ لا أدري لحبيَ مبدأً ولا منتهى حسْبي بحبِّكِ أن أدري
إذا شئتِ هجرانًا فما أتعس المدى من النورِ للّيل المخيِّمِ للحشرِ!

شعرة

وشـعـرةٍ خـطـفـتُـهـا　　كـأنـنـي قـطـفـتُـهـا
ملكتُ ملكَ الدهرِ وحـ　　ـدي حينما ملـكتُها
إذا الـريـاحُ نـازعـتـ　　ـني أمرَها ضممتُها
بـقـبـضـتـيَّ خـائـفًـا　　إذا اعـتـدتْ رددتُـهـا
وفـي مـكـانٍ لـيـس فـي　　بـالٍ جَـرى خَـبَـأتُـهـا
خـبـأتُـهـاً حـيـث إذا　　جُـنَّ الـهـوى رأيـتُـهـا
حـبـسـتُـهـا قـرب عـيـو　　نـي إن أشَـأْ نـظـرتُـهـا
كـأنـمـا فـي بـصـري　　ومـقـلـتـي أخـفـيـتُـهـا
هــذي لــديَّ صــورةٌ　　مـن حـالـنـا جـلـوتُـهـا
أنت كهذي الشعرة السَّـ　　ـمـراء مـذ عـرفـتُـهـا
أقـسـم بـالـحـب وهـا　　تيك السنين عشتُها
كـأنَّـني فـي جنَّـة الـ　　ـفردوسِ قد قضيتها

يوم الجمعة

أصبحتُ يوم الجمعَهْ ذا غربة ما أضيعهْ!
منفردًا لا خلَّ لي وأينَ مَنْ قلبي معهْ؟
ضاقت بيَ الأرضُ فما في فُسحة الكون سَعَهْ
أقطع يومي مُبْطئًا كأنني لن أقطعَهْ
إني امرؤٌ يُفضي إلى أزمانه المرقَّعَهْ
يَلُمُّ من شَتاتها بجهده ما وَسِعَهْ
فلا يُصيبُ غير ما روَّعَهُ وفزَّعَهْ
ولا يُصيبُ غير ما أمَلّهُ وصدَّعَهْ
يا هند من يُعيد لي آماليَ المُزعزَعَهْ؟
وإنَّ يومًا واحدًا حِبالُه مُقطَّعَهْ
فكيف لو مرَّ بنا ثلاثةٌ أو أربعَهْ؟
قلبي خلا من نسمةٍ مشرقةٍ مُرَصَّعهْ
طالَعَهُ اليوم بها كأنه قد ودَّعَهْ
إن عاشه دونك يا هند تمنَّى مصرعَهْ

تعلة

هـكـذا كـلُّ جـمـيـلـهْ ... ليس لي في الغدر حيلهْ
أُنْجُ منها وامضِ عنها ... أخـذتْ قـلـبَـكَ غـيـلـهْ
بـعـد هـاتـيك الـلـيـالـي ... الـمـطـمـئِـنَّـات الـظـلـيـلـهْ
بـخـلـت لـيـلاك حـتـى ... بـالـتـعـلَّاتِ الـقـلـيـلـهْ
لم تدَعْ للقلب من طو ... ل الـتـبـاريـح وسـيـلـهْ
لم تدع للقلب ما يشـ ... ـفي من الوجد غليلهْ
لـم تـدع إلا رفـيـفًـا ... من نسيمٍ في خميلهْ
وخـــيـــالاتٍ يُـــداوي ... طيفُها نفسي العليلهْ
والـرسـالاتِ الـلـواتـي ... والأكـاذيـبَ الـنّـبـيـلـهْ

من لي؟

أناشدك الهوى هل أنتِ مثلي؟ نـهـاري فيكِ أشـجـانٌ ولـيـلـي

زمـانٌ لا يـفـارقـنـي عـذابـي ولازمـنـي الـشـقـاءُ بـه كـظلِّـي

كـأن الـلـيـلَ أصبح لـي مِـدادًا أسَـطِّـر مـنـه آلامـي ويُـمـلـي

حـيـاتـي فـيه قـفـرٌ بـعد قـفـرٍ وعـمـري فـيـه كـالأبـدِ الـمُـمِـلِّ

أبـعـد جـوار هـنـدٍ والأمـانـي أُكـابـد جـيـرةَ الـنـجـمِ الـمُـطِـلِّ

أحـبـكِ لا أَمَـلٌّ لـقـاكِ يـومًـا ومن لي بالذي يُدنيكِ؟ من لي؟

أحبكِ لست أدري سرَّ حبي وعلمي فيه أشقاني كجهلي

أقول لعلَّ هذا الدهرَ يصفو ويـا أسـفـاه لـو تُـغْـنِـي لـعـلِّـي

أحـاول سـلـوةً وأرى الـلـيـالـي بغيرِ هواكِ لي هيهات تُسلي

في لبنان

قلبٌ تقسَّم بين الوجدِ والألمِ هل عند لبنانَ نجوى النيلِ والهرمِ؟

أشكو جوايَ إلى الرُّوحِ التي احتضنتْ ناري وضَمَّتْ إلى أسقامَها سقمي

وقاسمتني الهوى حتى إذا رحلتْ ألقت فؤادي بضنكٍ غير مقتسمِ

ميثاقُنا أسطرٌ من مدمعٍ ودمٍ يا طاهر النفحة اذكرْ طاهرَ القَسمِ

يا من أعاتب دهري إذ أُودِّعُهُ وما عتابي على الأقدارِ والقِسمِ

إنّ النوى غرَّبتْهُ وهْي عالمةٌ أني رجعتُ أُداري النارَ بالضرمِ

ورنَّحتْ بعده خطوي وما عرفت من عثرة الحظِّ أم من عثرةِ القدمِ

خَلَتْ وران عليها الصمتُ وانقلبتْ كأنما لَفَّها ثوبٌ من العدمِ

بالله أيامَنا هل فيكِ منتَفعٌ ونحن من سَأمٍ نمشي إلى سَأم؟

وما أُرقِّع ثوبًا فيك منخرقًا لكن أرقِّعُ جُرحًا غيرَ ملتئمِ

في شم النسيم

أنت يا من جعلت روض حياتي — مــهــدَ وردٍ إلــيــكِ وردكِ رُدَّا

آيــةُ الــورد أنــه نــفــحــةٌ مــنـــ — ـــكِ ومن عطركِ العبيرَ استمدَّا

هــذه بــاقــةٌ مــن الــورد تــجــثــو — مَلكٌ في الرياض أصبح عبدا

يا جمال الجمال من خلَّد الحســ — ــن جميعًا في نظرةٍ منك تَنْدى؟

يا صباح الصباح من يَمْلكُ الأضــ — ــواء وصفًا أو الفرائد عَدًّا؟

ليس بدعًا يا وردة العمر أن كا — نت لمغناك وردةُ الروض تُهدى

لا تــظــنــي وردًا يــكــافــئ وردًا — أنت أغلى حسنًا وأكرم وردا

غير أني وإن عجزت عن التقــ — ــدير حاولتُ ما تمكَّنتُ جهدا

بــاعــثًــا لــلــوفــاء وردًا ولــلــقــلـــ — ـــب إلــى أعــمــق الــســرائــر ودًّا

وإلــى الــعــيــد أنــت عــيــدٌ لأيَّــا — مي جميعًا أنت الحبيبُ المُفَدَّى

في العيد

أَفـدي نـهـارًا طـلـعـتِ فـيـه نـجـم جـمـالٍ ونـجـم سـعـدِ
إنــي لـهـذي الـعـيـون عـبـدٌ والدهر — إما رضيتِ — عبدي
إن كــان عــيــدٌ بــه وورد فــأنـت عـيـدي وأنـت وردي
يا خير من مرَّ في وجودي إنـك كـلُّ الـوجـود عـنـدي
عـنـدي خَـفِـيٌّ مـن الأمـانـي أضـعـافُ ما جئتُ فيهِ أُبْدي
مـعـذرة فـي الـقـلـيـل إنـي والـلـه أعيا الـكـثـيرُ جُـهـدي
يـا فـتـنـتـي والـهـوى ديـونٌ حــســبــيَ أنــي لــه أؤدِّي
ما أنت؟ من أنت؟ هل مجيبٌ عــلــى ســؤالٍ بــغــيــر رَدِّ؟
لـم يـخـلـق الـلـه من جـمـالٍ يــلــفّــه فــي سَــنِــيٍّ بُــردِ
حـسـن قُـصـاراه من شـفـاهٍ عـطـرُ ثـنـاءٍ وطـيْـبُ حـمـدِ
ويـخـلـق الـلـه مـعـجـزاتٍ يـجـمـعـهـا كـلَّـهـا بـفـردِ
بـسـحـر عـيـنـيـك كـيـدَ بـاغٍ وسحر عينيك للتحدِّي ...

رثاء كلب صغير

قالت «لميكي» سِرْ بنا   نمشي لحاجتنا الهُوَيْنى
فأطاع مسرورًا كعا   دته ولم يسأَل لأَيْنا

* * *

فيم السؤال وكل شـ   ـيءٍ طيِّبٌ من أجلها
وبنفسه حبٌّ قُصا   راه الحياةُ بظلها
ماذا تغيَّر عزَّة   أو ذلَّة في حبها
سارت وكلُّ متاعِهِ   في أن يسير بقربها

* * *

يستاف نعلَيْها ويأ   بى في الوجودِ مُنافسا
فإذا تخيَّل دانيًا   من ترْبِها أو لامسا
يختال مِلْءَ نُباحِهِ   زَهْوًا ويخطرُ حارسا!

* * *

عجبًا له ولزهوه!   ما يصنع الواهي الصغيرْ؟
ما يصنع النابُ الضعيـ   ـفُ وما يُخيفُ ولا يُجيرْ؟

* * *

لـكـنّ «مـيـكـي» لا يـبـا　　لـي أن يـمـوت فـداءهـا
فـي وثـبـه هـيـهـات يـسـ　　ـأل مـا يـكـون وراءهـا

***

الأمـــرُ كـــلُّ الأمـــر أنْ　　يـغـدو يـدافـع دونـهـا
والنفس تُنكر في الضحـ　　ـيَّة عـقـلـهـا وجـنـونـهـا

***

مـن ذلـك الـظـلُّ الـمـلا　　زم في الحياة وفي الطريقْ؟
الـمـخـلـصُ الـوافـي إذا　　عَـزَّ الـمـنـادمُ والـرفـيـقْ

***

مـن قـلـبُـه صـافٍ ودَيـ　　ـدنُـه الـولاءُ الـمـطـلـقُ
فـكـأنـمـا فـيـه الـولاء　　سـجـيَّـةٌ تـتـدفـقُ

***

وإذا أُسِـيءَ فـإنَّ أسـ　　ـمى الحبِّ أن يُبدي رضاءَهْ
والـصـفـح عـنـد ذوي الـقـلـو　　بِ البيضِ من قبل الإساءَهْ

***

مـهـمـا نـظـرت لـه نـظـر　　ت إلـى مَـعِـينٍ من حـنـانِ
يُـفـضـي إلـيـك بـسـره الـ　　ـذَّنَبُ الصغير ومقلتان!

***

لا بـأس إنْ هـنـد جـفـت　　وقـسـت ألـيـسـت ربَّـتَـهْ؟
أَقْـصَـتْـهُ ثـم تـلـفَّـتـت　　تـرجـو إلَـيـهـا أوْبـتَـهْ

***

زَجَـرتْـه أو نـهـرتـه أو　　كـفَّـتْ عـلـى جُـرْمٍ يـده

فـهـي الـتـي لـم تَـنْـسَـهُ والأكـل مـلءُ الـمـائـده

* * *

وهـو الـذي فـي بـعـدهـا لـم يَـألُـهـا طـولَ ارتـقـاب
يـقـظـان يـنـتـظـر الـمـآب وَثَـوى يُـرَاقبُ خَـلْـف بَـاب!

* * *

هـنـد الـتـي اتَّـخـذتـه مـن دون الـخـلائـق إلْـفَـهـا
بحثت عن الإلْف الصغيـ ـر فـلـم تـجـدْهُ خـلـفـهـا

* * *

ميكي! وما ميكي ومصر عُـه عـلـى الـدنـيـا جـديـد
نـفـسٌ يـذوب وصـرخـةٌ تـدوي هـنـالـك مـن بـعـيـد

* * *

وتـلـفَّـتَـت هـنـدٌ لـمـو ضـعـه تـغـالـب وَجْـدَهـا
لا شـيءَ، قـد سـارت بـرفـ ـقـتـه وتـرجـعُ وحـدهـا

* * *

خـرجـت بـه جـذلانَ يـضـ ـحك مثلما ضحك الصباح
فـكـأنـمـا خـرجـت بـه لـيُـلاقـيَ الـقَـدَر الـمُـتـاح

* * *

سـارتْ بـه صـبـحًـا وعـا دت بـالـمـواجـع والـدمـوع
يـغـدو الـحـزينُ على الأسى وأشـقُّ شَـطْـريْـه الـرجـوع

خطاب

قَـبَّـلْـتُ خـطَّـك ألْـفـا ... ولـم أَدَعْ مـنـه حـرفـا

قد كنـتِ تـوأم قـلـبـي ... وكنتِ في الغيبِ إلفا

يا هند ما الحسن إني ... أُجِـلُّ حـسـنَـكِ وصـفـا

رأيــتُــه بــخَــيــال ... عـلـى جـمـالـك رَفَّـا

وكيف أخفي اشتياقي؟! ... ما بيننا ليس يَخْفَى!

آه

آهِ مــن مَــيَّــة آهٍ ثــم آهْ   وحبيب سحرتني مقلتاهْ
لو تمنَّيتُ قُبَيْل الموت ماذا   أتمنى؟ قلت تقبيل ثراه!
أتمنى الموت من مقلَتهِ   ما الذي يمنع أن أشتاق فاه
آهِ مــن مَــيَّــة آهٍ ثــم آه   وحبيبٍ عزَّني اليوم لقاه!

في ليلة غارة

يا ميَّةُ الحسناء هل يغزو الهوى — قلبيْن ما كانا على ميعـادِ؟
لا شـيءَ إلا أن ذُكرتِ فـهزَّني — طربٌ وبات على الحنين فؤادي
وظللتُ أحلم والتفتُّ لساعةٍ — تـدنـو إلـيَّ بـطـيـفِـكِ الـمـيَّـادِ
يـا مَـيَّ إن قد مُنيت بظلمةٍ — والليلُ يجثم فوق صدر الوادي
فأنرتِ لي قلبي وصرتُ كأنما — هذا السوادُ الجَهْمُ غيرُ سوادِ

سمراء المحفل

مَلَكي ومحرابي وقد سَ فؤاديَ المتبتِّلِ
لمن الجمال الفخمُ ير فُل في الغلائلِ والحُلِي؟!
متألقًا في خاطري متألقًا في المحفلِ
أقبلْ بما ولَّت به الـ ـدُّنيا وهاتِ وعلِّلِ
وابسط جناحكَ فوق قلـ ـبيْنا الغداةَ وظلِّلِ
طِرْ حيث شئتَ فإن دنوْ تَ لناظري فتمهَّلِ
واهًا لهذي الطلعةِ السـ ـمراءِ عند المجتلي
بغلائل الأضواءِ وشَّـ ـتْها رِقاقُ الأنملِ
وشَّت بشاشتها نضا رةُ وجهك المتهلِّلِ
فكأن طفلَ الفجرِ نا مَ على وسادةِ جدولِ!

روض الحسن

في أيِّ روضٍ من رياضكِ أمرحُ؟ وبــأيِّ آلاءٍ لَــدَيــكِ أُسَــبِّــحُ؟
ثمرٌ على ثمرٍ وإن المُجْتني ليحار من عذب الجنى ما يطرحُ
بالشعر أم بالمقلتينِ معلَّقٌ من ناظري وخواطري لا يبرحُ
تلك المحاسن في نُهايَ جميَعُها رفَّــافــةٌ ومــغــرِّداتٌ صُــدَّحُ
فإذا غفوتُ فإنني أمسي بها وعلى مغانيها الفواتنِ أُصبحُ

قلبي الثاني

أحـبـبـتُ مـيَّـة حـبًّـا لا يُـعـادلـهُ ... حبٌّ وأفنيتُ فيها العمرَ أجمعَهُ

أُحبُّ عمري الذي في قرب ميَّ وما ... قد مرَّ من دونها ما كان أضيعَهُ!

يا ميَّ يا قلبِيَ الثاني أعيش بهِ ... وإن يـكـنْ فوق ظنِّي أنّنـي معَـهُ

يا بضعة من كيان الصبِّ نابضةً ... بـكـل حُـبٍّ بـه الـرحـمـن أودعَـهُ

ما أضيع الصبر!

ما أضيع الصبر في جُرحٍ أداريهِ! أريد أَنْسَى الذي لا شيء يُنسيهِ
وما مجانبتي من عاش في بصري فأينما التفتتْ عيني تلاقيهِ!

ما حيلتي؟

ما حيلتي يا هند؟ وجهك لاح لي بـأنـوثـةٍ جـبَّـارةِ الـطـغـيـانِ
يا هندُ، أين رجولتي وعزيمتي فـي قـرب وجـهٍ سـاحـرٍ فتَّـانِ؟
وأنـا حـزينٌ ظامئٌ قد جدَّ لـي وِردٌ وراء مَـعِـيـنِـهِ شـفـتـانِ!

يا نسيم البحر

يا نسـيـم الـبـحـر ريانَ بـطـيـب ما الذي تحمل من عطر الحبيبِ؟
صـافـحـتـنـي مـن نـواحـيـك يـدٌ تمسح الدمعةَ عن جفن الغريبِ
وتـلـقَّـانـي رشـاشٌ كـالـبـكـا وهديرٌ مثلُ موصول الـنـحـيـبِ

ذات الليلة

بين سـهـدٍ وعذابٍ وضـنـى مرَّ لـيلـي، ذاك حـالـي وأنـا
أسألُ الأنجمَ عن حالِ المنى يا حبيبي كيف صارت بيننا
كيف أمسى يا حبيبي عهدُنا بـعـدما طـاب هـوانـا، ودنـا
كلُّ مـا كـان بـعـيدًا، ورنـا كلُّ نجمٍ من سماوات السنا؟

* * *

آه لـو يـنـظـر حـالـي الآن آهْ حينما ضاقت بآلامي الحياهْ
ندم النجمُ على غالي سناه ورأى كيف انطوينا فطواه

إلى هند

غرامكِ لي معبدٌ طاهرٌ دعائمُهُ شُيِّدتْ من ولوعي
تعهدتُ محرابَه بالوفاء وأوقدتُ فيه الهوى من شموعي
جوانبُه من دموعيَ قامتْ وأضلعُه بُنِيتْ من ضلوعي
ومن ذا رأى هيكلًا في الوجودِ يُقام على عمدٍ من دموعِ؟

يا دار هند

إني لأقنع من ظلالِ أحبِّتي　　بحنان أختٍ أو بكفٍّ مسلِّمِ
وبجلسةٍ طابت لديَّ بغرفة　　حملت عبيرَ الغائب المتوسِّمِ
يا أخت هندٍ خبّريها أنني　　صبٌّ يعيش بمهجة المتألمِ
صبٌّ سئمتُ من الحياةِ بدونِها　　أنا لا أحبُّ إذا أنا لم أسأمِ
ومضى النهارُ ولا نهارَ لأنهُ　　يمتدُّ عندي كالفراغ المظلمِ
يا دار هندٍ إن أذنتِ تكلَّمي　　يا دارها عيشي لهندٍ واسلمي
فدمي الفداءُ لحبِّ هندٍ وحدها　　وأنا المقصِّرُ إن بذلت لها دمي
ولقد حلفت لها ودمعي شاهدٌ　　أني فنيتُ علمتِ أم لم تعلمي!

شفاعة

لا تمْحُ رَوْعَتَها بذكر فعالها ... دعْها تمرَّ كما بدت بجلالها

لا تنكرنَّ الشمسَ عند غروبها ... أَوَ ما نعمتَ بِدِفْئِها وظلالها؟!

إن كان فاتك مجدها رَأْدَ الضُّحى ... فاحمدْ لها ما كان من آصالها

قسوة

قَسَتِ الحياةُ على الطريـ ـدِ فقم بنا نَنْعَى الحياةْ
وقسا الحبيبُ على الغريـ ـبِ فلا الدموع ولا الصَّلاةْ
فرغ الحديثُ ومن رواه طُوِيَ الكتابُ فمن طواهْ؟
عجبًا لهذا الحب من بدءِ الزمانِ لمنتهاهْ
وقضائِهِ بين الذي حفظ الوفاءَ ومن سلاهْ
قتلَى الهوى لا يُذكَرو ن ولا حساب على الجناهْ

محنة

هي محنةٌ وزمان ضيقْ وتكشَّفَتْ عن لا صديق
جـرَّبـتُ أشـواكَ الأذى وبلوتُ أحـجارَ الطريقْ
وكـأنَّ أيَّـامـي الـتـي من مصرعٍ ليست تفيقْ
وكأن موصول الضنى يمتاحُ من جُرْحٍ عميق
زرعٌ عـلـى ظُـلَـلٍ فـذا أبـدًا لـصـاحـبـه رفـيـقْ
هـذا الذي سَـقَـت الدمو عُ وذاك ما أبقى الحريقْ

الحب والربيع

جدّدي الحبَّ واذكري لي الربيعا إنني عشت للجمال تبيعا
أشتهي أن يلفَّني ورق الأيـ ـكِ وأثْوِي خلف الزهورِ صريعا
آه دُرْ بي على الرِّفاق جميعًا واجعل الشمل في الربيع جميعا
لا تقل لي اشتر المسرَّة والجا ه فإنِّي حُسْنَ الربى لن أبيعا
فلغيري الدنيا وما في حماها إنني أعشقُ الجمالَ الرفيعا
أنا من أجله عصيتُ وعُذِّبْـ ـتُ وأقسمتُ غيرَه لن أطيعا
وبطيبِ الربيع أقتاتُ زهرًا وعبيرًا ولا أُكابد جوعا
فَهْو حسبي زادًا إذا عَفَت الدُّنـ ـيا وأقْوَتْ منازلًا وربوعا

إلى ابنتي ضوحية

يا من طلبتِ الشعرَ هاك تحيَّتي ... وهواي يا روحي ويا ضوحيَّتي

أيُرادُ تفصيلٌ لما عندي وكم ... قلبٍ وموجز أمره في لفظةِ

لكن فنَّ الشعر وردُ أحبة ... يُهدى فهاك قصيدتي بل وردتي

والشعر روضٌ يانعٌ وعبيرُهُ ... سارٍ إلينا من عبير الجنّةِ

وأراكِ روضة رقةٍ ومحاسنٍ ... هل روضةٌ تهدي البيان لروضةِ؟

فإليك يا أغلى عزيزٍ يا ابنتي ... وأحبَّ من تصبو إليه مهجتي

تذكار والدك المحبِّ وديعةً ... فإذا ذكرت فهذه أمنيَّتي

والخطُ مثل الرسم إن يومًا نأى ... رسمي فللأثرِ العزيز تلفَّتي

غيوم

أملٌ ضائعٌ ولبٌّ مشرَّدْ بين حبٍّ طغى وجُرحٍ تمرّدْ

وضلالٌ مشت إليه الليالي هاتكاتٍ قناعه فتجرّدْ

وبدا شاحبًا كيوم قتيلٍ لم يكد يلثم الصباحَ المورَّدْ

غفر الله وهمها من ليالٍ صوَّرت لي الربيعَ والروض أجردْ

قاسمتني الورقاءُ أحزانَ قلبي وشجاه وغَرَّدَتْ حين غرَّدْ

ثم ولَّتْ والقلبُ كالوتر الدا مي يتيمُ الدموعِ واللحنُ مفردْ

ما بقائي أرى اطِّراد فنائي وانتهائي في صورةٍ تتجدّدْ

ورثائي وما يفيد رثائي لأمانٍ شقيةٍ تتبدَّد

عبثًا أجمع الذي ضاع منها والمنايا منِّي ومنها بمرصدْ

وبقائي أبكي على أملٍ با لٍ وأحنو على جريحٍ موسَّدْ

واحتيالي على الكرى وبجفنيَّ قتادٌ ولي من الشوك مرقدْ

وشكاتي إلى الدجى وهْو مثلي ضائعٌ صبحهُ ضليلٌ مسهَّدْ

وشخوصي إلى السماء بطرفي ونِدائي بها إلى كل فرقدْ

فجعتني الأيامُ فيه فلم يَبْـ ـقَ على الأرض ما يسرُّ ويُحمدْ

ذهبت بالجميل والرائعِ الفخـ ـمِ وطاحت بكل قدسٍ ممجّدْ

مالَ ركنٌ من السماءِ وأمسى هلهلَ النسج كلُّ صَرْحٍ مُمرَّد

ربِّ عفوًا لحيرتي وارتيابي وسؤالٍ في جانحي يتردّدْ

هو همس الشقاء ما هو شكٌّ لا ولا ثورةٌ فعدلك أخلدْ

أين يا رب أين من قبل حيْني ألتقي مرةً بحملي الأوحدْ؟
بخليلٍ ما ردَّه كيدُ نمَّا مٍ ولم يَثْنِه وشاةٌ وحُسَّدْ
وحبيبٍ إذا تدفَّق إحسا سي جزاني بزاخرٍ ليس ينفدْ
وعناقٍ أُحِسُّه في ضلوعي دافقًا في الدماءِ كاليمِّ أزبدْ

ذهب العمر

قضيتَ العمر تذكر لي   وأذكر في الهوى جرحكْ
فقم نسخرْ من الأمَلِ   ومن أعماقنا نضحكْ!

* * *

وقم نسخرْ من الدنيا   وقم نَلْهُ مع اللاهي
طويتُ صحيفة الأمسِ   فَدَعْها في يد اللهِ

* * *

هي الدنيا كما كانت   وماذا ينفع الوعظُ؟!
وما عتبت ولا خانت   ولكن خانك الحظُّ

* * *

أردنا الجاهَ والذهبا   فلم يتلطَّفِ المولى
وهذا العمرُ قد ذهبا   وأحسن ما به ولَّى

رباعيات

صيرَك الحسن أميرَ الوجود　　والشعر من درَّاته كلَّلَكْ
مستلهمًا منك معاني الخلود　　فكل تاجٍ في العلى منك لكْ

* * *

فَنَاهِبٌ برقَ الثنايا العذابْ　　وسارقٌ ياقوتةً من فمكْ
وكل تغريد الهوى والشبابْ　　أغْنيةٌ حامت على مبسمكْ

* * *

وذلك الماس الرفيع السنا　　والجوهر الغالي الذي صِدْتُهُ
أرفع من فكر الورى مَعْدِنا　　وكل فضلي أنني صُغْتُهُ!

* * *

لا فكر لي، عشتُ على فكرتكْ　　أقبس ما أقبس من غُرَّتكْ
ودمعتي تقتات من عبرتكْ　　فانظر بمرآتي إلى صورتكْ

* * *

أشقانيَ الحبُّ وقلبي سعيدْ　　يَعُدُّ هذا الدمع من أنعمكْ
أجزل ما كافأ هذا الشهيدْ　　بلوغُه المجد على سُلَّمكْ

***

لا شـيء من يوم النَّوى منقذي　　إنـي امرؤٌ عنك وشيك المسيرْ
وأنـت بـاقٍ والـجـمـال الـذي　　غنَّى به شعري ليومي الأخيرْ

***

انـظـر إلـى آيـات هـذا الـجـمـالْ　　تـرتـدُّ عـنـهـا عـاديـات الـبـلـى
عـاجـزةَ الـبـاع ويـأبـى الـزوالْ　　لـوردةٍ مـن عَـدْن أن تـذبـلا

***

لـلأنـفـس الـظـمـأى إلـيـك الـتـفـاتْ　　ولـهـفـةٌ مـلءَ اللّـحـاظ الـجـيـاعْ
ولـي الـتـفـاتٌ لـسـريِّ الـصِّـفـات　　والـلـؤلـؤِ الـلـمَّـاح خـلـف الـقـنـاعْ

***

قلبي مع الناس وفكري شَرودْ　　في عالَمٍ رَحْبٍ بعيد الشِّعابْ
عـيـنـي عـلـى سرٍّ وراء الـوجـود　　وبـغـيـتـي عرشٌ وراء الـسـحـابْ!

***

كم طرت بي واجتزت سور الضبابْ　　والضوء ملءُ القلب ملءُ الرحابْ
وعدت بي للأرض أرض السَّرابْ　　والـلـيـلُ جـهـمٌ كـجـنـاح الـغـرابْ

***

أريْـتَـنـي الـغـيـبَ الـذي لا يُـرى　　كـشـفـتَ لـي مـا لا يـراه الـبـصـرْ
ثـم انـحـدرنـا نـسـتـشـفُّ الـثـرى　　عـلَّ وراءَ الـتُّـرْب سـرَّ الـسـفـرْ

***

صـدري وسـادٌ زاخـرٌ بـالـحـنـانْ　　تـصـوُّري أعـجـب مـا فـي الـزمـانْ
مـوج عـلـى لُـجَّـتـه خـافـقـان　　قَـرًّا عـلـى أرجـوجـةٍ مـن أمـانْ

* * *

كمركب في البحر يومَ اغترابْ   ما أبعد المحنةَ بعد اقترابْ
هيهات يُنْجِي من شطوط العذابْ   إلَّا عبابٌ دافقٌ في عبابْ

* * *

ملأتُ كأسي وانتظرتُ النديم   فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ؟!
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم   أقلُّ ما في لفْحِهِ يقتلُ

* * *

أنت كريمُ الودِّ حُلوُ الوفاءْ   فما الذي عَاقَكَ هذا المساءْ؟
وما الذي أخَّر هذا اللقاءْ   وحرَّم النبع وصدَّ الظِماءْ؟

* * *

أذمُّ هذا الوقت في بُطْئِهِ   آخرهُ يعثرُ في بَدْئِهِ
لله ما أحمل من عبئِهِ   وما يعاني القلب من رُزْئِه

* * *

تدقُّ فيه ساعةٌ لا تدورْ   وإن تَدُرْ فهو صراعُ اللُّغوبْ
رنينُها يُقلق صمَّ الصدورْ   وطَرْقُها يقرع بابَ القلوبْ

* * *

يا ذاهبًا لم يَشْف مني الغليل   ما أسرع العقربَ عند الرحيلْ
هتفتُ: قف لم يبق إلَّا القليلْ   وكلُّ حيٍّ سائرٌ في سبيلْ!

* * *

يومٌ تولَّى أو ظلامٌ سجا   كلاهما بالقرب منك انتصارْ
أأحمد اليوم تلاه الدُّجى   أم أحمد الليل تلاه النهارْ؟

* * *

إنْ نَــوَّر الــنــجــمُ بــه مــرَّةً فــإن إشــراقَــكَ لــي مــرَّتــانْ
وكيف يُبقي الشكُّ لي حيرةً ولي على برج المنى نجمتانْ؟

* * *

فـهـذه تـلـمـع فـي خـاطـري مِـلءُ دمـي إشـراقُـهـا والـبـهـاءْ
وهــذه تُــومِــئُ لــلــســاهــرِ والـلـيـل صـافٍ وأديـم الـسـمـاءْ

* * *

وهـذه تـجـلـو كـثـيـف الـغـيـومْ وهــذه تَـدْرَأُ عــنــي الــهــمــومْ
وتَمحق الحزنَ وتَأسُو الكلومْ فما الذي أَجْرى دموعَ النجومْ؟

* * *

هــيــهــات أنــســى دُرَّة الأنــجــمِ إلــيَّ مــن آفــاقــهــا تــرتــمــي
وفــي جــريــحٍ أعــزلٍ تــحــتــمــي من أي هولٍ؟ هي لم تعلمِ!

* * *

إنَّ ضلوعًا تحتمي في ضلوعْ مـقـادرٌ لـيـس بـهـا مـن رجـوعْ
أخلدُ أصفاد الجوى والنزوعْ هـوى الـحـزانـى وعـنـاق الـدمـوعْ

* * *

رضيت بالدهر على ما جَنَى وأُبْتُ بالحكمة بعد الجنونْ
ومـرَّ يـومـي هـادئًـا سـاكـنـا وأَيُّ شــيءٍ خـادع كـالـسـكـونْ

* * *

أرنو إلى الصحراءِ حيث الرمالْ نامت كأنَّ اللفحَ فيها ظلالْ
يا ليت لي والدهر حالٌ وحالْ من وقدةِ الإحساسِ بعض الكلالْ

* * *

فأقبلُ الدنيا على حالها مسلِّمًا بالغدرِ في آلها
وراضيًا عنها بأغلالها محتملًا وطأة أثقالها

* * *

الرُّعْبُ سيّان بها والأمانْ والحسنُ زادٌ سائغٌ للزمانْ
والوهمُ في حالاتها كالعِيان والحبُّ والكرهُ بها توأمانْ

* * *

وَدِدْتُ لو قلبي كهذي القفارْ أصمُّ لا يسمع ما في الديارْ
أعمى عن الليل بها والنهارْ وددتُ لو قلبي كهذي القفارْ

* * *

وددتُ لو عنديَ جهلُ الثرى تَعْمُر أو تُقفر هذي البيوتْ
غفلان لا يعنيه أمرٌ جرى أيُولدَ الحيُّ بها أم يموتْ

* * *

وليلةٍ تمضي وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحدْ؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خَدَّاعٌ بها كالأحدْ

* * *

يمتلئُ السطحُ على ضيقهِ والوقت عندي كانفساح الأبد
حسدته والقلب في ضيقه أنا الذي لم أدْرِ طعمَ الحسدْ

* * *

وذلك (الچاز) وهذا النغمْ منتقلًا بين الرضا والألمْ
يحمل لي طيفَ خيالٍ قَدِم تراه عيني في ثنايا حُلُمْ

* * *

فـي واحـةٍ يـرسـو عـلـيـهـا الـغـريـبْ   فـكـلُّ مـا فـيـهـا لـديـه غـريـبْ
وهـكـذا الـدنـيـا خـداعٌ عـجـيـبْ   إذا خـلـت أيـامُـهـا مـن حـبـيـبْ

* * *

وهـكـذا يـومٌ ويـومٌ سـواه   يـنـكـرهـا الـقـلـبُ الـصَّـبـورُ الـحـمـولْ
وهـكـذا يـذهـب طِـيـبُ الـحـيـاهُ   بـيـن الـتـمـنـي واعـتـذار الـرسـولْ

* * *

هـنـا مِـهـادُ الـحـبِّ هـل تـذكـريـنْ؟   وهـا هـنـا بـالأمـس طـاب الـسـمَـرْ
وتـلـك الأحـلامُ الـهـوى والـسـنـيـنْ   يـحـمـلـهـا الـتـيَّـارُ فـوق الـنـهَـرْ

* * *

والـقـمـرُ الـفـضـيُّ بـيـن الـغـيـومْ   يـخـفـق كـالـمـنـديـل عـنـد الـوداعْ
يـا حـسـرتـا! هـل صـوّرتـهُ الـهـمـومْ   كـالـزورقِ الـغـارقِ إلَّا شـراعْ

* * *

قـد جـلَّـلـتـه غـيـمـةٌ عـابـرهْ   تـسـحـبُ أذيـالَ الأسـى والـنـدمْ
وأغـرقـتـهُ مـوجـةٌ غـامـرهْ   فـأطـبـق الـصـمـتُ وَرَانَ الـعـدمْ

* * *

ضـمـمـت أضـلاعـي عـلـى نـعـشِـهِ   فـلـم يـزلْ فـيـهـا لـهـاوٍ شـعـاعْ
لأيِّ غـورٍ زالَ عـن عـرشِـهِ   وغـاص فـي الـلـجِّ إلـى أيِّ قـاعْ

* * *

أرثـي لـحـظِّ الأُفـق وهـو الـذي   يـرمـقُـنـي بـالـنـظـرة الـسـاخـرهْ
وتـهـرب الأنـجـمُ هـذي وَذي   ويـجـثـم الـلـيـلُ عـلـى الـقـاهـرهْ

* * *

ويزحف الكونُ على خاطري   كأنه في مقلة الساهر
سَدٌّ من الرُّعبِ بلا آخرِ   يعبُّ عَبُّ الأبدِ الزاخرِ

* * *

وفي ظلالِ الموت موتِ الوجودْ   وخلفَ أطلال البلىِ والهمودْ
وبين أنفاس الرَّدى والخمودْ   وتحت سُحْبٍ عابساتٍ وسودْ

* * *

تدفعني عاصفةٌ عاتيهْ   تقصف من خلفي وقُدَّامِيَهْ
قد مزَّقت روحي وآماليَهْ   وقرَّبتْ لي طرَفَ الهاويهْ!

* * *

تلمع في الظلمة أحداقُها   قد رحَّبَتْ باليأس أعماقُها
شافيةُ النفس وترياقُها   مشتاقةٌ أقبل مشتاقُها

* * *

قد كان لي عندك عزُّ الذليلْ   وكان للآمال ومضٌ ضئيلْ
يلمع في ظَنِّي قبل الرحيلْ   فانطفأ النورُ ومات القليلْ

* * *

فداك يا جاهلةً ما بيَهْ   قلبي وأنفاسي الظمّاء الحِرارْ
وكيف أنسى ليلتي الداميَهْ   ولهفتي أَلْهَثُ خلف القطارْ؟

* * *

وعودتي أجرع كأسَ الحياة   مُعاقِرًا سُمَّ الفناءِ البطيءْ
أُنْكِرُ أو أفزعُ ممن أراه   سيان من يذهب أو من يجيءْ

* * *

ولـيـلـةٍ فـاضـت بـوسـواسـهـا تـعـجـبُ من إلْفَين بين البَشَرْ
ذلـك يـعـدو خـلـف أنـفـاسـهـا وهـذه تـتـبـع سـيـر الـقـمـرْ

* * *

تـتـبـعـه بـيـن الـرُّبـى والـشِّـعـابْ تـتـبـعـه يـسـري خـلال الـحـسـابْ
كم هَلَّلَتْ وهو يضيء الرِّحابْ والـتـفـتَتْ مـحـسـورةً حـيـن عـابْ

* * *

وذلك الطفل اللهيف الغيورْ في فَلَكٍ من ضوء ليلى يدورْ
يقفو خطاها وهي بين الطيورْ لـهـا جـنـاحـان مـراحٌ ونـورْ

* * *

كـزورق يـعـبـرُ بـحـرَ الـوجـودْ لـه شـراعـان ولـحـظٌ شَـرُودْ
كم شرَّقا أو غرَّبا في صعودْ وارتـفـعـا حـتـى كـأن لـن يـعـودْ

* * *

ليلى ارجعي إني شقيٌّ كئيبْ أهتف مفقودَ الهُدى والقرارْ
يـا هـاتـه الأوطـان إنـي غـريـبْ وعـالـمـي لـيـس هـنـا يـا ديـارْ!

* * *

تـركـتـنـي وحـدي وخـلَّـفْـتـنـي أرزح تحت المبْكيات الثِّقالْ
أنـكـرتِ مـيـثـاقـي وأنـكـرتـنـي أَكُلُّ مـاضـيـنـا ولـيـد الـخـيـالْ؟

* * *

فـرغـت مـن أحـلامـه وانـطـوى بِـمُـرِّهِ وارتـحـتُ مـن عـذبـهِ
الأمـرُ مـا شـئـتِ فـذنـب الـهـوى عـلـى الـذي يـكـفـر يـومًـا بـهِ

* * *

كـان إلـى الـلـه سـبـيـلـي ومـا　　كـان إلـى الإيـمـان دَرْبٌ سـواهْ
وكان فـي جُـرح الـهوى بـلـسـما　　وكـان عـنـدي مـنـحـة مـن إلـهْ

* * *

مـهـمـا تـكـن نـاري فـإنَّ الـجـحـيـم　　أرأفُ بـي مـن ظـلـم هـذا الـبـعـادْ
وربَّ هـمٍّ مُـقْـعِـدٍ أو مـقـيـمْ　　قـد لـطَّـفَـتْـهُ نـسـمـاتُ الـودادْ

* * *

فـخـفَّـتِ الـنـارُ وقـرَّ الـهـشـيـمْ　　وعـاودتـنـي الـذِّكَـرُ الـغـابـرهْ
والـنـيـلُ يـجـري هـادئًـا والـنَّـسـيـمْ　　مـعـربـدٌ فـي الـخُـصَـل الـثـائـرهْ

* * *

كـم تـهـتـف الأيـامُ: خـانـت فَـخُـنْ　　ويـح حـيـاتـي إنْ تَـخُـنْ أمـسـهـا
إن هـنـتُ هـذا عـهـدُهـا لـم يَـهُـنْ　　ولا لـيـالـيـهـا وإن تـنـسـهـا

* * *

تُـهـيـب بـي الـفـرصـةُ قـبـل الـفـواتْ　　ويـعـرض الـصَّـيـدُ فـلا أقـنـصُ
إنـي امـرؤ زادي عـلـى الـذكـريـاتْ　　ومـا غـلا عـنـديَ لا يـرخـصُ

* * *

ومـطـلـبٍ فـي الـعـمـر ولَّـى وفـات　　وكـان هـمِّـي أنـه لا يـفـوتْ
كـأن فـجـرًا ضـاحـكًـا فـيَّ مـاتْ　　ومـلءُ نـفـسـي مـغـربٌ لا يـمـوتْ

* * *

فـي الـسّـأم الـحـيِّ الـذي لا يَـبـيـدْ　　والأمـلِ الـطـاغـي بـأن تـرجـعـي
أجـدِّدْ الـعـيـش ومـا مـن جـديـدْ　　وأدّعـي الـسـلْـوان مـا أدّعـي!

* * *

كم خانني الحظُّ ولا أنثني   أقضي زماني كلَّهُ في لعلْ
وتقسم المرآة لي أنني   رَقَّعْتُ بالآمالِ ثوبَ الأجلْ

* * *

قد فاتني الصيفُ وخان الربيعْ   وكان همِّي كلُّه في الخريفْ
وما شَكاتي حين شملي جميعْ   وأنت لي أيكٌ وظلٌّ وريفْ

* * *

والآن قد مزَّق عندي القناعْ   موتُ الأباطيل وزحف الشتاءْ
وبدَّد الوهمَ وفضَّ الخداعْ   بَرْدُ المنايا وشحوبُ الفناءْ

* * *

وأَسِفَ القلبُ لكنزي الذي   غَصَّتْ به أفئدة الحُسَّدِ
صحوت من وهمي ولا كنز لي   قد صَفِرَتْ منها ومنه يدي

* * *

أين زمانٌ مُكتسٍ يومُهُ   بالحبِّ مَوْشِيٌّ بحُلْم الغدِ
من هاته الأيام محرومةً   عريانة الآمال والموعد؟!

* * *

قد قتل الدهرُ هنائي كما   ماتت بثغري ضحكات السعيد!
وربما رقَّ زمانٌ قسا   فانعطف الجافي ولان الحديدْ

* * *

محقق الآمال أو واعدٌ   بفرحةٍ يوم لقاء وعيدْ
فإن يَعِدْني ثار شكِّي به   كأنما وعد الليالي وعيدْ!

***

وا آسفا هذا سجلٌّ كُتِبْ خَطَّتْهُ كفُّ القدَرِ المحتجبْ
ففيم عَوْدِي لقديم الحِقَبْ وفيم تَسْآليَ عمّا ذهبْ؟

***

ضاقت بنا مصرُ وضقنا بها وكلُّ سهلٍ فوقها اليوم ضاقْ
وضاقتِ الدنيا على رحبِها أين نداماي؟ وأين الرفاقْ؟

***

كفٌّ تَلُمُّ العمرَ والعُمرُ راحْ وقبضةٌ تجمع شملَ الرياحْ
لا حَبَبٌ باقٍ ولا ظل راح ليلٌ تولَّى وتولَّى صباحْ

***

هذا نهارٌ مات يا للنَّهارْ كل مساءٍ مصرعٌ وانهيارْ
مال جدارُ النورِ بعد انحدارْ وغابتِ الشمسُ وراءَ الجدارْ

***

وذا مساءٌ صبغتْهُ الهمومْ بلونها القاني وهذي غيومْ
تحوم والظلمةُ فيها تحومْ تبسط مهدًا ليِّنًا للنجومْ

***

كأن ثوبًا في السماء احترقْ فلم يزل حتى استحال الأفقْ
ظلَّ دخانٍ أو بقايا رمقْ ولمَ يعُد إلاَّ ذيولُ الشفقْ

***

وتزحف الظلماءُ زحفَ المُغيرْ حاجبةً ما دونها كالسِّتارْ
وكل حيٍّ وادعٌ أو قريرْ ما اختلف الشأن ولا الحظُّ دارْ

* * *

العيشُ أمرٌ تافهٌ والمنونْ والحكمةُ الكبرى بها كالجنونْ
وهكذا نمضي وتمضي السنونْ وهكذا دارتْ رحاها الطحونْ

* * *

في شَجِّهَا حينًا وفي طَعْنِها سينقضي العمرُ وأين الفرار؟
وثورةُ الشاكين من طحنِها نوحُ الشظايا وعتابُ الغُبارْ!

وراء الغمام

الإهداء

أنـتَ وحـيُ الـعـبـقـريـهْ وجـلالُ الأبـديـهْ
أنت لحنُ الخلد والرحمة في أرض شقيهْ
أنـت سـرٌّ تـعـبـتْ فـيـه الـعـقـول الـبـشـريـهْ
إن تكن أشجتك أشعاري وأناتي الشجيهْ
فـتـقـبَّـلْ طـاقـةً بـالـدم والـدمـع نـديـهْ
وارضَ عنها وإذا لم ترضَ فاغفر لي الهدية

* * *

يا حبيبي! نضب العمر وقرَّبنا الضحيهْ!
إن يكن قد شقي الماضي فما أهنا البقيهْ
فــي خــيــالاتٍ غــوالٍ وأمــانٍ ذهــبــيــهْ
يطلع الصبح عليها مثلما تمضي العشيهْ
أنت صـهـبـاء الـسـمـاوات، وروح قُـدُسـيـهْ
بتَّ تسقيني فتنسيني أوجاعي العصيهْ
فـسـلامًـا كـل حـيـنٍ وغـرامًـا وتـحـيـهْ!

المآب

رفيق من رفاق الصِّبا، رآه الناظم عليلًا محمولًا بعد غربة طويلة.

لِمَن العيونُ الفاتراتُ ذبولا ... ومَنِ الخيالُ موسَّدًا محمولا
يا همَّ قلبي في صبا أيامه ... وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناي كذَّبتا وقلبي لم تدع ... دقاتُه شكًّا ولا تأويلا
يا أيها الملك العليل أفقْ تجد ... مضناك بين العائدين عليلا
يوم المآب كم انتظرتك باكيًا ... وبعثتُ أحلامي إليك رسولا
خاطبتُ عنك فما تركتُ مخاطبًا ... وسألتُ حتى لم أدْع مسؤولا
وغرقتُ في الأمل الجميل فلم أدع ... متخيَّلًا عذبًا ولا مأمولا
وبكيتُ من يأسي عليك فلم أذر ... عند المحاجر مدمعًا مبذولا
وأسائل الزمن الخفيَّ لعله ... يشفي أوامًا أو يبل غليلا
«يا أيها الزمن الذي أسراره ... لا تستطيع لها العقول وصولا»
«بالله قل أوَما وراءك لحظة ... جمعت خليلًا هاجرًا وخليلا؟»
هي لحظةٌ وهي الحياة ومن يعش ... من بعدها يجد الحياة فضولا
مرَّ الظلام وأنت ملء خواطري ... ودنا الصباح ولم أزل مشغولا
وأتى النهار على فتى أمسى بما ... حمل النهار من الشؤون ملولا
وكذا الحياةُ تملُّ إن هي أقفرت ... ممن يهوِّن عِبئها المحمولا
كدٌّ على كدٍّ ولست ببالغ ... إلا ضنًى متتابعًا ونحولا
صدأُ الحوادثِ بدَّل الإشراقَ في ... فكْري وكدَّر خاطري المصقولا

وتتابعُ الأنواءِ في أفق الصِّبا | لم يُبقِ لي صحوًا أراه جميلا
ذهب الصبا الغالي وزالت دوحةٌ | مدت لنا ظلَّ الوفاء ظليلا
أيام يخذلني أمامك منطقي | فإذا سكتُّ فكل شيءٍ قيلا!
ويثور بي حُبي فإنْ لفظٌ جرى | بفمي تعثر بالشفاه خجولا
يا مَن نزلتُ بنبعهِ أردِ الهوى | فأذاقنيه محطمًا ووبيلا
ما راعني ما ذقته وخشيت أن | ألقاك بالداء الدفين جهولا
فأشدُّ ما عانى الفؤاد صبابةً | شبَّتْ وظل دفينها مجهولا!

ساعة لقاء

يا حبيبَ الروحِ يا روحَ الأماني　　لستَ تدري عطش الروح إليكا
وحنيني في أنين غير فاني　　للرَّدى أشربه من مقلتيكا

* * *

آه من ساعة بثٍّ وشجونْ　　ولقاء لم يكن لي في حسابْ
وحديثٍ لم يدر لي في الظنونْ　　يا طويلَ الهجر يا مُرَّ الغيابْ

* * *

حلَّ يا ساحر صفوٌ وسلام　　بعد فتكِ البينِ بالقلبِ الغريبْ
ودنا روْضٌ وظلٌّ وغمامْ　　بعد فتك النار بالعمر الجديبْ!

* * *

مرَّتِ الساعة كالحلم السعيدْ　　ومشت نشوتها مشي الرحيقْ
ذهبَ العمر، وذا عمرٌ جديدْ　　عشته من فمك الحلو الرقيقْ!

* * *

مرَّتِ الساعة والليل دنا　　والهوى الصامت يغدو ويروحْ
وتلاشت واختفت أجسادنا　　واعتنقنا في الدُّجى روحًا بروحْ

* * *

تسمع الشعر وشعري منك لكْ   وبـإلـهـامـك أبـدعـتُ الـرويّْ
أنت يا مـعـجـزَةَ الـحـسـنِ مـلـكْ   كلُ لـفـظٍ مـنـك شـعـرٌ قُـدسـيّْ

* * *

راجـعـتـنـا فـي جـلال وسـكـوتْ   وتـوالـت صـور الـمـاضـي الـحـزينْ
كيف يبلى يا حبيبي أو يموت   ما طبعناه على قلب السنينْ

* * *

كيف يـفـنـى مـا كـتـبـنـاهُ بـنـارْ   وخـطـطْـنـاهُ بـسـهـدٍ ودمـوعْ
يـشـهـد الـلـيـل عـلـيـه والـنـهـار   والشهيد المتواري في الضلوعْ

* * *

الـتـقـت أرواحُـنـا فـي سـاحـةٍ   كغريبينِ استراحا من سَفرْ!
وحـطَـطْـنـا رحـلَـنـا فـي واحـةٍ   زادُنـا فـيـهـا الأمـانـيْ والـذِكـرْ

* * *

وتـسـاءلـتُ عـن الـمـاضـي وهـلْ   حَسُنت دنيايَ في غير ظلالِكْ؟
يا حبيبي! أين أمضي من خجلْ؟!   وفؤادي أين يمضي من سؤالِكْ؟!

* * *

شـدَّ مـا يُـخـجِـلُـنـي جـهـدُ الـمُـقِـلْ   مِنِ شبابٍ ضاعَ أو من نورِ عينِ
يتمشى السقمُ في قلبِ الأجلْ   وأرانـي لـك مـا وفَّـيـتُ دَيْـنـي

* * *

أنـا شـاديكَ ولـحـنـي لـك وحـدكْ   فاقضِ ما ترضاهُ في يومي وأمسي
درجَ الـدهـرُ ومـا أذكـرُ بـعـدَكْ   غـيـرَ أيـامِـك يـا تـوأم نـفـسـي!

* * *

وأنـا الـطـائـرُ! قـلـبـي مـا صـبـا لـسـوى غـصِـنـك والـوكـرِ الـقـديـمْ
مـا تـبـدَّلـنـا! ولا حـالُ الـصِّـبـا والـهـوى الـطـاهـرُ والـودُّ الـكـريـمْ

* * *

لـم تـزَلْ ذكـراهُ مـن بـالـي وبـالِـكْ كـيـف ينـسى القلبُ أحـلامَ صـبـاهْ؟
قد صحتْ عيني على فجر جمالكْ كيف يُنسى الفجر يا فجرَ الحياهْ؟!

العودة

عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها.

هذه الكعبةُ كنَّا طائفيها　　والمصلِّين صباحًا ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها!　　كيف باللّه رجعنا غرباء؟!

***

دارُ أحلامي وحبِّي لقيتنا　　في جمود مثلما تلقى الجديدْ
أنكرتْنا وهْي كانتْ إن رأتْنا　　يضحك النورُ إلينا من بعيدْ

***

رفْرَفَ القلبُ بجنبي كالذبيحْ　　وأنا أهتف: يا قلبُ اتَّئدْ
فيجيب الدمعُ والماضي الجريحْ　　لِمَ عُدنا؟ ليت أنَّا لم نعد!

***

لِمَ عُدنا؟ أَوَ لم نطوِ الغرامْ　　وفرغنا من حنين وألمْ
ورضينا بسكون وسلامْ　　وانتهينا لفراغ كالعدم؟!

***

أيها الوكرُ إذا طار الأليفْ　　لا يرى الآخرُ معنًى للمساءْ

ويرى الأيام صُفرًا كالخريفْ نائحات كرياح الصَّحراء

* * *

آهِ مما صنع الدهرُ بنا! أَوَ هذا الطللُ العابس أنتَ؟!
والخيال المطرق الرأس أنا شدَّ ما بتْنا على الضنك وبتَّ!

* * *

أين ناديكَ؟ وأين السمرُ؟ أين أهلوكَ بساطًا وندامى؟
كلّما أرسلتُ عيني تنظرُ وثبَ الدمعُ إلى عيني وغاما

* * *

مَوْطِنُ الحسن ثوى فيه السأمْ وسرتْ أنفاسُه في جوِّهِ
وأناخ الليلُ فيه وجثمْ وجرَتْ أشباحُه في بهوِهِ

* * *

والبِلى! أبصرتُه رأيَ العيانْ ويداه تنسجان العنكبوتْ
صحتُ يا ويحكَ تبدو في مكانْ كلُّ شيءٍ فيه حيٌّ لا يموتْ!

* * *

كلُّ شيءٍ من سرور وحَزَنْ والليالي من بهيجٍ وشَجِي
وأنا أسمعُ أقدامَ الزمنْ وخُطى الوحدةِ فوق الدرجِ

* * *

رُكْنِيَ الحاني ومغنايَ الشفيقْ وظلال الخلدِ للعاني الطليحْ
علم الله لقد طال الطريقْ وأنا جئتكَ كيما أستريح

* * *

وعلى بابكَ أُلقي جعبتي كغريب آب من وادي المِحنْ!
فيكَ كفَّ الله عنِّي غربتي ورسا رَحْلي على أرض الوطن!

* * *

وطـنـي أنـتَ ولـكـنِّـي طـريـدْ أبديُّ النفيِ في عالَم بؤسـي!
فـإذا عـدت فـلـلـنـجـوى أعـودْ ثم أمضي بعدما أُفرغ كأسـي!

الحنين

الحنين إذا كبر وزاد قد يتجسم شخصًا.

أمسى يعذبني ويضنيني شوقٌ طغى طغيانَ مجنون

أين الشفاء ولمَ يعد بيدي إلَّا أضاليلٌ تداويني؟

أبغي الهدوء ولا هدوء وفي صدري عبابٌ غير مأمون

يهتاج إن لَجَّ الحنين به ويئن فيه أنينَ مطعون

ويظل يضرب في أضالعه وكأنها قضبان مسجون

ويحَ الحنين وما يجرعني من مُرِّه ويبيت يسقيني

ربيتُه طفلًا بذلتُ له ما شاء من خفضٍ ومن لينِ

فاليوم لمَّا اشتدَّ ساعدُه وربا كنوارِ البساتينِ

لَم يرضَ غير شبيبتي ودمي زادًا يعيشُ به ويفنيني

كم ليلةٍ ليلاءَ لازمني لا يرتضي خلًّا له دوني!

ألفي له همسًا يخاطبني وأرى له ظلًّا يماشيني

متنفسًا لهبًا يهبُّ على وجهي كأنفاسِ البراكينِ

ويضمُنا الليلُ العظيمُ وما كالليلِ مأوًى للمساكينِ

الناي المحترق

كم مرَّة يا حبيبي — والليل يغشى البرايا
أهيم وحدي وما في الـ — ـظلام شاكٍ سوايا
أصيِّرُ الدمعَ لحنًا — وأجعَلُ الشعرَ نايا!
وهل يلبِّي حطام — أشعلته بجوايا؟!
النار توغل فيه — والريحُ تذرو البقايا
ما أتعسَ الناي بين الـ — ـمنى وبين المنايا!
يشدو ويشدو حزينًا — مرجعًا شكوايا
مستعطفًا مَنْ طوينا — على هواه الطوايا
حتى يلوح خيالٌ — عرفته في صبايا
يدنو إليَّ وتدنو — من ثغره شفتايا
إذا بحملي تلاشى — واستيقظت عينايا
ورحت أصغي، وأصغي — لَم أُلْفِ إلاَّ صدايا!

المنسي

متى يرق الحظ يا قاسي ويلتقي المنسيُّ والناسي؟!

متى؟! وهل من حيلةٍ في متى وفـي خـيـالاتٍ وأحـداسٍ؟

هدَّ قراري جريُها في دمي وهمسُها في كر أنفاسي

وأنت مثل النجم في المنتأي وفي السنا الخاطف كالماسِ

يرنو له الناسُ ويبغونه وما يبالي النجمُ بالناسِ!

وأنت كأسُ الحسنِ لكننا مثل حبابٍ حامَ بالكاس

طفا وقد قبَّل أَنْوارَها ورفَّ مثل الطائر الحاسي!

وجفَّ أو ذاب على نورها كما يذُوب الطلُّ بالآس!

تحليل قبلة

ولـمـا الـتـقـيـنـا بـعـد نـأي وغـربـة
شجيين فـاضـا مـن أسًـى وحـنـيـن

تسائلني عيناك عن سالف الهوى
بـقـلـبـي وتـسـتـقـضـي قـديـم ديـونِ

فقمت وقد ضَجَّ الهوى في جوانحي
وأنَّ مــن الــكــتــمــان أيَّ أنــيــنِ

يـبـث فـمـي سـرَّ الـهـوى لـمـقـبَّـل
أجـود لـه بـالـروح غـيـرَ ضـنـيـن

إذا كنتِ في شَكٍّ سَلِي القبلة التي
أذاعـت مـن الأسـرار كـل دفـيـن

مـنـاجـاة أشـواق وتـجـديـد مـوثـق
وتـبـديـد أوهـام، وفـض ظـنـون

وشكوى جوى قاسٍ وسقمٍ مبرحٍ
وتـسـهـيـد أجـفـانٍ وصـبـر سـنـيـن!

الحياة

استعراض للحياة في الشارع

جلستُ يومًا حين حلَّ المساءْ　　وقد مضى يومي بلا مؤنسِ
أريح أقدامًا وهتْ من عياءْ　　وأرقب العالَم من مجلسي!

* * *

أرقبه! يا كَدَّ هذا الرقيب　　في طيب الكون وفي باطلهْ
وما يبالي ذا الخضم العجيبْ　　بناظر يرقب في ساحله

* * *

سيان ما أجهل أو أعلم　　من غامض الليل ولغز النهارْ
سيستمر المسرح الأعظم　　روايةً طالت وأين الستار ؟!

* * *

عييتُ بالدنيا وأسرارها　　وما احتيالي في صموت الرمالْ!
أنشد في رائع أنوارها　　رشدًا فما أغنم إلا الضلالْ!

* * *

أغمضت عيني دونها خائفَا   مبتغيًا لي رحمة في الظلامْ
فصاح بي صائحها هاتفَا   كأنما يوقظني من منامْ:

* * *

أنت امرؤٌ ترزح تحت الضنى   لم يبق منك الدهر إلا عنادْ!
وكل ما تبصره من سنا   يهزأ بالجذوة خلف الرمادْ!

* * *

وكل ما تُبصره من قوى   تدوي دويَّ الريح عند الهبوبْ
يسخر من مبتئس قد ثوى   يرنو إلى الدنيا بعين الغروبْ!

* * *

انظر إلى شتى معاني الجمالْ   منبثة في الأرض أو في السماءْ
ألا ترى في كل هذا الجلال   غير نذيرٍ طالعٍ بالفناءْ؟!

* * *

كم غادة بين الصبا والشبابْ   تأنقَّ الصانع في صنعها
تخطر والأنظار تحدو الركاب   ولفظة الاعجاب في سمعها!

* * *

وربما سار إلى جنبها   مدلَّه ليس يبالي الرقيبْ
يمشي شديد العجب في قربها   إذ راح يوليها ذراع الحبيبْ!

* * *

وانظر إلى سيارة كالأجل   تخطف خطفًا لا تُبالي الزحامْ
هذا الردى الجاري اختراع الرجلْ   هل بعد صنع الموت شيءٌ يُرامْ؟!

* * *

وانظر إلى هذا القويِّ الجسدْ   الباتر العزم الشديد الكفاحْ!

قد أقبل الليل فحيٍّ الجلد   في رجل يدأبُ منذ الصباحْ

* * *

أجبت: يا دنياي من تخدعين؟   إني امرؤٌ ضاق بهذا الخداعْ
مزَّقتِ عن عيشي هنيَّ السنين   لأنني مزقتُ عنكِ القناعْ!

* * *

إن الجمالَ الساحرَ الفاتنا   يا ويحه حين تغير الغضونْ
ويعبثُ الدهر بحلو الجنى   وتستر الصبغة إثم السنينْ!

* * *

وهذه السيارة العاتيهْ   وربها الجبار كالبرق سارْ
ما هي إلا شُعَلٌ فانيهْ   نصيبها مثل شعاع النهارْ!

* * *

وا رحمتاه للقويِّ الصبورْ   يقضي الليالي في كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبكي لكدح الفقيرْ   أقصى مناه أن ينال الرغيفْ؟!

* * *

كم صحتُ إذا أبصرت هذا الجهادْ   وميسم الذلة فوق الجباهْ!
يا حسرتا ماذا يلاقي العبادْ؟!   أكُلُّ هذا في سبيل الحياهْ؟!

* * *

وفي سبيل الزاد والمأكل   نملأ صدر الأرض إعوالا
كم يسخر النجمُ بنا مِن عل!   وكم يرانا الله أطفالا!

* * *

يا ربِّ غفرانك إنا صِغارْ   ندبُّ في الدنيا دبيبَ الغرورْ
نسحب في الأرض ذيولَ الصغارْ   والشيبُ تأديبٌ لنا والقبورْ!

قلب راقصة

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأينا مستغرقًا في الفكر والسأمِ
فمضيتُ لا أدري إلى أينا ومشيت حيث تجرُّني قدمي

* * *

فرأيتُ فيما أبصَرَتْ عيني مَلهًى أُعِدَّ ليبهجَ الناسا
يجلون فيه فرائدَ الحسنِ ويباع فيه اللهو أجناسا

* * *

بغرائب الألوان مزدهر وتراه بالأضواء مغمورًا
فقصدته عَجِلًا ولي بصرٌ شبه الفراشة يعشق النورَا!

* * *

ودخلتهُ أجتازُ مزدحمًا بالخَلق أفواجًا وأفواجا
وأخوضُ بحرًا بات ملتطمًا بالناس أمواجًا وأمواجا

* * *

فقدوا حجاهم حينما طربوا ودووا دويَّ البحرِ صخَّابا
فإذا استقرُّوا لحظةً صخبوا لا يملكون النفسَ إعجابا

* * *

متوثبين يميلُ صفُّهمُ   متطلعَ الأعناق يتقدُ
ومصفقين عَلَتْ أكفُهمُ   فوّارةً فكأنها الزبدُ!

* * *

لِمَ لا أثورُ اليومَ ثورتهم؟   لم لا أجرِّبُ ما يحبونا
لم لا أصيح اليوم صيحتهم؟   لِمَ لا أضجُّ كما يضجونا؟!

* * *

لِمَ لا تذوق كؤوسَهم شفتي؟   إنَّ الحجا سُمِّي وتدميري
في ذمةِ الشيطانِ فلسفتي   ورزانتي ووقارُ تفكيري!

* * *

يا قلبُ! ضقتَ وها هنا سعةٌ   ومجالٌ مصفودٍ بأغلال
أتقول أعمارٌ مضيعة؟!   ماذا صنعت بعمرك الغالي؟!

* * *

انظر ترَ السيقان عاريةً   وترَ الخصورَ ضوامرًا تغري
وتجدْ عيون اللهو جارية   فهنا الحياة! وأنت لا تدري

* * *

مَنْ هاته الحسناءُ يا عيني؟   السحرُ كلَّلها وظلَّلها
كالطيرِ من غصنٍ إلى غصنِ   وثَّابة، وثب الفؤاد لها!

* * *

وتراه حسنًا غيرَ كذابِ   لا ما يزيفه لك الضوءُ
ويزيد فتنتَها بإغرابِ   حزنٌ وراءَ الحسن مخبوءُ!

* * *

ثم اختفتْ والجمعُ يرقبها   ويلحُّ: عودي! ليس يرحمها
هي متعةٌ للحسِّ يطلبها   وأنا بروحي بتُّ أفهمُها!

* * *

ورأيتُها في آخر الليلِ   في فتيةٍ نصبوا لها شركا
يعلو سناها الحزنُ كالظل   مسكينة تتكلَّفُ الضحكا

* * *

فمضيتُ توًّا، قلت: سيدتي!   زِنْتِ المراقص أيَّما زين!
هل تأذنين الآن ساحرتي   تأكيدَ إعجابي بكأسين؟

* * *

فتمنَّعت وأنا ألحُّ سدى   بالقول أغريها وأعتذر
فاستدركتْ قالت: أراك غدًا   إن شئتَ. إني اليوم أَعتذر

* * *

وتحوَّلت عني لرفقتها   ما بين منتظرٍ ومرتقبِ
فتَّانة تغري ببسمتِها   وتحدَّدُ الميعادَ في أدبِ

* * *

حان اللقاءُ بغادتي وأنا   أخشى سرابًا خادعًا منها
متلهفًا أستبطىءُ الزمنا   وأظل أسأل ساعتي عنها

* * *

وأجيل عينَ الريب ملتفتًا   متطلعًا للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى   هي في ذراعَيْ حبه الآنا؟!

* * *

مَـنْ ذا يُـصـدِّقُ وعـدَ فـاتـنـة　　لا تــرحــمُ الأرواحَ إتــلافــا
أنــثــى تــلاقــي كـل آونـة　　رجـلًا وتـرمـي الـوعـدَ آلافـا

* * *

وهممتُ بعد اليأسِ أن أمضي　　فـإذا بـهـا تـخـتـالُ عـن بُـعـدِ
مـيَّـزتـهـا بـشـبـابـهـا الـغـضِّ　　وبـقـدِّهـا، أُفـديـه مـن قـدِّ!

* * *

يـا لـلـقـلـوب لـمـلـتـقـى اثـنـيـن　　لا يـعـلـمـان لأيـمـا سَـبَـبِ
جـمـعـتـهـمـا الـدنـيـا غـريـبـيـن　　فـتـآلـفـا فـي خـلـوةٍ عَـجَـبِ

* * *

عـجـبًـا لـقـلـب كـان مـطـمـعـه　　طَـرَبًـا فـجـاء الأمـرُ بـالـعـكـس!
وأشـدُّ مـا فـي الـكـون أجـمـعـه　　بـيـن الـقـلـوب أواصـرُ الـبـؤس

* * *

مَن أنت يا مَن روحُها اقتربت　　منـي وخاطب دمعُها روحـي؟
صبَّته في كأسي! وما سكبتْ　　فـيـه سـوى أنَّـات مـذبـوحِ

* * *

عـجـبًـا لـنـا! فـي لـحـظـةٍ صـرنـا　　مـتـفـاهـمـيـن بـغـيـرمـا أمـدِ!
يـا مَـن لـقـيـتُـك أمـس! هـل كـنـا　　روحين ممتزجين في الأبد؟!

* * *

هـاتـي حـديـثَ الـسـقـمِ والـوصـبِ　　وصِـفـي حـقـارةَ هـذه الـدنـيـا
إنـي رأيـتُ أسـاكِ عـن كـثـبِ　　ولـمـسـتُ كَـربَـكِ نـابـضًـا حـيًّـا

* * *

لا تكتمي في الصدرِ أسرارا وتحدثي كيف الأسى شاءَ
أنا لا أرى إثمًا ولا عارا لكن أرى امرأةً وبأساء

* * *

تجدين فكرَك جد مبتعد والناس حول سناك دانونا
وتريْن حالك حالَ منفرد والقومُ كثرٌ لا يُعدُّونا!

* * *

وترين أنكِ حيثما كنتِ ترضين خوَّانين أنذالا!
يبغونه جسدًا فإن بعتِ بذلوا النضار وأجزلوا المالا!

* * *

يا حرَّها من عبرةٍ سالتْ مِن فاتكِ العينين مكحولِ
وعذابها من وحشة طالتْ وحنين مجهولٍ لمجهولِ

* * *

أفنيتِ عمرَك في تطلبه ويكادُ يأكلُ روحَكِ المللُ
فإذا بدا مَنْ تعجبين به وتقول روحُك: ها هو الأملُ!

* * *

أدميتِ قلبَك في تقرُّبهِ والقلبُ إن يخلص يَهُنْ دمُهُ
فإذا حسبتِ بأن ظفرتِ بهِ فازت به من ليس تفهمُهُ

* * *

سكتت وقد عجبت لخلوتنا طالتْ كأنَّا جدّ عشاقِ
وأقول: يا طربًا لنشوتِنا صرعى المدامة والجوى الساقي!

* * *

أفـديـكِ بـاكـيـةً وجـازعـةً قد لـفَّـهـا فـي ثـوبـهِ الـغـسـقُ
ودَّعـتُـهـا شـمـسًـا مـودِّعـة ذهبت وعندي الجرحُ والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهلُ كيف أكبرها إذ تـخـتـفـي فـي حـالـك الظـلـم
روحًـا إذا أثـمـت يـطـهـرهـا نـاران: نـارُ الـصـبـرِ والألَـمِ!

الميعاد

إن عُدتَ أو أخلفتَ لم تعدِ — أنا إلف روحك آخر الأبدِ
ظمأٌ على ظمأٍ على ظمأٍ — وموارد كثرٌ ولم أردِ
مرَّ الظلامُ وأنت لي شجنٌ — وأتى النهارُ وأنت في خلدي
لا يسمع البحرُ الغضوبُ إلى — شاكٍ ولا يصغي إلى أحدِ!
كم لاح لي حربُ الحياة على — أمواجهِ المجنونةِ الزبدِ!
ورأيتُ طيفَ الضنك مرتسما — في عاصفِ الأنواءِ مطَّردِ
في الليل مدَّ رواقَه وثوى — كجوانحٍ طُويت على حسدِ
قبر مَباهجُه بلا عددٍ — لفتى متاعبُه بلا عددِ
مَن يومه يوم بلا أملٍ — وغدٌ بلا سلوى وبعد غدِ
لولاك والعهد الذي عقدتْ — بيني وبينك مهجتي ويدي
أضجعتُ جنبي جوفَ غيهبه — وأرحتُ فيه باليَ الجسدِ
يا مخلفَ الميعادِ عُدْ لترى — جزعَ الغريبِ وضيعةَ الرشدِ
وليالِيًا موصولةً سهرًا — أبديةً حجريةَ الكبدِ
وطليحَ أسفارٍ وعلَّته — قتالة لَم تشفَ في بلدِ!
يا شعر أيامي وأغنيتي — وغليل ظمآن الشفاه صدي!
يا ظالمي! عيناك كم وعدت — قلبي إذا شفتاك لَم تعدِ!

الميت الحي

كان الشاعر مريضًا وشعر أنه ينتهي فكتب القصيدة التالية:

داوِ ناري والتياعيْ وتمهَّلْ في وداعيْ
يا حبيب العمر هبْ لي بضع لحظاتٍ سراع
قفْ تأمل مغربَ العمر وإخفاقَ الشعاعِ
وابك جبَّار الليالي هدَّه طول الصراع
وا ضياع الحزن والدمع على العمر المضاعِ!
وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاع
ما يهمٌّ الناس من نجم على وشك الزماعِ
غاب من بعد طلوعٍ وخبا بعد التماع؟!
طال بي سُهدي وإِعيائي وقد حان اضطجاعي
وإذا الراحة حانت بعد لأيٍ ونزاع
فصدور الغيد سيَّان وأنياب السباعِ!

***

آهِ لو تقضي الليالي لشتيت باجتماع
كم تمنيتُ وكم من أملٍ مُرِّ الخداع!
وقفة أقرأ فيها لك أشعار الوداع!
ساعة أغفر فيها لك أجيال امتناع!

يـا مـنـاجـتـي وسـرِّي　　وخـيـالـي وابـتـداعـي
ومـتـاعًـا لـعـيـونـي　　وشـمـيـمـي وسـمـاعـي
تبعث السلوى وتنسى　　الموت مهتوك القناع:
دمـعـة الـحـزن الـتـي　　تسكبها فوق ذراعي!

الوداع

حان حرماني وناداني النذيرْ ما الذي أعدَدْت لي قبل المسيرْ؟
زمنـي ضـاع ومـا أنـصـفـتـنـي زاديَ الأولُ كـالـزاد الأخـيـرْ
ري عمري من أكاذيبِ المنى وطـعـامـي من عـفـافٍ وضـمـيرْ
وعــلــى كـفِـك قــلــبٌ ودمٌ وعـلـى بـابِـك قـيـدٌ وأسـيـرْ!

* * *

حانَ حرماني فدعني يا حبيبي هذه الجنةُ ليستْ من نصيبي
آه مــن دارِ نــعــيــمٍ كــلــمــا جئتها أجتازُ جسرًا من لهيبِ
وأنـا إلـفـك فـي ظـلّ الـصِّـبـا والشباب الغضِّ والعمرِ القشيبِ
أنـزلُ الـربـوةَ ضـيـفًـا عـابـرًا ثم أمضي عنك كالطيرِ الغريبِ

* * *

لِمَ يا هاجرُ أصبحتَ رحيما والـحـنـانُ الـجـمُّ والرقةُ فيمـا؟!
لِم تسقينيَ من شهدِ الرضا وتـلاقـيـنـي عـطـوفًـا وكـريـمـا؟
كلُّ شيء صار مرًّا في فمي بعدما أصبحتُ بالدنيا عليما
آه مــن يــأخــذُ عــمــري كــلَّــه ويعيدُ الطفلَ والجهلَ القديما!

* * *

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟! كم بـنـيـنـا من خـيـالٍ حـولـنـا!

ومـشـيـنـا فـي طـريـق مـقـمـرٍ تـثـبُ الـفـرحـةُ فـيـه قـبـلـنـا!
وتـطـلـعـنـا إلـى أَنْـجُـمِـهِ فـتـهـاوَيْـنَ وأصـبـحـنَ لـنـا!
وضحكنا ضحك طفلينِ معًا وعـدونـا فـسـبـقـنـا ظـلـنـا!

* * *

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق وأفـقـنـا. لـيـتَ أنَّـا لا نـفـيـقْ!
يقظةٌ طاحت بأحلامِ الكَرَى وتـولَّـى الـلـيـلُ، والـلَّـيْـلُ صَـدِيقْ
وإذا الـنُّـورُ نَـذِيـرٌ طَـالـعٌ وإذا الـفـجـرُ مُـطِـلٌّ كـالـحَـرِيـقْ
وإذا الـدُّنـيـا كـمـا نـعـرفُـهـا وإذَا الأَحْـبَـابُ كـلٌّ فـي طَـريـق

* * *

هاتِ أسعدْني وَدَعْني أسْعدُكْ قَدْ دَنا بعدَ التَّنائي موردُكْ
فـأذقـنـيـه فـإنـي ذاهِـبٌ لا غدي يُرجَى ولا يُرجَى غدُكْ
وا بـلائـي مـن لـيـالـيَّ الـتـي قرَّبَتْ حَيْني وراحَتْ تبعِدُكْ!
لا تَـدَعْـنـي لـلَّـيـالـي فـغـدًا تجْرَحُ الفُرْقةُ ما تأسو يَدُكْ!

* * *

أزف البينُ وقد حان الذهابْ هذه اللَّحظةُ قُدَّت مِن عَذَابْ
أزف البينُ، وهل كان النَّوى يا حبيبي غير أن أغْلق بابْ؟!
مَضتِ الشّمْسُ فأمسيتُ وقد أغلقت دونيَ أبواب السَّحابْ
وتـلـفَّـتُّ عـلـى آثـارِهَـا أسْألُ اللَّيْلَ! ومَنْ لي بالجوابْ؟!

الزائر

يا للحبيبِ المفدَّى غـداةَ زار وسـلَّـمْ
مستَحييًا والهوى في ركـابـه يـتـضـرَّمْ
وصـامـتًـا وهـو أيـكٌ بـألـفِ شـدوٍ تـرنَّـمْ
نـاداه قـلـبـي! ونـاجـاه خـاطـري! وهـو يعلَمْ!
يا مطلعَ السحر والنور والـجـمـال! تـكَـلَّـمْ!
أبِـنْ! وإلا أعـنْ قـلـبـي الـمـمـزَّقَ وارحَـمْ!

***

يا غازيًا يضرب القلب وهـو حـصـنٌ مُـحَـطَّـمْ
لـمَّـا طـلـعـت عـلـيـه وهَـى وأَنَّ وسـلَّـمْ
يـا فـتـنـة تـتـهـادى ورحـمـة تـتـبـسَّـمْ
إن لم يكن لي رجاءٌ ولا لـحـظـيَ مـغـنـمْ
أوْ لَمْ يعُدْ لي نصيبٌ دعني بحسنك أحلمْ!

الليالي

مـكـانـيَ الـهـادئ الـبـعـيـد   كن لـي مـجـيـرًا مـن الأنـامْ
قـد أمَّـكَ الـهـاربُ الـطـريـدْ   فــآوهِ أنــتَ والــظــلامْ

* * *

يا حسنها ساعة انفصال   لا ضـنـك فـيـهـا ولا نـكـد
يا حـقـبـةَ الـوهـم والـخـيـالْ   هــلَّا تـمـهـلـتِ لـلأبـدْ؟!

* * *

يـا أيـهـا الـعـالـم الأخـيـر   ماذا ترى فيك من نصيب؟
أراحــةٌ فـيـك لـلـضـمـيـر   أم موعدٌ فيك من حبيبْ؟

* * *

كم يَعذُب الموت لو نراه   أو كان فيك اللقاء يرجى
يـنـفـضُ عـن عـيـنـه كـراهُ   ويـقـبـل الـراقـدُ الـمـسـجَّـى!

* * *

لـكـن شـكًّـا بـمـا تـجـن   خـيَّـم فـوق العقـول جمعا
عـجـبـتُ لـلـمـرءِ كـم يـئـنُّ   ويـسـتـطـيـبُ الـحـيـاةَ مَـرعَـى

* * *

قد صار حبُّ الحياة منا يقنع بالجيفة السباعْ
وعلم السمحَ أن يضنَّا وثبَّت الجبنَ في الطباعْ!

* * *

طال بنا الصمتُ والجمودْ لا البدر يوحي ولا الغديرْ
يا عالم الضيم والقيود برَّحت بالطائر الأسيرْ!

* * *

هربتُ من عالمٍ أضرَّا وجئتُ يا كعبتي أزور
هاتي خيالًا إذن وشعرًا أسكبه في فم الدهورْ

* * *

هربتُ من عالم الشقاءْ وجئت علِّي لديكِ أحيا!
أشرب من روعة السماءْ شعرًا وأسقي الفؤاد وحيا!

* * *

مللت في هاته العوالمْ مهزلةَ الموت والحياهْ
وصورة القيد في المعاصم ووصمة الذلِّ في الجباه

* * *

هياكلٌ تعبرُ السنين واحدة العيش والنظامْ
واحدة السخط والأنين واحدة الحقد والخصامْ!

* * *

وواحد ذلك الطلاء يسترُ خزيًا من الطباعْ
أفنى البلى أوجه الرياء ولم يَذُبْ ذلك القناع!

* * *

بـعـيـنـهـا كـذبـةُ الـدمـوعْ　　بـعـيـنـهـا ضـحـكـةُ الـخـداعْ
ومُـنـحـنـى هـاتـه الـضـلـوع　　عـلـى صـوادٍ بـهـا جـيـاع!

* * *

كـأن صـدر الـظـلام ضـاقْ　　من كَثرةِ البثِّ كل حينْ!
يـا ويـحـه كـيـف قـد أطـاقْ　　شكوى البرايا على السنينْ؟!

* * *

كـأنـمـا يـنـفـث الـشـهـب　　تـخـفـيـف كـربٍ يـئـنُّ مـنـهُ
كـالـقـلـب إن ضـاق واكـتـأبْ　　تـخـفـف الـذكـريـات عـنـهُ

* * *

كم زفرة في الضلوع قرَّتْ　　يـحـوطـهـا هـيـكـلٌ مـريـضْ
مـبـيـدة حـيـثـمـا اسـتـقـرت　　فـإن نَـبُـحْ سـمِّـيـت قـريـضْ!

* * *

كم في الدجى آهةٌ تطول　　تـسـري إلـى أذنـه وشـعـرْ!
لـو يـفـهـم الـنـجـمُ ما نقول!　　أو يـفـهـم الـلـيـلُ مـا نُـسـرْ!

* * *

مـا بـالـهـا أعـيـن الـفـلـك　　مـنـتـثـرات عـلـى الـفـضـاءْ
تـطـل مـن قـاتـمِ الـحـلـك　　بـغـيـرك فـهـمٍ ولا ذكـاءْ!

* * *

ألا وفــيٌّ ألا مــعــيــن　　في مدلهم بلا صباح؟!
وكـلّـمـا جَـدَّ لـي أنـيـنْ　　تـسـخـر بـي أنَّـةُ الـريـاحْ!

* * *

هبنا شكونا بلا انقطاع   ما حظ شاكٍ بلا سميع
وحظ شعرٍ إذا أطاعْ   يا ليته عاش لا يطيع

* * *

يضيع في لجة الزمن   مبددًا في الورى صداه
ولن ترى في الوجودِ مَنْ   يدري عذاب الذي تلاهْ!

* * *

يا أيها النهر بي حسدْ   لكل جارٍ عليك رفْ
أكلُّ راجٍ كما يود   يروي ظماه ويرتشفْ

* * *

ومن حبيب إلى حبيب   ترنو حنانًا وتبتسمْ
وكل غادٍ له نصيب   من مائك البارد الشبمْ

* * *

يا نهرُ روَّيتَ كل ظامي   فراح ريَّان إن يذُقْ
فكن رحيمًا على أوامي   فلي فمٌ بات يحترق

* * *

يا نهر لي جذوة بجنبي   هادئة الجمرِ بالنهارْ
فإن دنا الليل برَّحت بي   وساكن الليل كم أثار!

* * *

وقفت حرَّان في إزائكْ   فهل ترى منك مسعدُ؟
وددت ألقي بها لمائكْ   لعلها فيك تبردُ

* * *

عـالـج لـظـاهـا فـإن سـكـنْ   فـرحـمـةٌ مـنـك لا تـحـدْ
وإن عـصـت نـارهـا فـكـن   قـبـرًا لـهـا آخـر الأبـد!

* * *

تـريـنـيَ الـهـاجـر الـشـتـيت   وقـربـه لـيـس لـي بـبـالْ
وكـلـمـا خِـلْـتـنـي نـسـيـت   مـرَّ أمـامـي لـه خـيـال

* * *

تـمـر ذكـرى وراء ذكـرى   وكـل ذكـرى لـهـا دمـوعْ
وتـعـبر الـمـشـجـيات تـتـرى   من كل مـاضٍ بـلا رجـوع

* * *

مـاضٍ وكم فـيه من عثارْ   ومـن عـذابٍ قـد انـقـضـى
كم قـلـت لا يـرفـع الـسـتـار   ولا ادكـارٌ لـمـا مـضـى!

* * *

يا من أرى الآن نصب عيني   خـيـاَلـه عـطَّـر الـنـسـمْ
بـالـلـه مـا تـبـتـغـيـه مـنـي   ولـم تـدع لـي سـوى الألـم

* * *

فـي ذمـة الـلـه مـا أضـعـتـمْ   مـن مـهـجٍ أصـبـحـت هـبـاءْ
لـم نـجـزكـم بـالـذي صـنـعـتـم   إنَّـا غـفـرنـا لـمـن أسـاءْ

* * *

لا تـحـسـبـوا الـبـرء قـد أَلَـمّْ   فـلـم يـزل جـرحـنـا جـديـدا
يـخـدعـنـا أنَّـه الـتـأمْ   ولـم يـزل يـخـبـأ الـصـديـدا!

* * *

يا أيها الليل جئتُ أبكي وجئت أسلو وجئت أنسى
طال عذابي! وطال شكي ومات قلبي، وما تأسَّى!

الجمال الضنين

قلْ للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ: يا مانع الماء عني كيف تمنعهُ؟!
أغرَّ حسنك أن الخلدَ جدولُه وأنَّه من غريبِ السحرِ منبعُهُ؟
يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ مبددٌ مجده فيه مضيَّعُه!
هيهاتَ يخلد حسنٌ لا يؤلهه شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُه!
أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا أدميتَه، والمغنِّي إذ تقطعُه
هل منك يوم رضًى ضنَّ الزمانُ به أعيا خيالي وأضناني توقعُه؟!
كم بتُّ منتبهًا أصغي لخطوته أراه في الوهم أحيانًا وأسمعُهُ!
وأنت في أُفق الأوهام طيف صبا سما ودقَّ على الأفهام موضعهُ
كأنك النسمُ النشوانُ منطلقا أظل كالنفس الحيرانِ أتبعه
تعالَ وادنُ بيوم لا نحسُّ به أجسادنا في صفاء، لا نضيعهُ!
لكن أحسك تجري في صميم دمي أنت الحياةُ، وأنت الكونُ أجمعُهُ!

ليالي الأرق

زيارة من حبيب يسأل: لماذا نتلقى هذه اللحظات الهاربة ما دمنا نفترق بعد ذلك؟

هل في العصيب المدلهمْ مصغٍ لشاكٍ لم ينمْ
سهدٌ على سهدٍ وذكـ ـرى فوق ذكرى تزدحمْ
وحنين قلب لا يثو ب إلى خيالٍ لا يلمْ
يا من أحب وأفتدي ويلذُّ لي فيه الألمْ
لو كنتَ تسمع لاسترحـ ـت من الشكايةِ للظلمْ
إن الكواكبَ ضقنَ بي ذرعًا وآسيها سئِمْ
ومن العجائبِ في الليا لي والحوادث تستجمْ
شكوى الحيارى في الحيا ة إلى حيارى في السدمْ!

* * *

لمنْ انتظاري في الظلا م كأنَّ بي شبه اللممْ؟
وتساؤلي في حالكٍ لا صوت فيه ولا قدمْ؟
وعلام إصغائي لعلَّ خطاكِ هذي عن أَممْ؟
ليلِي العشية مثل ليـ ـلِي في غرامكِ من قدَمْ
يا طالما أدنتكِ أو هامٌ كواذبُ كالحُلُمْ
فلمحت صبحكِ في السوا دِ وخلتُ روحكِ في النسمْ

وشفيتُ وهمي من رضا   كِ ورُبَّ ذي يأسٍ وَهَمْ
ورويتُ أذْني من حديـ   ـثكِ وهْو معبود النغمْ
وحرقت قلبي من سنا   كِ على جمالٍ يضطرمْ
كفراشةٍ حامت عليـ   ـكِ وأيُّ قلبٍ لَم يحُمْ!

* * *

لك حسنُ نوَّار الخميـ   ـلة طُلَّ صبحًا فابتسمْ
لك نضرةُ الفجر الجميـ   ـل على الذوائبِ والقممْ
لك طلعةُ البرءِ المرجَّـ   ـى بعد مستعصى السقمْ
لك كل ما أوفى على   قدر النهاية واستتمْ
فبأي قلبٍ أتقي؟   وبأي حصنٍ أعتصمْ؟

* * *

يا زائرًا عجلانَ لَمْ   يطلِ اللقاءُ ولَمْ يقمْ
ودَّعتَ ما أشبعتَ لي   روحي ولا نظري النهِمْ
ومضيتَ عن دنيا خلَتْ   وجرت بنعمى لَم تَتِمْ
لم يبقَ من أثرِ اللقا   ء بها سوى عبقٍ ينمْ
وسؤالِ دمعك حين يسـ   ـألني ومَن لي بالكلمْ
لِمَ يا أليفَ خواطري   غفت العيون ونحن لَمْ؟!
وإلامَ تدفعنا الحوا   دث في عُبابٍ يلتطمْ
دَفَعتْ بمركبنا المقا   ديرُ الخفيةُ والقِسمْ
خَرَجَتْ وما تدري الغَدا   ة بأي صخرٍ ترتَطِمْ
بدَأَتْ عَلَى ريح الرضا   والله يدري المختتمْ!

صخرة الملتقى

صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا.

سألتكِ يا صخرةَ الملتقى متى يجمع الدهرُ ما فرَّقا!
فيا صخرةً جمعت مهجتين أفاءا إلي حسنها المنتقى!
إذا الدهر لجَّ بأقداره أجدَّا على ظهرها الموثقا
قرأنا عليكِ كتاب الحياةِ وفضَّ الهوي سرها المغلقا
نرى الشمس ذائبة في العباب وننتظر البدر في المرتقى
إذا نشر الغربُ أثوابَه وأطلق في النفس ما أطلقا
نقول هل الشمس قد خضبته وخلَّت به دمها المهرقا؟
أم الغرب كالقلب دامي الجراح له طلبة عز أن تلحقا
فيا صورة في نواحي السحاب رأينا بها همَّنا المغرِقا
لنا الله من صورَةٍ في الضمير يراها الفتي كلما أطرقا!
يرى صورة الجُرح طيَّ الفؤا د مازال ملتهبًا محرقا
ويأبى الوفاء عليه إندمالا ويأبى التذكر أن يشفقا
ويا صخرة العهد أبت أليكِ وقد مُزِّق الشَّمل ما مزقا
أريك مشيبَ الفؤادِ الشهيـ ـدِ والشيبُ ما كلَّل المفرِقا
شكا أسره في حبال الهوى وود على الله أن يُعتقا
فلما قضى الحظ فك الأسيـ ـر حنَّ إلى أسره مطلقا

الشك

قد يظفر المرء بقرب حبيبه، ولكنه يشك في هذا النعيم الذي لقيه، فيبكي في النعمة كما يبكي في الشقاء.

بي ما تحسُّ وفي فؤادكِ ما بي فتَعال نبكِ أيا نجيَّ شبابي
تجري الدموع وأنت دَانٍ واصلٌ كمسيلهن وأنْتَ في الغيَّابِ
أنكرت بي ناري عشيةً لَامَسَتْ شفاتي مِنْكَ أناملَ العنابِ
وجرت يميني في غَزيرٍ حالكٍ مسترسل كالجدول المنسابِ
وسألتَ ما صمتي وما إطراقتي وعَلَام ظلَّت حيرة المرتابِ
أقْبِل أذقني ما اليقين وهاته خلوًا من الآلام والأوصابِ
أقبِلْ لأقسمَ في حياتي مرةً إن الذي أُسقاه ليس بصابِ
لهفي على هذا اليقين! وطعمه بفمي وتكذيبي شهيَّ شرابي!

* * *

مَنْ أنتَ؟! من أيِّ العوالم ساحرٌ مستأثرٌ بأعنة الألبابِ؟
حدَّثتُ نفسي إذ رأيْتُكَ باديًا وأطَلْتَ تسآلي بغير جوابِ
ما يصنع الملكُ الطهورُ بعالَمٍ فانٍ وأيَّامٍ كلمع سرابِ؟
ما يصنع الأبرارُ بالأرض التي ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
دوَّارةً أبدَ السنين كعهدِها من ليل آثامٍ لصبح متابِ
تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصةً كترابِ!

يا هيكل الحسنِ المبارَك ركنه   الساحر النور الطهور رحابِ
لا صدقَ إلَّا في لهيبك وحده   وجلالُه الباقي على الأحقابِ
قدمتُ قرباني إليك بقية   من مهجةٍ ضاعت على الأحبابِ
وَأَذبْتُ جوهَرَهَا فدَاءَ نَوَاظِر   قُدسِيَّةٍ، عُلويَّةِ المحرابِ!

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفتُ مساءَ كم أطلتَ الوقوفَ والإصغاءَ

وجعلت النسيم زادًا لروحي وشربت الظلالَ والأضواءَ

لكأنَّ الأضواءَ مختلفات جَعَلَتْ منكَ رَوْضَةً غَنَّاءَ

مَرَّ بي عطرها فأسكَرَ نفسي وسَرَى في جوانحي كيف شاء

نشوة لم تطل! صحا القلب منها مثل ما كان أو أشدَّ عناءَ

إنما يفهم الشبيهُ شبيهًا أيها البحر، نحن لسنا سواءَ

أنت باقٍ ونحن حرب الليالي مَزَّقتْنا وصيرتْنَا هباء

أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذا هبِ يعلو حينًا ويمضي جُفاءَ!

وعجيبٌ إليك يممتُ وَجهي إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ

أبتغي عندك التأسِّي وما تمـ ـلك رَدًّا ولا تجيب نداءَ!

* * *

كل يومٍ تساؤلٌ ... ليت شعري من ينبِّي فيحسن الإنباءَ؟!

ما تقول الأمواجُ! ما آلَم الشمـ ـسَ فولَّت حزينةً صفراءَ

تركتنا وخلفتْ ليلَ شكٍّ أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ!

وكأنَّ القضاءَ يسخر مني حين أبكي وما عرفتُ البكاءَ

ويح دَمعي وويح ذلة نفسي لَم تدع لي أحداثهُ كبرياءَ!

مناجاة الهاجر

دع النفسَ تمرحْ في خيالٍ وأوهام ... وخلِّ لأجفاني كواذبَ أحلامي!
وقل يا حبيب القلب إنك عائد ... على جهلِ حساد وغفلة لوَّامِ
وإنك دانٍ كالربيع وزائرٌ ... بضاحك نوار ومخضلِّ أكمامِ
تعال اسقني خمرَ المواعيد والرضا ... وخلِّ الأماني البيض تغمر أسقامي
أيحرم حتى وهم حبك من رمى ... بمهجته في ناره دون إحجامِ
وأنفق فيه قلبه وشبابه ... فلم يَبْقَ إلَّا الجرح والشفق الدامي؟!
ومن عجب أحنو على السهم غائرًا ... ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!
فيا لهفه لو كنت أدري بموعدٍ ... وراء الليالي أو رجاءً بإلمام!
ولو كان عندي غير زفرة آسف ... وحسرة أشعارٍ ودمعة أقلامِ
ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ ... كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي
كأن ائتلاق النجم والنجم مُشرقٌ ... ثناياه تبدو في عبوسة أيامي
كأنَّ نسيمَ الليلِ يحمل طيبه ... كأنَّ اصطدام الموج معبودُ أقدامِ!
فيا أملي النائي إذا كنتُ مذنبًا ... فقد تبتُ عن ذنبي إليك بآلامي!
حببتك، لا أدري الهوى ما وراءه ... وما بعد سقمي فيك عامًا على عامِ
جمالُك نبراسي وروحُك كعبتي ... وعيناك وحيي في الحياة وإلهامي

الصورة

يا رسمَ من أعطى الهوى مفتاحَ قلبي المقفلِ
في حبه فنيَ الصبا وشباب أيامي بلي
يا ويح ما ضيعت فيـ ـه من قليل مخجلِ
ماضيَّ ضاع ولو قدر ت لجدت بالمستقبلِ
يا رسم! كم من ليلةٍ أبكي وأستبكيك لي!
حتى رجعتُ مخادَعًا ومضيتُ جدَّ مضلَّلِ
أرنُو لدمعي باديًا في وجهك المتهللِ
فإخال عينك هَزَّها شَكوى الغريب المهمَلِ
فبَكَتْ وتلك دموعها! هَذِي تَسيل وذِي تَلي!

رجوع الغريب

عـادتْ لـطـائـرهـا الـذي غَـنَّـاهَـا وشَـدَا فـهـاج حَـنـيـنَـهـا وشَـجـاهَـا
أيُّ الـحـظـوظ أعـادهـا لـوَفـيِّـهـا ونـجـيِّ وحـدتـهـا وإلـفِ صـبـاهَـا
مـشـبـوبـة الـتـحـنـان تـكـتـم نـارَهـا عـبـثًـا وتـأبَـى أن يـبـيـن لـظـاهَـا
يـا إلـفـيَ الـمـعـبـود! سِـرُّك ذائـع نـار الـحـنـيـن دفـيـنـهـا أفـشـاهَـا

***

مـاذا لـقـيـنـا مـن لـقـاءٍ خـاطـفٍ وعشية كالبرق حان ضحاهَا؟!
يا ويح هـاتيك الثواني لَم تقف حـتـى نـسـيـغ هـنـاءةً ذقـنـاهَـا!
حـتـى يـمـتـع بـالـيـقـيـن مـكـذب عـيـنـيـه فـي رؤيـا يـضـلُّ سـنـاهَـا
تمضي لها الأبصارُ مُشعلة الهوى وتـحـول عـنـهـا مـا تُـطـيـق لـقـاهَـا!

***

تخبو العواطفُ في الصدور وتنتَهي ويَـجـف فـي زهـرِ الـقـلـوبِ نـداهَـا!
وأنـا أحـسُّ الـيـومَ بـدءَ عـلاقـةٍ وعـنـيـف ثـورتـهـا وحـزَّ مُـدَاهَـا!

***

لم تُرو منكِ نواظري وخواطري ورجـعـت أذكـى مـهـجـةً وشـفـاهَـا!
مدَّ الـخـريـفُ على الرياض رواقَهُ ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاها
ما بـالـريـاض؟! كـآبـةٌ فـي أرضِـهـا وسـحـابـةٌ تـغـشـى أديـمَ سـمـاهَـا!

جمدت حمائمُ أيكِها وأنا الذي شاكيتُها فاغرورقت عيناهَا!

* * *

كيف السبيلُ إلى شفاء صبابة الدهر أجمع ما يبلُّ صداهَا؟!!
وإلى نسائم جنة سحرية قرَّحتُ أجفاني على مغناهَا!
قضَّيتُ أيامي أضمُّ خيالَها وأضعت أيامي أقول عساهَا!

قميص النوم

كان الشاعر مريضًا فارتدى قميص النوم فشفي.

يا ليلةً سنحت في العمر وانصرمَتْ هَلَّا رجعتِ؟ وهلَّا عادَ أحبابي؟
(يا ليت شهدَك إذ لم يَبْق لي أبدًا لم يُبقِ في القلب تذكارًا من الصابِ)
لَم أَنسَ مُهديَتي جلبابَها وعلى جسمي من السقْمِ منها أيُّ جلبابِ
قميصُ يوسف ردَّ العين مبصرةً ففاز بالنور ذاك المطرقُ الكابي
وأنتَ لو أنَّ روحًا أزمعت سفرًا أعدتَها وخَيالُ الموت بالبابِ
فَذُدْ خيالَ المنايا اليومَ عن رجُلٍ أنشبنَ في روحِه أشباهَ أنيابِ
وإن عجزتَ فكنْ في الموت لي كفنًا أمتْ وألقى إلهي غيرَ هيَّابِ

الغد

يا حنانًا كيد الآسي الرؤومِ وشعاعًا يُشتهى بعد الغُيوم
أنا في بُعْدِكَ مفقودُ الهُدَى ضائعٌ أعْشُو إلى نورٍ كريمِ
أشتري الأحلامَ في سُوق المُنى وأبيعُ العمْر في سُوق الهُموم
لا تقُلْ لي في غدٍ موعدُنا فالغدُ الموعُودُ ناءٍ كالنجومِ!

* * *

أغدًا قلتَ؟ فعلِّمْني اصطبارَا ليتني أختصرُ العُمْرَ اختِصارا
عَبَرَتْ بي نَشوةٌ مِن فَرَحٍ فَرَقَصْنَا أنا والقلبُ سُكَارَى
وعَرَانا طَائِفٌ مِنْ خَبَلٍ فاندَفَعْنا في الأماني نتبارَى
سنَذمُّ النورَ حتى يَتَلاشى ونذمُّ الليلَ حتى يتوارَى!

* * *

انفردنا أنا والقلب عشيًّا ننسج الآمالَ والنَّجْوى سويًّا
فركبنا الوهمَ نبغي دارَها وطوينا الدهرَ والعالَم طَيًّا
فبلغناها وهلَّلْنَا لها ونزَلنَا الخُلْدَ فينَانًا نَدِيًّا
ولقينا الحسنَ غَضًّا والصِّبَا وتملَّيْنَا الجلالَ الأبدِيًّا

* * *

قال لي القلبُ: أحقًّا ما بلغنا؟ كيف نام القَدَرُ السَّاهر عنَّا

أتراها خدعةً حاقت بنا؟! أتراها ظِنةً مما ظَنَنَّا؟
قلتُ: لا تجزع فكم من منزلٍ عز حتى صار فوق المتَمنى
أَذِنَ اللهُ به بعد النوى فثوينا واسترحنا وأَمِنّا!

* * *

يا جِنانَ الخُلْدِ قَدَّمْتُ اعتذاري إذ يَطوف الخلدَ سقمي ودَماري
أيها الآمرُ في مُلكِ الهوى! اعفُ عن لهفةِ روحي وأواري
أشتهي ضَمَّكَ حتى أشتفي فكأني ظامئٌ آخذ ثاري!
غير أني كلَّما امتدت يدي لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيكَ ناري!

* * *

أيها النورُ سَلامًا وخشوعا أيها المعْبَدُ صَمْتًا ورُكُوعَا
ملكت قلبي ولُبِّي رهبةٌ عصفت بالقلب واللُّبِّ جميعَا
رُبَّ قول كنتُ قد أعددتُه لكَ إذ ألقاك يأبى أن يطيعَا
وحبيسٍ من عتابٍ في فمي قد عصاني فتفجَّرتُ دموعَا!

* * *

لذعتني دمعة تلفح خدي نبهتني من ضلالٍ ليس يُجْدِي
واختفتْ تلك الرُّؤَى عن ناظري وطواها الغيبُ في سِحْرِيِّ بُرْدِ
وتَلَفَّتُّ فلا أنت ولا جنةُ الخلد ولا أطيافُ سَعْدِ
وإذا بي غارقٌ في محنَتي وبلائي، أقطعُ الأيامَ وَحْدِي

* * *

هاتِ قيثاري ودَعْني للخيالِ واسقني الوهْمَ! وعَلِّلْ بالمحالِ!
ودَع الصدق لمن ينشده الحجى خصميَ فاغمرْ بالضلالِ
وخُذ الأنوار عنِّي، ربما أجدَ الرحمةَ في جوفِ الليالي
خلِّني بالشوقِ أستدني غدًا فغدًا عندي كآبادٍ طوالِ!

رثاء شوقي

ألقيت على قبر فقيد الشعر.

قلْ للذين بكَوْا على (شوقي)   النـادبـيـن مـصـارعَ الـشُّـهـبِ
وا لـهـفَـتـاه لـمـصـر والـشَّـرْقِ   ولــدولــة الأشــعــار والأدبِ!

* * *

دنـيـا تَـقـرُّ الـيـومَ فـي لـحـدِ   وصحيفةٌ طُويتْ من المجدِ
ومُـسـافـرٌ مـاضٍ إلـى الـخـلـد   ســبَــقــتــهُ آلاءٌ بــلا عَــدِّ

* * *

هذا ثَرى مصْرَ الكريمُ، وكمْ   أكـرمـتَـهُ وأشَـدْتَ بـالـذكـرِ
يلقاك في عطفِ الحبيبِ فنمْ   في النور لا في ظُلمةِ القبْر!

* * *

كم من دفينٍ رحتَ تحييهِ   وبَـعـثْـتَـهُ وكَـفـفْـتَ غُـرْبَـتَـهُ
فـاحـللْ عـلـيـهِ مُـكـرِّمًـا فـيـهِ   يـا طـالـمـا قَـدَّسـت تُـربـتَـهُ

* * *

يـا نـازلَ الـصـحـراء مـوحـشـةً   ريَّـانـةً بـالـصـمـت والـعـدمِ
سـالـتْ بـهـا الـعـبـراتُ مـجـهـشـةً   وجَـرت بـهـا الأحـزانُ من قدمِ!

***

هـذا طـريـق قـد ألـفـنـاهُ نـمـشـي وراءَ مُـشَـيَّـعٍ غـالِ
كم من حبيبٍ قد بكَيْنَاهُ لم يُمْحَ من خَلدٍ ولا بالِ!

***

وكأنَّ يومَك في فجيعتِهِ هو أولُ الأيامِ في الشَّجنِ
وكأنَّما الباكي بدمعتِهِ ما ذاق قبلك لوعةَ الحَزنِ!

***

فاذهبْ كما ذهب النهارُ مضى قد شيَّعَتْه مدامعُ الشفقِ
واغرب كما غرب الشعاع قضى رفَّت عليه جوانح الغسق

***

ما كنتَ إلَّا أمةً ذهَبتْ والعبقريَّةُ أمَّةُ الأُمَم
أو شُعلةً أبصارَنا خلبتْ ومنارةً نُصبَتْ على عَلَمِ

***

يا راقدًا قد بات في مَثوَى بَعُدَتْ به الدُّنْيا وما بَعُدَا
أيْن النجوم أصوغ ما أهْوى شعرًا كشعْرك خالدًا أبدَا؟!

***

لكنَّ حزني لو علمْت به لم يُبْقِ لي صبْرًا ولا جُهْدَا
فاعذر إلى يومٍ نفيك به حقَّ النبوغِ ونذكرُ المجْدَا

هبة السماء

ألقيت في حفل تأبين المرحوم أحمد شوقي بك بمسرح حديقة الأزبكية.

راحـوا بـأرواحٍ ظـمـاءْ　　يتـهافـتـون عـلى الـفـنـاءْ
جـفَّت حـلـوقٌ بـعـدهـم　　لـم تـلـق دونـهـمُ رواءْ
واهًـا لـكـأسٍ كـالـخُـلـو　　د ومنـهلٍ فـيـه الـشـفـاءْ!
كـنَّـا إذا ضـجَّ الـفـؤا　　دُ وضـاق بـالـدنـيـا ونـاءْ
نـمضـي إلـيـه فـنـسـتـقـي　　ونَـعُـبُّ مـنـه كـمـا نـشـاءْ
فـالـيـومَ إذْ شـطَّ الـمـزا　　رُ بـكـم وقـد عـزَّ الـلـقـاءْ
وبـخـلْـتُـمُ بُـخْـلَ الـضَّـنـيـ　　ـنِ فحسْبُنا قَطَراتُ ماءْ

***

أيـن الأمـيـن عـلـى الإمـا　　رة والحريصُ على اللواءْ؟
قـبـسٌ أضـاء الـعـالـمـيـ　　ـن كما تُضيءُ لهم ذكاءْ
ثـم اخـتـفـى خـلـف الـغـيـو　　ب مـخـلِّـفًـا ظُـلَـمَ الـمـسـاءْ
فـكـأنـمـا هـبـة الـسَّـمـا　　ءِ قد استردَّتها السَّماءْ!

***

جـزع الـريـاض لـطـائـرٍ　　غـنَّـى فـأبـدَع فـي الـغـنـاءْ
حـتـى إذا خـلـب الـعـقـو　　لَ وقـيـل: سِـحـرٌ لا مـراءْ!

ولَّـى عـن الأيـك الـفـخـو ... ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فـكـأنَّـه والـسُّـحْـب تـطــ ... ـويه فيمعن في الخفاءْ
دنـيـا مـن الأمـل الـجـمـيــ ... ـل قد استبدَّ بها العَفاءْ!
ووراءهـا شـفـقٌ مـن الــ ... ـذكرى كجرحٍ ذي دماءْ!
وتـسـائـل الـدُّنْـيـا الـتـي ... نـاطـت بـه كـلَّ الـرَّجـاء
عـن أي سـرٍ طـار عـنْ ... هذي الرُّبى؟ وعلام جاءْ؟!
قُم يا فقيدَ الشعرِ وانْـ ... ـظُرْ أيُّ حـفـلٍ لـلـرثـاءْ!
أمَـمٌ يُـصـبِّـرُ بـعـضُـهـا ... بعضًا، وهيهات العزاءْ!
هـذي الـجـمـوعُ الـبـاكـيـا ... تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قـاسـمـتـهـا أشـجـانـهـا ... ووفـيـت مـا شـاءَ الـوفـاءْ
أوَ لَمْ تجدكَ لسانَها الـ ... ـشاكي إذا احتدام البلاءْ؟
أَوَ لَـمْ تـكـن غِـرّيـدَهـا ... ونديمها عند الصفاءْ؟
لِـمَ لا تـوفِّـيـك الـجـمـيــ ... ـلَ وتَسْتَقلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُـنَـعَّـمٍ بـيـن الـقـصـو ... رِ قد اسْتَتَمَّ لـه الثـراءْ
مـا بـالـهُ حـمـلَ الـهـمـو ... مَ وجشَّم القلبَ العناءْ!
ويـنـوءُ بـالـعـبءِ الـذي ... هو عن أذاه في غَناءْ!
ويحَ الـذكـاءِ ومـا يـكـلِّــ ... ـفُهُ من الثَّمَنِ الذكاءْ!
أضـنـى قـواه ولـم يـدعْ ... مـن جـسـمـهَ إلَّا ذمـاءْ
والمجد يوغل في حنا ... يا، روحه والمجدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدبِ الصميـ ... ـمِ له على الدنيا البقاءْ
الـدَّهـرُ يـحـمـي ركـنَـه ... والـفـنُّ فـي روح الـبـنـاءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرُّ ... دِ والـتـفـوقِ والـعـلاءْ

ذاك الـرقـادُ بـسـاحـةٍ كل الـرجـال بـهـا سـواءْ
وبـرغـم ذهـن كـالـفـرا شـة حـول مصباحٍ أضـاءْ
مثواك لا تشكو السكو نَ ولا تـمـل مـن الـثـواءْ

هجاء أعمى بغيض، زوج حسناء

يا جمال الصِّبا وأنس النفوسِ   خبِّرينا عن زوجكِ المنحوسِ!
حَدِّثي أنت عن عماه «الحيسي»   وصفي لي الغرام (بالتحسيسِ)!

* * *

حدثينا عن اللهيب المفدَّى   وجمالٍ يُصَيِّرُ الحُرَّ عَبْدا
وجنونِ الأعمى إِذا ما استجدى   وهو يعشو لنارهِ كالمجوسِ!

* * *

يا جمالًا في التربِ يُلقَى ويُرمَى   يا لَظلمِ الحظوظِ والحظُّ أعمى!
وبلائي أني أسميه ظَلمًا   وهو لفظٌ ما جاءَ في القاموس!

* * *

آه من قسوةِ الطبيعة شقتْ   ظلمةً في مكان نورٍ ورقتْ
دونَ قصدٍ لعينه فاستبقت   كوّةً في فضائها المطموسِ!

* * *

كوّةً تنفذ الحفيظةُ عنها   ويُطلُّ الدهاءُ والخبثُ منها!
طالعتنا في طلعةٍ لم تزنها   «كالفتيل» الحقيرِ في (الفانوس)

* * *

كـذلـيـل الأبـقـار إذ ربـطـوه　　وتـراهـم بـخـرقـةٍ عَـصَّـبـوه

فـإذا مـا عـصـاهـمـو ضـربـوه　　وتمشَّى على غناءِ «الألوس»!

* * *

وتـراه تـقـولُ يـقـطـر بـغـضـا　　حـيـوانٌ يـريـد أن يَـنـقَـضَّـا

حسبك الله! عشت تنظر أرضا　　فابق فيها! حُرِمْتَ نورَ الشموس!

الانتظار

وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد.

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا وبالحرمانِ والذُّلِّ ارتضينا
«وهان إذا عطفتَ ولو خيالًا وأين خيالك المعبود أينا؟!»

* * *

تعالَ! فلم يعد في الحي سارٍ وهوَّمت المنازلُ بعد وهنِ
وران على نوافذها ظلامٌ وقد كانت تطلُّ كألف عينِ

* * *

تعالَ! فقد رأيتُ الكون يحنو عليّ ويدرك الكرب الملمَّا
ويجلو لي النجومَ فأزدريها وأغمض لا أريد سواك نجما!

* * *

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي كما انتظرتكَ أيامي جميعا
وهل كان الهوى إلَّا انتظارًا شتائي فيك ينتظر الربيعا!

* * *

أرى الآباد تغمرني كبحرٍ سحيقِ الغور مجهولِ القرار

ويأتمر الظلام عليَّ حتى كأني هابط أعماق غارِ

* * *

وتصطخبُ العواطف ساخرات وتطعنُني بأطرافِ الحرابِ
وتشفقُ بعدما تقسو فتمضي لتقرع كل نافذةٍ وبابِ

* * *

فصحت بها إلى أن جف حلقي فحين سكتُّ كلمني إبائي
وأشعرني العذابُ بعمق جرحي وأعمق منه جرح الكبرياءِ

* * *

ولمّا لَمْ تفزْ بلقاك عيني لمحتك آتيًا بضمير قلبي
فأسمعُ وقعَ أقدامٍ دوانٍ وأنصتُ مصغيًا لحفيفِ ثوبِ

* * *

وأخلقُ مثلما أهوى خيالًا! وأستدني الأماني والحبيبا
وأُبدع مثلما أهوى حديثًا لناءٍ صار من قلبي قريبا

* * *

أمدُّ يديَّ في لهف إليه أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقني إلى لقياه قلبي وثُوبًا ثم يبرُدُ في ضلوعي

* * *

فتصطخب العواطفُ ساخراتٍ وتطعنُني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعدما تقسو فتمضي لتقرعَ كلَّ نافذةٍ وبابِ!

صلاة الحب

أحـقًّـا كـنـت فـي قـربـي   لـعـلـي واهـمٌ وهـمـا
تـكـلَّـمْ سـيـدَ الـقـلـبِ   وقـل لـي: لَـمْ يـكـن حُـلـمـا

* * *

دنـوتَ إِلـيَّ مـسـتـمـعـا   فُـبـحْـتُ، وفـرطَ مـا بـحْـتُ!
بـعـادك والـذي صـنـعـا   وهـجـرُك والـذي ذقـتُ

* * *

وحـبِّـي! ويـحـه حـبِّـي   تَـبـيـعـك حـيـثـمـا كـنـتَ
تـكَـلَّـمْ سـيـدَ الـقـلـبِ   وقـل بـالـلـه مـا أنـتَ؟!

* * *

أرى فـي عـمـق خـاطـركَ   جـلالًا يـشـبـه الـبـحـرا
وألـمـحُ فـي نـواظـركَ   صـفـاء الـرحـمـة الـكـبـرى

* * *

وأنـت رضًـى وتـقـبـيـلُ   وأنـت ضـنًـى وحـرمـانُ
وفـي عـيـنـيـك تـقـتـيـلُ   وفـي الـبـسـمـات غـفـرانُ

* * *

وأنـت تَـهَـلُّـلُ الـفـجـرِ وبـسـمـتُـه عـلـى الأفـق
وحـيـنًـا أنَّـةُ الـنـهـرِ وحزن الشمس في الغَسقِ

* * *

وأنـت حـرارةُ الـشـمـسِ وأنـت هـنـاءةُ الـظـلِّ
وأنـت تـجـاربُ الأمـسِ وأنـت بـراءةُ الـطـفـل!

* * *

وأنت الـحسنُ ممتنعًا تحدَّى حصنه النجما
وأنت الـخـيرُ مجتمعًا وعنـدك عرشُـهُ الأسمى

* * *

وعـنـدك كـل مـا أظـمـا وردَّ الـقـلـب لـهـفـانـا
وعـنـدك كـل مـا أدمـى وزاد الـجـرح إثـخـانـا

* * *

وعـنـدك كـل مـا أحـيـا وشـدَّد عـزمـه الـواهـي
حـنـانُـكَ نـضـرة الـدنـيـا وقـربُـكَ نـعـمـةُ الـلـهِ!

* * *

وفـيـم هـواجـسِ الـقـلـب وفـيـم أطـيـلُ تـسـآلـي
أحـبـك أقـدسَ الـحـبِّ وحـبـك كـنـزيَ الـغـالـي

* * *

سـنـاكَ صـلاة أحـلامـي وهـذا الـركـنُ مـحـرابـي
بـــهِ ألـــقـــيـــت آلامـــي وفـيـه طـرحـت أوصـابـي

* * *

هوًى كالسحر صيَّرني أرى بقريحة الشهبِ
وطهَّرني وبصَّرني ومزَّق مغلقَ الحجبِ!

* * *

سموت كأنما أمضي إلى ربٍّ يناديني
فلا قلبي من الأرض ولا جسدي من الطين!

* * *

سموت ودق إحساسي وجُزتُ عوالم البشر
نسيت صغائر الناسِ غفرت إساءَة القدرِ!

مصافحة اللقاء

أهاب بنا فلبَّيْنا مناد ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا تعانقنا بكفينا
كأن الحبَّ تيار سرى ما بين جسمينا
يؤجج في نواظرنا ويشعل في دماءينا!

مصافحة الوداع

يا أميري! أزف البيـ ـنُ وما زلت ضنينا
أصغ لي! وانظرْ ودع كفـ ـك في كفيَ حينا
آهِ من يمناك هذي والذي منها سقينا
عللتنا بالأماني فشربنا ظامئينا
ثم دارت بالمنايا فوردنا طائعينا
آه من قاسية ريَّـ ـانةٍ ضعفًا ولينا
يا بنانًا ساحرًا قد حكَّم الأقدار فينا
شفتي موتورة ظمـ ـآنة جنت جنونا
وكأن الآن كفي حملت ثأرًا دفينا
تتمناك حبيسًا عندها العمرَ سجينا
طائرًا ألفى على را حتها وكرًا أمينا
وشعاعًا قدسيًّا هاديَ النور مبينا!

أغنية في هيكل الحب

كم تجرَّعنا هوانا ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب لَم نذقْ فيها أمانا
وإِذا حلَّ الهوى هيـ ـهات تدري كيف كانا
فإِذا ما ملك الأنفـ ـس أصلاها عوانا
فهو نصلٌ مستقرٌّ ولهيب لا يدانى!
يا حبيبي هدأ الليـ ـل ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحيـ ـنا ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقَّ على الشا كي ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرضِ الرا مي كما شاء رمانا
وافِنيْ بالله نطرقْ هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأ س ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية — من أغاني هينه (قصيدة رمزية)

يا أيها الحملُ الوديعُ أنا الذي يحنو عليك. أنا الحبيبُ الراعي
كم ليلة والرعبُ يمشي في الدجى والهولُ منتشرٌ على الأصقاع!
أغفيت في كنفي وفي ظلِّ الكرى كالطفلِ في أمنٍ مِنَ الأوجاعِ
ياربِّ! قد وهت العصا واستأثرتْ غيرُ الليالي بالقويِّ الباعِ
يا ربِّ إن تك قد حكمتَ بفرْقةٍ وأذنتَ للراعي بوشك زماعِ
فانظر إلى الحملِ الوديع ووقِّه شرَّ النفوسِ وفتنةَ الأطماعِ
نضِّره له الدنيا ومدَّ ربيعَها وانشرهُ مؤتلقًا بكل شعاع
واجعلْ له الأيامَ ظلًا وارفًا وخريرَ أنهارٍ وخصبَ مراعي!

التذكار

معرَّبة عن «الفرد دي موسيه»

بي نزوع إلى الدموعِ الهوامي غير أني أخافُ من آلامي
أيهذا المكان! يا غالي التر ب! ومثوى عبادتي واحترامي!
أنت مثوى الذكرى ومدفنُها الغا لي القصيُّ المجهولُ في الأيام

* * *

هذه خلوتي فلا تمنعوني ما الذي تحذرون يا خلاني؟!
إنها عادتي التي كنت أعتا دُ وأهوى في سالفِ الأزمانِ
أخذتني لذِي الرحاب وقادت قدمي في سبيلِ هذا المكان!

* * *

انظروا هذه السفوحَ وهذا النَّـ ـبتَ إذ قام مزهرًا تيَّاها؟
لكأني ما زلتُ تسمع أذني في صموتِ الرمالِ وقع خطاها
وكأن النجوى بكل ممرٍّ طوقتني في سترهِ يمناها!

* * *

قد تراءى الصنوبر النضر إذ أيـ ـنع في قاتمٍ من الألوانِ

وتراءَى ليَ المضيقُ البعيدُ الـ ـغور يمتدُّ في رخيٍّ المجاني
موحشات لكنما كن ألا في ومهد الهنيء من أزماني!

* * *

أنا ما جئتَ ها هنا أذكر الأشـ ـجانَ في موطنٍ عرفت فيه هنائي
ذلك الغاب رائع الحسن والصمـ ـت مثال الجلال والكبرياءِ
وفؤادي عاتٍ كرائعِ هذا الـ ـغابِ مستكبرٌ على البرحاءِ!

* * *

من يشأ أن يفيضَ يومًا بشكوا ه فما هذا موضع الأحزان
قل لشاكٍ هلَّا مضيت لتجثو عند مثوى ميْت من الخلان!
كل شيء حيٌّ هنا ونباتُ الـ ـقبرِ ينمو في غيرِ هذا المكان!

* * *

طلع البدرُ يرتقي ذروةَ الأُفـ ـقِ ويجتازُ حالكَ الأسدادِ
يا أمير الظلام إنك تبدو حائرَ الرأي، واضحَ الترادِ
ثم تمضي مجاوزًا حجبَ الليـ ـلِ وترمي بنورِك الوقَّادِ

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نورٍ مرسلٍ من جبينك الوضَّاحِ
وإذا الأرض قد تضوَّعَ منها عن ثراها النديِّ عطرُ الصباحِ
استثارت عطرَ القديمِ من الحبِّ دفين العبيرِ في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المجبب ما زر تك حتى سألت عن أوصابي
أيْن راحت لواعجي؟ أيْن آلا مي اللواتي أهرمنَنِي في الشباب؟
عاودتني طفولتي فيك حتى خلتُ أني ما اجتزتُ يومَ عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهـ ـرِ قويًّا مثل الجبابرِ عاتي
كل ماضي صبابة قد أخذتنَّ فمن مدمعٍ ومن حسراتِ
ورحمتنَّ لي أزاهر ذكرى علقتْ في ذبولها بالحياةِ

* * *

فسلام مني على الأيامِ كيف آستْ في النازلاتِ الجسامِ
لم أكن أدرِي أن جرحًا بما كا بدْتُ منه من فاتك الآلامِ
معْقبٌ لذةً لنفسي وإحسا سَ هناءٍ لديَّ بعد التئامِ

* * *

فليبْن عنيَ السخيفُ من الرأ يِ وتنأَى سفاسفُ الأقوالِ
وهمومٌ كواذبٌ كفنت أثْـ ـوابها حُبَّ عاشقين ضآلِ
جعلوها مظاهرًا لهواهم والهوى الحقُّ ليس منهم ببالِ

* * *

إيه دانتي! أأنت ذاك الذي قا ل قديمًا عن ذكرياتِ الهناء:
إنها إن مرَّت على ذاكريها زمن الحزنِ فهْي أشقى الشقاء!
أي بؤسى أمْلتْ عليك مرير الـ ـقولِ حقًّا أسأت للبأساءِ!

* * *

أو إنْ أقبل الدجى بعد إدبا رِ نهارٍ صافي الضياء قضيتَهْ
تنْكرُ النورَ في الوجودِ فيغدو محض وهمٍ كأنه ما رأيتَهْ
ذلك القول وهو جدٌّ عجيب أيها الخالد الأسي كيف قلتَهْ

* * *

قسمًا بالطهورِ من لهب الحبِّ مضيئًا في القلب شبه المنارِ
ما عهِدْنا في قلبك الوافر الإيـ ـمانِ هذا الظلال في الأفكارِ
لا أرى للهناءِ والله صدقًا مثل صدقِ الهناءِ بالتذكارِ

* * *

أو إنْ أبصرَ الشقيُّ وميضًا   في رمادِ الهوى فقام إليهِ
باسطًا نحوَه يديهِ بلهفٍ   حارصًا أن يمرَّ من كفَّيهِ
وبه من إشعاعهِ أثرُ البر   قِ إذا مرَّ خاطفًا ناظريه

* * *

أو إن غاصت روحهُ في عبابِ الذ   كريات التي طوتها السنينْ!
وعلى مرآة مجرحة منها   جرى دمعه السخيُّ الهتون!
أو هذا السرور من ذِكرِ الماضي   تسميه بالعذابِ المبين!

* * *

إن تروا أدمعي فلا تزجروني   ودعوني إني أحب الدموعَا
لا تجفف أيديكمُ أدمعًا تنـ   ـفعُ قلبًا لمَّا يزلْ موجوعا
أدمعي سترٌ مسبلٌ فوق ماضٍ   قد تولى ما يستطيع رجوعا!

البحيرة

معربة عن لامارتين

من شاطئٍ لشواطئٍ جددِ يرمي بنا ليلٌ من الأبدِ
ما مَرَّ منه مضى فلم يعدِ هيهات مرسى يومِه لغدِ!
سنةٌ مضت! وختامُها حانا والدهرُ فرَّق شملَنا أبدا
ناجِ البحيرةَ وحدك الآنا واجلسْ بهذا الصخرِ منفردا!

* * *

قل للبحيرةِ تذكرين وقدْ سكن المساءُ ونحن باللجِّ
لا صوت يسمع في الدنى لأحدْ إلا صدى المجدافِ والموجِ

* * *

فإذا بصوتٍ غير معتادِ هزّ السكونَ هتافهُ العذبُ
أصغى العبابُ ورجَّع الوادي أصداءَه وتناجتِ السحبُ

* * *

يا دهر في رفق ولا تدرِ: ساعاته في هينة وقفي
حتى تتاح هناءةُ العمرِ وتطول لذتُها لمقتطفِ

* * *

هـلا الـتـفـتَّ لـذلـك الـكـونِ   وعلمت كم في الناس من باكي
يدعوك خذني والأسى المضني   خلِّ الممتَّعِ وامضِ بالشاكي

* * *

هذا الـنـعـيـم وهـاتـه الـمـحـنُ   يـتـنـافـسـان الـدهـر إقـلاعـا
فـبـأي عـدلٍ أيـهـا الـزمـنُ   تـتشـابـهُ الـحـالان إسـراعـا؟!

* * *

يـا أيـهـا الأبـد الـسـحـيق أجبْ   وتـكـلـمـي يـا هـوة الـمـاضـي
مـا تـصـنـعـان بـأشـهـرٍ وحـقبْ   ونـعـيـم عـمـرٍ غـيـر مـعـتـاض

* * *

نـاج الـبـحـيرةَ والـصـخـور وعُدْ   فـاسـتـحـلِف الأغـوارَ والـغـابـا
قل! صُنْت ذكر غرامنا فلقدْ   صين الشبابُ عليك أحقابا

* * *

ولـتـبـق يـا هـذي الـبـحـيرة فـي   حـالـيـك ثـائـرة وهـادئـة
فـي بـاسـق لـلـمـاء مـنـعـطـفِ   فـي رائـعـات الـصـخـر نـائـتـة

* * *

فـي عـابـر الـنـسـماتِ مـرتـجِفًا   في النجم فضض صفحةَ الماءِ
فـي الـريـح أنَّ أنـيـنـه وهـفـا   في الغصن نفَّسَ حر أحشاءِ

* * *

فـي الـجـو مـعـتـبـقًا بـريَّاكِ   خطرت ملاعبة رقيق صبا
فـي كـل هـذا هـاتـفٌ بـاكـي   سيقول يا أسفا لقد ذهبا!

وداع المريض

مهداة إلى س ...

مريضٌ عزيزٌ سهر الشاعر عند سريره يعنى به، وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية:

فيم الغدو غدًا؟ وأيْن رواحي؟ ويح الصباح! لقد مضى بصباحي
عصفت علينا غير راحمة لنا يا صفوة الأحباب، أي رياحِ!
عبثت بمعبود العيون وصيَّرت كالورس لونًا توأم التفاح
ذهبوا به كالورد جافاه الندى ومضوا به شبحًا من الأشباح
يا هاتفًا باسمي فديت مناديًا ردَّ النداء عليه حر نواحي!
يا آسي الآسي لممت جراحتي وأسلت يوم نواك أي جراحِ!
طأطأتُ للبين المشتِّت هامتي وخفضت للقدر المُغِيرِ جناحي!
أي الليالي العاتيات سهرتها في أي آلام وأيُّ كفاح!
هدم الضنى العادِي قويَّ شكيمتي وثنى معاندتي ورَدَّ جماحي!
وطغى على الملك الموسد بيننا في لطف زنبقة وضعف أقاح!

* * *

كيف المآب إلى مكان موحش متجهم العرصات قفرِ الساح؟!

في كل ناحيةٍ خيالٌ هاتفٌ ومذكر بجبينكَ الوضاح
وموسد كالطيف صاحٍ ليله أمسيت أرعاه بجفنٍ صاح!
عاد الشقي إلى قديم شقائه ومحا من الدنيا السعادة ماحي
ويح الحياة اليوم! أين جمالها؟ وعلام إخفاقي بها ونجاحي؟
أنت الذي وهب الحياة لميِّت في الأرض منفرد بغير طماح
أشرقت في ظلمائها وغمامها وطلعت مثل البارق اللماح!

فرحة جديدة

أدركت عندك يوميَ الموعودا ولقيت فيك مثاليَ المنشودا

وا فرحتي بك فرحة الطفل الذي يلهو ويخلق كل يوم عيدا

وا فرحتي بك فرحة الطير الذي ملأَ الروابي المصغيات نشيدا

طربتْ لصدحِته وصفق ظافرًا جذلانَ في عرض الفضاءِ سعيدا

في موكبٍ من قلبِه وحبيبِهِ من راح تحسبه العيون وحيدا

وا فرحتي بك فرحة الضالِّ الذي يطوي القفارَ اللافحاتِ شريدا

لاحت له بعد الهواجر أيكةٌ غنَّاء تبسط ظلها الممدودا

ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى وأحالها روضًا أغر جديدا!

شتى غرائبها وأعجبها فتى يغدو لمهجته عليك حسودا

يتهالكان على جمالك صبوة يتنافسان ضراعة وسجودا

يتنازعانك غيرة وتغضبًا كل يراك حبيبه المعبودا

ما أعجب الإِيمان يغمر خاطري كالفجر قد غمر السماء وئيدا!

مزقتِ شكي فاسترحتُ لأعين علمنني الإِيمان والتوحيدا

استقبال القمر

أَقبِلْ بموكبك الأغَرْ ما أظمأَ الأبصارَ لكْ!
العين بعدك يا قمرْ عمياءُ! والدنيا حلَكْ

* * *

تمضي وراءَ سحابة تحنو عليك وتلثمُكْ
وأنا رهين كآبة بخواطري أتوهَّمُكْ!

* * *

كن حيث شئتَ فما أنا إلَّا معنًّى بالمحال
أغدو لقدسك بالمنى وأزور عرشك بالخيالِ!

* * *

وأقول صبرًا كلَّما عزّ الفكاك على الأسيرْ
روحي وروحك ربما طابا عناقًا في الأثيرْ

* * *

مهما تسامى موضعُكْ وعلا مكانُك في الوجودْ
فأنا خيالُك أتبعُكْ ظمآن أرشفُ ما تجودْ!

* * *

قـمـرَ الأمـانـي يـا قـمـرْ   إنــي بــهــمٍّ مــســقــمِ
أنـت الـشـفـاءُ الـمـدَّخـرْ   فاسكب ضياءك في دمي

* * *

أفرِغ خلودَكَ في الشبابْ   واخلعْ على قلبي الصفاءْ
أسـفًا لـعـمرٍ كـالـحـبـابْ   والـكـأسُ فـائـضـة شـقـاءْ

* * *

خـذنـي إلـيـك ونـجِّـنـي   مـمـا أُعـانـي فـي الـثـرى
قـدحـي تـرنَّـق فـاسـقـنـي   قـدح الـشـعـاع مـطـهـرا!

* * *

واهًــا لأحــلامٍ طــوالْ   وأنــا وأنــتَ بــمــعــزلِ
نَعْلو على قممِ الجبالْ   ونـرى الـعـوالـم مـن عَـلِ

نفرتيتي الجديدة

إلى ممثلة فنانة

لِمَن هاته الفتنة النادرة؟! وما هاته الأعينُ الساحرهْ؟!
وما ذلك المرَحُ القدسيُّ؟! وما هاته الضحكة الطاهرهْ؟!
تطوف مطاف الحنان العميم وتسقط كالنعمة الوافرهْ
وتمتدُّ مثل امتداد العباب وترجع كالموجة الساخرهْ
وتنقش أصداءها فى القلوب وتبقى مدى العمر في الذاكرهْ
فيا رِقَّة سُكِبَتْ فى النفوس كما تُسكبُ الخمرةُ القاهرهْ
نسينا بيك العالَم الدنيويَّ وأسمعْتِنَا نَغَمَ الآخرهْ
ويا ربةً من نواحى الألمبِ أطلت على مهَجٍ شاعرهْ
حنينا الرؤوس لمجد الجمالِ ولُذنا بعرشكِ يا آسرهْ
(...) مثَّلتِ هذى الحياة وصوَّرت أدوارَها الزاخرهْ
وحمَّلت روحك أثقالها وروحك كالريشة الطائرهْ
وكلَّفت قلبكِ خوض الجحيم وقلبك كالجنة الناضرهْ
دفعت به في اللظى كالخليل وعدتِ مباركة ظافرهْ
رجعتِ من النار ياقوتةً مطهرةً حرَّةً باهرهْ
(...) إن كرَّمتكِ البلادُ ودانت لمعبودةٍ قادرهْ
فوالله ما فهمتك العقولُ ولا قدرت قدرِك «القاهرهْ»!

فللشعر عينٌ يراكِ بها بغير عيون الورى الناظرهْ
يرى لك حُسْنَ الشعاع الجميل أغار على الظلمة الغامرهْ
فجلَّلَ بالسحر هذى الدُّنى وصيَّرها جنة زاهرهْ
فنوَّر أكواخها الباليات وهلل في دورها العامرهْ
رسولٌ يجوس خلال الديار وينزل كالرحمة الزائرهْ
بعين قد اغرورقت بالدموع لها مُقلةُ الغيمةِ الماطرهْ
يطوف على الناس إنسانها ومهجته للورى غافرهْ

الفراشة

أجلْ! يعلم الحبُّ أني لظاهُ وتدري الفراشة أنِّي اللهبْ
وأني بدوتُ لها في الظلام فرفَّت بأجنحةٍ تضطربْ
وبين ذراعيَّ سرُّ الحياةِ وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهُبْ
دنت خطوة ثم عادت إلى مجاهِلها من خفيِّ الحجُبْ
وشتَّان بين السنا والظلا مِ لعابدةٍ للسنا عن كثبْ!
وفي صدرها لهفة للعناقِ وفي قلبها جنةُ المغتربْ
يلوح لها شبحٌ لِلعذاب ويبدو لها الأبدُ المقتربْ
كأن اللظى قدَحٌ من سلافٍ لها فوقه وثباتُ الحببْ
فراشة روحي تعاليْ وُثوبًا ستلقين قلبًا إليكِ يثبْ
إذا ما امتزجنا احترقْنا معًا ونلنا الخلود بهذا العطَبْ!!

إلى س ...

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها   وردت ظمأى وعادت بصدَاها

آه من عينكِ! ماذا صنعتْ   بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!

تبعته تقتفي أحلامَهُ   كلَّما أغفى أطلَّت فرآها

يا سقى اللهُ «لِليلى» أيكةً   وجزاها الخيرَ عنَّا ورعاهَا

وغذاها من أمانينا ومِن   حبنا الشهدَ المصفى وسقاهَا

قرِّبي عينكِ مني قرِّبي!   ظلليني واغمريني بصفاهَا!

وأريني هدأة البحرِ إذا انـ   ـبسط البحرُ جلالًا وتناهَى

وأريني لجةَ السحرِ التي   ضلَّ في أعماقها الفكرُ وتاهَا

ألمحُ اللؤلؤ في أغوارها   وأرى الطيبةَ تطفو في سناهَا

وأراها تُخبِّئُ الخلدَ لمن   باع دنياه وبالروح اشتراهَا!

* * *

نحن أرواحٌ حيارى افترقتْ   ثم عادت فتلاقت في شجَاهَا

سوف ينسى القلبُ إلَّا ساعةً   مِنْ رضًا في وكرِك الحاني قضاهَا

هتف القلب وقد حدثتني   أيَّ ماضٍ كشفت لي شفتاهَا

هَمَسَتْ في خاطري فاستيقظتْ   روحيَ الحيْرى وأصغت لنداهَا

فأنا إنْ لَمْ أَكُنْ توأمَها   فكأني كنت في الغيبِ أخاها

نحن أرواحٌ حيارَى ثملتْ   وانتشتْ سكرى على لحنِ أساهَا

قـرِّبـي روحَـكِ مـنـي قـرِّبـي! ظـلـليـنـي واغـمـريـنـي بـرضـاهَـا!
وتـعـالـيْ حـدِّثـيـنـي! حـدِّثـي! أنـت مـرآة شـجـونـي وَصَـدَاهَـا
فـهـبـيـنـي سـاعـة الـصـفـو الـتـي تـقـسـمُ الأيـامُ مـا فـيـهـا سـواهـا
ثـم أمـضـي لـحـيـاةٍ مـرَّةٍ صـبْـحُـها عـنـدي سـواءٌ ومَـسـاهَـا!

نداء للشباب

وطنٌ دعا وفتًى أجابْ بوركت يا عزم الشبابْ!
يا فتية النيل المسا لم والكريم بلا حسابْ
جـنـاتـه مـرآتـكـمْ ولكم خلائقها العِذابْ
ولكمْ جمال الزهرِ رفَّ على الأماليدِ الرطابْ
ولكم فؤاد النهر رق على المحاني والشعابْ!
يمضي فيضحك للسهو ل ولا يضن على الهضابْ
حتى إذا نادتكم الأ وطان والوادي أهابْ!
حتى إذا طغت الكوا رث واستفزكم العذابْ
أصبحتم كالغيل تحـ ـميه الليوثُ بألف نابْ
قل للشباب اليوم يو مكم الأغر المستطابْ!
اليوم يبدو حبُّ مصـ ـر فلا خفاءَ ولا حجابْ!
إن كان إثمًا يا شبا بُ فلا رجوع ولا متابْ!
الله ينظرُ والليا لي عندها لكم الحسابْ
والعهدُ في القلبِ المصا برِ والأمانةُ في الرقابْ!
هاتوا الفدا الغالي لمصـ ـر وأرخصوه كالترابْ
المال، والأرواح، كل ضحيةٍ ولها ثوابْ

في يوم الشباب

اليوم يومُك في الشباب فنادِ ... لا نوم بعدُ، ولا شهيَّ رقادِ
قل للذي يبغي الصلاحَ لقومه ... بنبيل صنعٍ أو شريفِ جهادِ
بالطبِّ أو بالشعر أو بكليهما ... كل الجهودِ فداءُ هذا الوادي!
لا خير في قلمٍ إذا هو لَمْ يكنْ ... حرًّا طهورًا كالشعاعِ الهادي
لا خير في طبٍّ إذا هو لم يزُرْ ... ظلم الحياة كفرحةِ الأعيادِ
يا أيها الوطن الجريح وجرحه ... بصميم كل حشاشة وفؤادِ
صبرًا فنحن أساتك الرحماء في الـ ... ـبأساءِ قد جئنا بكل ضمادِ
قل للبناةِ المصلحين ألا اخلقوا ... شم الذرى ورواسخَ الأطوادِ
جيلًا من النشء القوِي إذا مشوا ... رفعوا الرؤوسَ بعزةٍ وعنادِ
لا خير في الأرواحِ تسكن منزلًا ... متهدما رثًّا من الأجسادِ
لا خير في الأرواحِ تسكنُ موطنًا ... متخاذلًّا لا يرتجى لجلادِ
أبَكَتْ عيونُكم الضعيفَ يصير في ... ناب القويِّ فريسةَ استعبادِ
فتبينوا إذن الحقيقَةَ واعلموا ... أن الطبيعةَ هكذا من عادِ
الجوُّ ملكُ النسر يغشاه على ... ما يشتهي والغابُ للآسادِ
مهلًا بني قومي أتيت مذكرًا ... في ساحةٍ مجموعة الأشهادِ
وا خجلتا مما نقدمه إذا ... حان الحسابُ وجاء يومُ معادِ
أي الصحائف في غد وحسابكم ... في ذمةِ الأبناءِ والأحفادِ
أيّ البلاد هو السعيد وأهله ... يتنابذون تنابذ الأضدادِ

كل يـعـيـش لـنـفـسِـه فـي أمـةٍ شـقـيـتْ بـطـولِ تـفـرقِ الأفـرادِ
فخذوا السبيلَ إلى الحياةِ تآلفًا وتـكـاتـفًـا فـي رغـبـةٍ ووداد
خير الصحائف ما كتبتَ سطورَه بـيـد الـكـفـاح الـحـر لا بـمـدادِ
صـونـوا الـبـلادَ وأدركوا فـلَّاحَـكـم كاد الحمى يغدو بغير عمادِ
حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ إلى كـربٍ تـمـر بـه بـلا تـعـدادِ
هـذي ديـاركـم وذلـك نـيـلـكـم هـبـة الـسـمـاء ومـنـحـة الآبـاد
هذي ديـارُكمُ وهـذي شـمـسُـكـم طمعُ الغريب وحرقةُ الحسادِ
ومن المصائب في زمانك أن ترى بـلـدًا كـثـيـر مـنـاهـل الـروادِ
والـخـيـرُ مـدرارٌ عـلـيـه وربـه جوعان محروم الرعاية صادِ!
والزرع نضر في الحقول وأهله يتهيأون لمنجل الحصادِ! …
هـذا زمـانـكـم وذا مـيـدانـكـم ماذا بكم من عدة وعتادِ؟ …
نبغي شداد القوم قد شحذوا القوى فـي لـيـل أحـداث نـزلـن شـدادِ
ونريد شبانًا بمصر استعصموا ومضوا يصدون الغريبَ العادي
ونـريـد أطـفـالًا إذا مـا أُرضـعـوا فـرضـاعـهـم وطـنـيـة بـسـهـادِ
الطفل منهم مثل أمي أو أبي شفتاه أول ما تقول بلادي! …
يُغذون في الأرحامِ حب بلادهم لتكّون مصرًا صرخة الميلادِ!

إلى روح الشاعر

ألقيت في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي، يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤.

موقفٌ حانَ فاغتنِمْ | وتخير مِن الكلمْ
كلَّ لفظٍ أرقَّ مِن | ضحكةِ الزهر للدِّيمْ
مستَمَدٍّ من الرُّبى | مُستعارٍ من النسمْ
اجمعِ الآنَ طاقةً | غضَّةَ النور تبتسمْ
أُهدِها روحَ شاعرٍ | خالدٍ بالذي نَظمْ

* * *

قلمي! ما الذي لديـ | ـكَ من الخيرِ يا قلمْ؟!
قمْ فذكِّر وناج قو | مَكَ واخطُب وقل لهُمْ
قل لأهل الغناءِ في | كنف المعهد الأَشَمّْ:
ذلك الشاعرُ الذي | بات في خاطر الظُّلمْ
هو منكم وفنُّهُ | علمَ الله فنكمْ
كان لحنًا فصار ذكـ | ـرًا كما يُذكَرُ الحُلمْ
إنما الشعر مزهرٌ | قد حكى قصةَ الأممْ
وبأوتاره المنى | تتلاقى وتزدحمْ
هو نايٌ مُرجِّعٌ | لشجيٍّ وما كتمْ

هو قيثارةُ الزما ... ن ونجواه مِنْ قِدَمْ
هو أنشودة الحيا ... ةِ وفيضٌ من النغمْ

* * *

أيها المعهد الذي ... بلغ المجدَ واستتمّْ
كلُّ لحنٍ مذكرٍ ... أشعل القلب فاضطرمْ
نظمته يدُ الأسى ... وقَعته يدُ السقمْ
وأناشيدكم وما ... صاغه الفنُّ من عِظمْ
هي أنّاتُ أنفسٍ ... بالمقادير ترتَطِمْ
وصباباتُ أعينٍ ... يشهدُ الليل لَم تنمْ
وأغانيكمْ التي ... هي في قمةِ القمَمْ
هي آهاتُ شاعر ... عرف الحبَّ والألمْ!

* * *

ذلك الشاعرُ الذي ... روحهُ الآن بينكمْ
لكأني أراه حـَ ... ـيًّا وألقاهُ عن أمَمْ
وهو في ذروة الشبا ... ب وفي خفةِ القَدَمْ
غاشيًا كلَّ منتدًى ... عاليَ الرأسِ محترمْ
كلما قال شعرَه ... غمر السهلَ والعلمْ
دافقًا ليس ينتهي ... أبدًا سيلُه العرمْ
باذلًا للصديق والـ ... ـأهلِ كلَّ الذي غَنِمْ

* * *

زوجه والبنون هُم ... مجدهُ والرجاءُ هُمْ
درجوا في ذُرَا العلا ... نوَّروا في رُبى النعمْ
نشأوا في حِمى العفا ... فِ وجلُّوا عن التُّهمْ

* * *

حين ظنوا بأنَّ ما ... أمَّلوا في الزمانِ تمْ

إذ شكا الضعفَ سيد الـ ـبيتِ خارت به الهممْ
نام في حصنهِ الضَّنى وعلى صدره جَثمْ
وإذَا بالطيور قد دخل الموتُ وكرهُمْ
شِبْهَ لصٍّ مخادعٍ غشىَ البيت فالتهَمْ
وإذا الفاقةُ الجريـ ـئةُ تَطْغَى وتَنْتَقِمْ
صنعتْ في رجائهمْ فعلَة الذئبِ بالغنمْ
كأتونٍ مسعَّر غاضبٍ ينثرُ الحُمَمْ!
مَن رأى البؤسَ إن عدا؟! مَنْ رأى الضنك إن هَجَمْ؟
مَن رأى العفةَ العريـ ـقةَ بالدهر تصطدمْ؟!

* * *

أُمَّتي! ليس يُهزَمُ الـ ـفنُّ في أمَّة الشَّمَمْ
أُمَّتي! ليس يخذلُ الـ ـجُودُ في أمَّة الكرَمْ
أُمَّتي! أُمَّةُ العلا وأبي الهول والهرَمْ

ساعة التذكار

ألقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الأدب المصري بالإسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك.

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ   مَنْ مُسعدِي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرُ! أفِضْ عليَّ خواطرًا   وابعث خيالَك في النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشةً   غراءَ حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلى أَفِقْ   واهتفْ بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانهِ   ومضى ليهتفَ في ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها   نهبُ الخطوبِ قليلةُ الأنصارِ
والحظُّ أطمارٌ كما شاءَ البلَى   والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه   فينا ويا لسَواخر الأقدارِ!
عامٌ مضى وكأنَّ أمس نعيُّه   يا ما أقلَّ العامَ في الأعمار!
أيْنَ الإمارة والأميرُ ودولة   مبسوطةُ السلطان في الأمصار؟!
خمسون عامًا وهي وارفةُ الجنَى   تحت الربيعِ دؤوبة الإثمارِ!
مَدَّ الخريفُ على الرياض رواقهُ   ومضى الربيعُ الضاحكُ النَّوَّارِ!

* * *

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً ... جمعتْ صحابَك في غروب نهار[1]
والشمس في سقم الغروب وأنت في ... لونِ الشحوب معصفرٌ ببهارِ
منحتْ وقد ذهبت شعاعًا غاربًا ... كسناكَ طوَّافًا على السُّمارِ
تشكو ليَ الضعفَ الملمَّ لعلَّ في ... طبي مقيلًا مِن وشيكِ عثارِ
وكشفتَ عن متهدِّمٍ جال الردى ... متهجمًا في صَرحه المنهارِ
فرأيتْ ما صنع الضنى في صورةٍ ... حالتْ، وخلى هيكلًا كإطارِ
ووجمتُ! ألمحُ في الغيوب نهايةً ... وأرى بعينيَ غايةَ المضمارِ
وأرى النبوغَ وقد تهاوى نجمُه ... والعبقريةَ وهي في الإدبارِ!
أوَلم يكن لك من زمانِك ذائدًا ... وثباتُ ذهنٍ ماردٍ جبارِ؟
أوَلَمْ يكن لكَ من حمامِك عاصمًا ... ذاك الجبين مكللًا بالغارِ؟
ولَّيتَ في إثر الذين رثيتهُم ... وأقمتَ فيهم مأتمَ الأشعار
وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ ... محتومةُ الأقداح والأدوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفَّقًا ... فمضيتَ في متدفق التيارِ

* * *

في ذمة الأجيالِ ما غنَّت به ... قيثارةٌ سحريةُ الأوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقَّعتْ ... أنغامَها المحجوبة الأسرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذًا ... منها ومن إعجازها بغرارِ
مسترسلًا رحبًا كعينٍ ثرَّةٍ ... شتى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ
متعاليًا حتى الأشعةِ مشرقًا! ... متألقًا كالكوكبِ السيَّارِ!

* * *

شوقي! نظمتَ فكنت برًّا خيِّرًا ... في أمة ظمأى إلى الأخيارِ!
أرسلتَ شعرَك في المدائن هاديًا ... شبهَ المنارِ يطوف بالأقطارِ
تدعو إلى المجد القديمِ وغابرٍ ... طي القرون مجلَّلٍ بوقارِ!

[1] يشير إلى اجتماع مجلس (جمعية أبولو) في كرمة ابن هاني في يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٣.

تدعو لمجدِ الشرق تجعل حبَّهُ نصبَ القلوبِ وقبلةَ الأنظار!
تبكي العراقَ إذا استُبيحَ ولا تضنُّ على الشآم بمدمعٍ مدرارِ
وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم خرجوا لصون كرامةٍ وذمارِ
فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم كفًّا مضرجةً مع الأحرارِ!

* * *

ما زلتَ تُبعثُ في قريضِكَ ثاويًا أو ماضيًا حَفِلًا بكلِّ فخارِ
حتى اتُّهمتَ فقالَ قومٌ: شاعرٌ ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ!
فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما لَم يعهدوا من معجز الأفكار!
شيخٌ يدبُّ إلى الأصيل وقلبُهُ وجنانُهُ في نضرة الأسحارِ
ويحسُّ تبريحَ الصبابَةِ واصفًا مجنونَ ليلى في سحيقِ قفارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشرًا تلك العصور وطيفَها المتواري!
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحيا ةَ! هما شعارُ العيش أيُّ شعارِ

دين الأحياء

ألقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى العام الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي.

دَينٌ ... وهذا اليومُ يومُ وفاءِ
كم منَّةٍ للميْتِ في الأحياءِ!

إن لَم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعَه
فلعلَّ في التذكار بعضَ جزاءِ

يا ساكنَ الصحراء منفردًا بها
مستوحشًا في غربةٍ وتنائي

هل كنتَ قبلًا تستشفُّ سكونَها
وترى مقامَك في العراء النائي

فأتيتَ — والدنيا سرابٌ كلها —
تروي حديثَ الحبِّ في الصحراءِ

ووصفتَ قيسًا في شديدِ بلائه
ظمآن يطلب قطرةً من ماءِ

ظمآن حين الماء ليلى وحدَها
عزَّت عليه ولَم تُتح لظماءِ!

هيمان يضرب في الهواجر حالمًا
بظلال تلك الجنة الفيحاءِ

فإذا غفا فلطيفها، وإذا هفا
فلوجهها المستعذبِ الوضَّاءِ

يا للقلوب لقصةٍ بقيت على
قِدم الدهور جديدةَ الأنباءِ

هي قصةُ الطيف الحزين، وصورةُ الـ
ـقلب الطعين، مجللًا بدماءِ

هي قصةُ الدنيا، وكم من آدم
منا له دمعٌ على حوَّاءِ!

كل به قيسٌ إذا جنَّ الدجى
نزع الإباءَ وباح بالبرحاءِ

فإذا تداركه النهارُ طوى المدا
معَ في الفؤاد وظُنَّ في السعداء

لا تعلم الدنيا بما في قلبه
من لوعةٍ ومرارةٍ وشقاء

كلٌّ له «ليلى» ومن لَم يَلقها
فحياته عبثٌ ومحضُ هباءِ

كلٌّ لـه «ليلى» يرى في حبها   سرَّ الدُّنى وحقيقة الأشياءِ
ويرى الأماني في سعير غرامها   ويرى السعادةَ في أتمِّ شقاءِ
الكونُ في إحسانها والعمرُ عنـ   ـد حنانها، والخلدُ يومُ لقاءِ
يا للقلوب لقصةٍ محزونةٍ   لم تُروَ إلَّا رُوِّحَتْ ببكاءِ
خلدت على الدنيا وزادت روعةً   ممَّا كساها سيدُ الشعراءِ
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً   من جودة التمثيل والإلقاءِ
من فنِّ (زينبها) ومن (علَّامها)   زين الشباب وقدوةِ النبغاء

الأجنحة المحترقة

يا أمتي كم دموعٍ في مآقينا ... نبكي شهيديك أم نبكي أمانينا؟!

يا أمتي إن بكينا اليوم معذرةً ... في الضعفِ بعضُ المآسي فوق أيدينا

واهًا على السرب مختالًا بموكبه ... وللنسور على الأوكار غادينا!

قالوا الضباب فلم يعبأ جبابرةٌ ... لا يدركون العلا إلَّا مضحِّينا

«والمانش» يعجب منهم حينما طلعوا ... على غوارِبِهِ الحيرى مطلِّينا

فاستقبلتهم فرنسا في بشاشتها ... تجزي البسالة وردًا أو رياحينا

قالوا النسور فهبَّ القومُ وادَّكروا ... نسرًا لهم ملأَ الدنيا ميادينا

وهلل «السِّين» إذ هلَّت طلائعنا ... طلائع المجد من أبناء وادينا

حان الأمانُ ووافَى السربُ فافتقدوا ... نسرين ظنوهما قد أبطآ حينا

لكنه كان إبطاءَ الرَّدى فهما ... لمَّا دعا المجد قد خَفَّا ملبينا

فليبْكِ من شاء وليُشبعْ محاجرَهُ ... ولينتحبْ ما يشاءُ الحزنَ باكينا

يبكي الحبيب وتبكي فقد واحدها ... من لا ترى بعده دنيا ولا دينا

هُنيهة ثم يسلو الدمعَ ساكبُه ... لا يدفعُ الدمع شيئًا من عوادينا

فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صائحُنا: ... فداك يا مصر لا زلنا قرابينا

فداك يا مصر هذا النجم منطفئًا ... والنسر محترقًا والليث مطعونا!

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلًّا يقينا | أحُلْمًا كان عطفُكِ أم يقينا؟
أهجرًا في الصبابة بعد هجرٍ | أرى أيـامَـه لا يـنـتـهـيـنـا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى | على الرَّمق الذي أبقيتِ فينا
كـأن قـلـوبـنـا خُـلِـقَـتْ لأمرٍ | فمذْ أبصرنَ من نهوى نسينا
شُغِلْنَ عن الحياة ونِمْنَ عنها | وبِـتـن بـمـنْ نـحـبُّ موكلـيـنـا
فإن مُلِئت عروق من دماءٍ | فـإنَّـا قـد مـلأنـاهـا حـنـيـنَـا!

أصوات الوحدة

يا وحدتي جئت كي أنسَى وهاءنذا — ما زلتُ أسمعُ أصداءً وأصواتا
مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفةٌ — يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتا!
جَرَّتْ عليَّ الأماني مِنْ مجاهلِها — وجمَّعَتْ ذِكَرًا قد كُنَّ أشتاتا
ما أَسْخَفَ الوحدةَ الكبرى وأضيعهَا — إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا!
بَعثن ما كان مطويًّا بمرقدهِ — ولم يزَلْنَ إلى أن هبَّ ما ماتا
تلفَّتَ القلبُ مطعونًا لوحدته — وأين وحدته؟ باتتْ كما باتا!
حتى إذا لم يجدْ ريًّا ولا شبعًا — أفضى إلى الأمل المعطوب فاقتاتا!

من شعر الصبا

الختام

عجبًا لقلبٍ هيض منكَ جناحُهُ وجرى به نصلُ الندامةِ يذبحُ
ومضى الحِمامُ يدبُّ فيه فإن جرتْ ذكراك طار إليك وهو مجنَّحُ
لهفي على الناقوس بين جوانحي وعلى بقيةِ هيكلٍ لا تصلحُ
لا فرق بين أنينه ورنينهِ وصداه في وادي المنيةِ أوضحُ
يا قلب! صهباء الهوى وبساطه وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّحُ
وقفٌ على متنقلين على الهوى يبغون من لذاته ما يسنحُ
متبدِّلين موائدًا وأحبةً ما خاب من حب فآخر يفلحُ
فالحبُّ آسيه وراء عليله فيهم، وبلسمه على ما يجرحُ
يا قلبُ! ويح ثباتنا ماذا جنى أترى شعاعًا في البقيةِ يُلمحُ!

* * *

يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلًا ذاق الردى من عابديك مسبحُ
كثرت ضحاياه وطال قيامُه وصيامه، فمتى رضاءَك تمنحُ؟
يا دوحة الأرواح يُحمد عندها فيءٌ ويعبد زهرُها المتفتحُ
أينال ظلَّك والرعايةَ عابثٌ بجلالك البادي وآخر يمزحُ؟!
ويبيت يحرمه قتيل صبابةٍ قضَّى الحياةَ إلى ظلالك يطمحُ؟!

ليلى! حببتُكِ كالحياة وذقتُ في ناديك كأسًا بالأماني تطفحُ
فتكسرت قدح المنى ورجعتُ من سقم الهوى وهزاله أترنحُ
نزل الستار على الرواية وانقضتْ تلك الفصولُ وفُضَّ ذاك المسرحُ

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الأزهر وفي باريس (ألقيت في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة).

تحت عين الصباح والأنوارِ ورقيق الأنداء والأسحارِ
في حمى سنتريس شبَّ غلام شاعريُّ الكلام والأنظارِ
أزرق العين هادئ هدأة البحـ ـر بعيد الرضى! بعيد القرارِ!
ساهم يلمح السحائب في الأفـ ـق بعين عميقة الأغوارِ

* * *

شبَّ في جيرة النسائم والزهـ ـر وفي صحبة الغدير الجاري
ونضيرِ الحقول والعشب المخضَّـ ـل يكسو شواطئ الأنهارِ
ومصيخًا إلى غناء السواقي شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
باكياتٍ على الصبا والأماني والهوى والنوى وبعدِ المزارِ
غير أن الذي شكا خطبه الأهـ ـلُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ
إنَّ ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الـ ـقلب في رقة النسيم الساري
مغرمٌ بالعصا! فلو خلف سورٍ لتخطى شواهق الأسوارِ
ولأجل العصا سطا على الأفرع الخضـ ـراء زانت بواسق الأشجارِ
ولأجل العصا سطا على خشب البيـ ـت، طموحًا حتى لِباب الدارِ
ولَوَ انَّ العصيِّ عزَّت عليه لتمنَّى حتى عصا التسيارِ

* * *

إن تلك العصا لرَمزٌ على القوَّ ... ة في قلبِ ماردٍ جبَّارِ
لا يرى القرية الصغيرة كفْءًا ... لكبار الآمال والأوطارِ
ساخرًا من هدوئها مستعدًّا ... لصراع الخطوب والأخطارِ
أين يمضي؟! للأزهر الشامخ الرأ ... س القوي الباقي على الأدهارِ
مطلع عبده وسعدًا ورهط الـ ... ـمجد والبأس والعلى والفخار

* * *

فرح الأهلُ بالغلامِ الذي صا ... ر حديثًا في ندوة السُّمارِ
عمَّموه وقفطنوه فأمسى ... أمل القوم، فارس المضمارِ
ومضى يطلب العلوم وحيدًا ... موحشا قلبهُ، غريبَ الدارِ
ناظرًا في هوامشٍ تأكل العقـ ... ـل وتبلي نواضر الأبصارِ
لا يبالي الطوى ولا يحفل الأقـ ... ـدار جاءت بكل أمرٍ ضاري
لا يبالي غداة يصغى إلى الشيـ ... ـخ وللشيخ هالة من وقار:
أحصيرٌ ممزقٌ أم حريرٌ ... مقعد للمجاهد الصبَّارِ
آهِ من هاته الشدائد فهْي النَّـ ... ـار تبلو القلوب في الأخيارِ
إنَّ قلب العظيم ياقوتةً تسـ ... ـمو سموًّا وتزدهي بالنارِ!
أي شيء في الدهر كالألم الجبَّـ ... ـار يجلو ضمائر الأحرار؟!

* * *

عجبي من «مجاور» ضاق بالأز ... هر واحيرة النفوس الكبارِ!
ثم أمسى مطربشًا واكتسى البذ ... لة ما بين ليلةٍ ونهارِ
ثم ضاقت بهمه مصر فاشتا ... ق لغير الأوطان في الأمصارِ
ضمَّ أشياءه إليه، وأضحى ... في سفينٍ تجوب عرض البحارِ
ثم أمسى مبرنطًا يقصد السيـ ... ـن ويغزو مدينة الأنوارِ

* * *

والـذي يـبـعـث الـسـرور ويـدعـو كـلَّ نـفـس لـلـزهـو والإكـبـارِ
رجـلٌ مـا ازدهـتـه فـتـنـة بـاريـــ ـــس وما فـي باريـس مـن أسـرارِ
ظـل فـي ذلـك الـحـمـى مـصـريًّا عــربــيَّ الــحــيــاة والأفـــكـــارِ
كـلـمـا هـبَّـت الـغـوانـي عـلـيـه ضـاق ذرعـا بـالـغـادة الـمـعـطـارِ
يـزفـر الـزفـرة الـنـفـيـسـة تـرمـي من لـظـاهـا فـحْـم الـدجـى بـشـرارِ
يـذكـر الـنـيـل، والأحـبـة بـالـنـيــ ـــل ويـشـدو بـرائـع الأشـعـارِ!
كـرِّمـوا نـابـغـيـكـمـو واعـرفـوهـم فـضـيـاع الـنـبـوغ فـي الإنـكـارِ
فــزكــيٌّ مــبــاركٌ شــعــلــة فــي مـصـر تـهـدي شـبـابـهـا كـالـمـنـارِ
قـسـمًـا لـو يُـتـاح لـي الـغـارُ كـلـلــ ـــت بـكـفـي جـبـيـنـه بـالـغـارِ!

على البحر

من شعر الصبا قاله الناظم في الثالثة عشرة من عمره.

هل أنتِ سامعةٌ أنيني   يا غايةَ القلب الحزينِ
يا قِبلة الحب الخفيِّ   وكعبة الأمل الدفينِ
إنــي ذكرتك باكيًا   والأفق مُغبرُّ الجبينِ
والشمس تبدو وهْي تغـ   ـرب شبه دامعة العيون
أمسيتُ أرقُبها على   صخر وموج البحر دوني
والبحر مجنون العبا   بِ يهيج ثائره جنوني
ورضاكِ أنتِ وِقايتي   فإذا غضبتِ فَمَن يقيني!

كلانا

من شعر الصبا

كلانا عليل فلا تجزعي ودمعك تسبقه أدمعي
وإن كان بين ضلوعك نار فنار الصبابة في أضلعي
وإن كان نجم هنائك غاب فنجم هنائيَ لَم يطلع ...

في معبد الليل

إلى أميرتنا

في عيد ميلادها الرابع عشر ١٠/ ٤/ ٤٦

اقبلي يا «أميرة» اللطف حبي — واقبلي من أبيك هذا الكتابا
اجعليه ذكرى له، واجمعي الآ — راء فيه واستكتبي الأصحابا
جعل اللهُ كل عمركِ عيدًا — وربيعًا منضَّرًا وشبابا

إلى ابنتي

يا ابنتي إنني لأشعر أَني ملأت مهجتي شموس منيره
أشرقت فرحتان عندي فهذي لـعـمـاد وهـذه لأمـيـرهْ
أنتما فرقدان، وهو جدير بالذي ناله وأنت جديرهْ
اغنما كل ما يطيب وفوزا بالمسرات والأماني الوفيرهْ
وا فرحا بالذي يطيبُ ويرجى عيشةٌ نضرة وعين قريرهْ

أبد الخلود[1]

ما كان أقصر هذه من زورة ما أشبعتْنا من بشاشة نازكِ
كلا ولا رَوَّى النهى من زهرةٍ بالطهر تفصح عن سمات ملائكِ
إنا حمدنا لليالي أنها قد قرَّبتنا من سنيِّ سمائكِ …
أن كان أسعدنا الزمانُ بساعةٍ فكأنها أبد الخلودِ حيالكِ

[1] عندما زارت الشاعرة نازك الملائكة الدكتور ناجي في مصر أهدى إليها ديوانه ليالي القاهرة، وقد كتب «الإهداء» هذه القصيدة.

تكريم

قصيدة الدكتور ناجي في الحفلة التي أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة الحديثة تكريمًا لصاحب مجلة الحديث الحلبية للأديب الراحل سامي الكيالي سنة ١٩٣٢.

نفدي النزيلَ ونكرمن إن لم نكرِّمْه فمن؟
يا ضيف مصر أقم مقا م الأهل وانزل في وطن
إنا اشتركنا في الأما ني والتقينا في المحنْ
فمن الشآم إلى العرا ق إلى الحجاز إلى اليمن
والصرخة الكبرى كمو ج البحر تدوي في الأذنْ
تتباين الأصوات فيـ ـها لا تبالي بالثمن

***

نبغي الحياة وما الحيا ة سوى مماشاة الزمن
الدهر دفاق فكيـ ـف نعبُّ من ماءٍ أسنْ؟!
العصر عصر السابقيـ ـن إلى الشواهق والفتن
لا عصر مفتتنين بالـ ـأحلام غرقى في الوثن
ومقيدين إلى الثرى بين التخاذل والوهن
يا أيها الشرق الذي يدعو، رويدك واطمئنّْ
إنا إليك وللشبا ب رسالة لا تمتهنْ

قـمـنـا لـهـا! كـل بـنـا   حـيـة رسـول مـؤتـمـنْ!
ما في طلائعنا الضعيـ   ـف ولا الذليل المستكنْ
ما في طبائعنا الخصا   م ولا الحفيظة والضغنْ
إنـا جـنـود الـنـور مـن   عـلـم ومـن أدب وفـنْ
الـقـاتـلـون الـجـهـل مـثـ   ـل البوم عشش في الدمنْ
إنـــا لأعـــداء الـــجـــمـــو   د وواضـعـوه فـي الـكـفـنْ

* * *

يا أيها الضيف العزيـ   ـز نعمت بالعيش الحسنْ
يا مؤنس المصري في   حلب وما ننسى المننْ
صدر الشآم حنا عليـ   ـك ومصر لو تدري أحنّْ
بردى لنا، وصباه والـ   ـجنات والطير المرنْ
والأرز والطود المعصَّـ   ـب بالجلال المطمئنّْ
والـنـيـل نـهـركـمُ ومـا   زان الـخـمـيـلـةَ والـفـنـنْ
والـقـوم أهـل والـقـرى   وطـن عـطـوف والـمـدنْ

إلى أمينة[١]

أَرَبَّاه أنقذني فأنت رميتني بقلبٍ على الأشواكِ والدم مشاءِ
«أمينة» هذا ما أتاني كتبته وعندك أخباري وعندك أنبائي

---

[١] قرأ الشاعر — وهو جالس على شاطئ كليوباترة مع صديق له — رسالة بعثت بها كاتبة تسمى «أمينة …» تقول فيها: أنها إنها قرأت قصيدة للشاعر زكي مبارك مطلعها:

أرباه أنقذني فأنت رميتني بقلب على عهد الأحباء بكاء

وهي تريد تغيير عجز هذا البيت: فكتب ناجي هذين البيتين.

تحت الباب

أقبلتُ أطرق منزل الأحبابِ ودسست هذا الشِّعرَ تحت البابِ[1]

أترى أكون بثثت شوقي كلَّه وشرحت حالي يا أولي الألباب

يا جارة «الوادي» إذ الوادي أخي وكريم «إحسان»[2] ولطف صحابِ

قسمًا بموصول المودة بيننا هذي الزيارة لم تكن بحسابي

قد يجمع الله الشتيت ويلتقي ناءٍ بناءٍ طول غيابِ

---

[1] ذهب الشاعر لزيارة بيت أخيه محمد، وعند خروجه عرج على جارته الشاعرة زينب محمد حسني، وطرق الباب فلم يجدها، فترك لها هذه الأبيات (عن مخطوطة عندها).

[2] هي زوجة أخيه.

تكريم[1]

يا صفوة الأحباب والخلَّان ... عفوًا إذا استعصى عليَّ بياني

الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ ... هي فوق آي الحمد والشكرانِ

وأنا الذي قضَّى الحياةَ معبِّرًا ... ومرجِّعًا لخوالج الوجدانِ

أقفُ العشيةَ بالرِّفاقِ مقصرًا ... حيران قد عقد الجميلُ لساني

يا أيها الشعر الذي نطقتْ به ... روحي وفاض كما يشاء جناني

يا سلوتي في الدهر يا قيثارتي ... ما لي أراكِ حبيسة الألحان؟

أين البيان؟ وأين ما علمتني ... أيام تنطلقين دون عنانِ؟

نجواك في الزمن العصيب مخدِّرٌ ... نامت عليه يواقظ الأشجانِ

والناسُ تسأل والهواجسُ جمةٌ ... طبٌّ وشعرٌ كيف يتفقان؟

الشعرُ مرحمة النفوسِ وسِرُّه ... هِبةُ السماءِ ومِنحةُ الدَّيانِ

والطبُّ مرمحة الجسومِ ونبعُهُ ... من ذلك الفيضِ العليِّ الشانِ

ومن الغمام ومن معينٍ خلفَهُ ... يجدان إلهامًا ويستقيان

يا أيها الحبُّ المطهرُ للقلو ... ب وغاسل الأرجاس والأدران

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما ... يشدو بها روحان يحترقان!

[1] قالها الشاعر في حفلة تكريم أقامها له أصدقاؤه بمقصف «سان جيمس» بالقاهرة عقب صدور ديوانه «وراء الغمام».

أنفا من الدنيا وفي جسديهما ذُلُّ السجين وقسوة السجانِ
فتطلعا نحو السماءِ وحلَّقا صُعُدًا إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلفَ الغمامِ وأترعا كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ
اكتبْ لوجه الفَنِّ لا تعدلْ بهِ عَرَض الحياةِ ولا الحطام الفاني
واستلهم الأمَّ الطبيعةَ وحدَها كم في الطبيعةِ من سَرِيٍّ مَعانِ
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرُها ما حاجة الشعراءِ للتيجانِ
«هومير» أمَّرهُ الزمانُ لنفسه وقضت له الأجيالُ بالسلطان
اهبطْ على الأزهار وامسح جفنَها واسكب نداك لظامئٍ صَدْيانِ
في كلِّ أيكٍ نفحةٌ وبكل رو ضٍ طاقةٌ من عاطر الريحانِ

عجبًا!

يا هاجري، يا من هجرتَ بلا سببْ
أترى العقاب بغير إثـــم قــد وجــب؟
عجبًا لقرص الشمس في البيت احتجب!
عجبًا ... لأعجب ما يكون من العجب!

بعد اعتزال الأدب[1]

صديقيَ «سعفانُ» ألفَ سلامْ ولا زلتَ صاحبيَ المرتقبْ
ستعجب من صورتي هذه ألم تر أني اعتزلت الأدب؟

[1] كتب الشاعر هذين البيتين على صورة له أهداها لصديقه «السيد مجد الدين سعفان» خلال الفترة التي اعتزل فيها الشعر، وقد بدا له يومئذٍ أن صحته قد تحسنت بعد اعتزال الشعر. وتاريخها ١٦/٦/١٩٣٥

أمير الكمان

تحية لأمير القيثارة سامي الشوا

آه مــن لــحــنٍ ســمــا   وي عـجـيـب الـنـغـمـاتِ
أيـهـا الـسـاحـر لـم تـضـ   ـرب بـقـوس، بل عـصـاة
يـا أبـا الـفـن الـمـصـفـى   هــات ألــحــانــك هــات
في شطوط النيل، مهد الـ   ـفـن، مـهـد الـمـعـجـزات
«الصبا» في ريح «لبنا   ن» رقـيـق الـنـفـحـات
«وحــجــاز» راقــص أو   هات من «شط الفرات»
نـحـن أبـنـاء الـمـعـالـي   نــحــن أبــنــاء الــغــزاة
غـنـنـا لـحـن أبـيـنـا الـ   ـشرق، واهتف بالحُماة
هاتِ لحنَ الشرق، ما أجـ   ـــدره بــالــعــبــرات!
هو أرض المجد، أرض الـ   ـخـلـد من بدء الـحـيـاة
هات لحن الشرق هات ...   هـاتِ لـحـن الـشـرق هـاتِ
رُب لــحــن قــدســيٍّ   مـن جـنـان الـخـلـد آتِ
جـعـل الأرواح فـي هـيـ   ـــكــلــه مــزدحــمــات
حـشـدَ الـعـالـم كـالـعُـبَّـ   ـــاد قــامــوا لــلــصــلاة
جَـمَـعَ الـنـاسَ على الـحـ   ـبِّ وأدنـى مـن شـتـات

شفاء ... وشفاء[1]

إن يكن «مظهرُ» يا زيـ	ـنب رب المعجزات
مِبْضَعٌ يأسو ويشفي	في الأكف الشافيات
وفتى كالملَكِ السا	حر حلوُ الكلمات
وله مجد المجدِّيـ	ـن وأقدار الثقات
فوق أخلاق كريما	ت رقاق محسنات
إنه يَشفِي ... وتَشفي	زينبٌ بالبسمات
أبدًا دأبكما الخا	لد بعثٌ للحياة
ومسير الرحمة الكبـ	ـرى كما في النسمات
فاهنآ، إنكما حـ	ـقًّا سواء في السمات

[1] نظم الشاعر هذه الأبيات ردًا على أبيات أخرى من الروي نفسه للشاعرة «زينب محمد حسين» تمتدح بها الدكتور مظهر عاشور. وفي البيت الأول إشارة إليها. وقد عثرنا على هذه الأبيات في عدد ٢٩ مايو سنة ١٩٥١ من جريدة البلاغ.

تحية لضوحية

إليكِ يا ضوحيتي   أبـعـث بـالـتـحـيـةِ
تـحـيـةً مـن قـلـمـي   ومثلَها من مهجتي
إنـك كـالـزهـرة فـي   جـمـالـهـا والـرِّقـة
تقبَّلي من روضة الـ   أشـعـار خـيرَ زهـرةِ
عـبـيـرُهـا خـواطـري   ومـلـؤُهـا مـحـبـتـي

حبان[1]

كرقة طبعك، كالنسمة ومن شاطئ البحر، ضَوْحِيَّتِي
أزف إليك جميلَ البيان وأوجزُ حبِّيَ في لفظةِ
أحبكِ حُبَّين: حب ابنتي وحبي لما فيك من رِقة

[1] أبيات أرسلها الشاعر من الإسكندرية لابنته ضوحية.

في معبد[1]

دنا الموعدُ والغرفـ ـةِ وكر للمواعيدِ
وجاءت ربَّة الحسن كمزمور لداوودِ

***

فرفَّ البشرُ في الصمت الَّـ ـذي خيم في الغرفهْ
وثارت حيرتي الهوجا ء بين الفجر والعفهْ

***

وثارت ... آه من ثور ة هذي اللهفة الحرَّى
هنا الحسن الذي يدعو ك في بسماته السكرى

***

وهذا الجسم يا ظمآ ن في دارك كم يغري
أطهرًا تدعي اليوم؟ فماذا نلت من طهرِ؟

[1] نظمت بالإسكندرية في يناير ١٩٤٨.

* * *

هنا الحلم الذي أبصر　　تَ في غفوة حرمانكْ
هنا الكأسُ التي تزري　　بما جمَّعت في حانكْ

* * *

هنا اللهبُ الذي جُسِّـ　　ـد في نهدٍ وفي ساقِ
على مذبحه المعبو　　دِ قدم طهركَ الباقي

* * *

نداءٌ بين عينيك　　كهذا الليلِ مجهولُ
يجاوبه حنينٌ ثا　　ر في قلبيَ مخبولُ

* * *

فقلت الليل يا من كنـ　　ـت عند الليل قربانا
لنغرقْ في دخان الجسـ　　ـمِ أشجانًا وحرمانا

* * *

فنام الضوء خجلانًا　　على مصباح نشوانِ
قريرا لا تنبهه　　سوى أنات تحنان

* * *

وكان الليل مرتميًا　　على النافذة الوسنَى
تلصَّصَ خلسةً يرنو　　إلى معبدنا الأسنى

* * *

فشاع السرُّ بين الليـ　　ـل والأنجم والزهرِ
وإذ بالفجر بسامًا　　إلى إلفين في خدرِ

لمن الصمت؟[1]

لمنْ الصمتُ والفؤاد المشرَّد؟ أين من أسكر الربى حين غرَّدْ؟
طائر ... أم رأت عيون الأماني حُـلُـمًـا مـثـل غـيـره قـد تـبـددْ
أم قـنـاع قـد مـزقـتـه الـلـيـالـي عن هوى دون طائل فتجردْ
وبـدا شـاحـبًـا كـيـوم قـتـيـلٍ لم يكد يلثم الصباحُ الموردْ
ليت شعري، إلام إطراق رأسي وانحنائي على جريح موسدْ؟

[1] وجدت هذه الأبيات بين أضابير ناجي على بطاقة طبية، ويبدو أنها المحاولة الأولى في نظم «غيوم» الواردة بهذا الديوان، بدليل تكرار بعض الأبيات في القصيدتين.

القرية[1]

حبذا الريف والخلائق فيه ضاحكات الوجوه تفترُّ سحرا
من يراه وقد تبيَّن فيه زمرًا في الزَّحام تحشر حشرا
يحسب الضيق آخذًا في حماه بخناق، ويحسب القوم أسرى
وهم النور والمحبة والقلـ ـب طليقًا مع النسائم حُرا
منظر تلمح البساطة فيه وترى طيبةً وبشرًا وطهرا
منظرٌ تلمح السعادة فيه لا تقل لي أرى شقاء وفقرا
انظر الجرة التي خلفوها وانظر النيل ضاحكًا مفترا
عبدوا النيل مذ قديم وألقوا كل عام له عروسًا بكرا
مصر سحر ورقَّة وصفاء لِمَ لا يعبد المحبون مصرا؟

[1] عثرنا بهذه القصيدة في العدد الأول من المجلد الثاني لمجلة العمارة «سنة ١٩٤٠» كتصوير شعري للوحة الفنان محمود سعيد، التي تمثل بعض بنات الريف في طريقهن إلى النيل لملء الجرار.

عازفة البيانو[1]

ليس البيانو الذي راحت تحركه	يداك، أطوعَ من قلبي وأفكاري
لمستِهِ فتمشَّى السحر بي، فكما	تـهـتـز أوتـاره تـهـتـز أوتـاري

[1] ارتجل الشاعر هذين البيتين وهو يستمع إلى حرم صديقه الأستاذ عدلي فرج المحامي تعزف البيانو مساء يوم ١٥/٣/١٩٥٣ أي قبل وفاته بعشرة أيام.

سرب من الحور[١]

سرب من الحور الفوا	تن كالزهور نواضرُ
ألهمنني وأحطن بي	فجرى بشعري الخاطر
ألهمنني وشككن بي	ونسين أني شاعر
فإذا اعترفن فإنني	للفضل دومًا ذاكر
وأنا لـ «فلَّة» عارفٌ	وإلى «أمينة» شاكر

[١] كان الشاعر في حفل بجمعية نسوية سنة ١٩٥٠ فالتف حوله سرب من الفتيات يسألنه هل يستطيع أن يرتجل شعرًا؟ فقال هذه الأبيات.

سباق

فـجـرٌ أطـلَّ عـلـيَّ بـالإشـراقِ والـقـلـب يـحـفـزني لـيـوم تـلاقـي
فطردتُ ثقل السهد لا ثقل الكرى قـلـبـي بـوثـبـتـه يـسـابـق سـاقـي
عيناي أم قلبي أم القدم التي حثَّت خطاها في مجال سباق
هـذا قـلـيـل قـد شـرحـت دفـيـنـه وعلى ذكائك أنت فهم الباقي

فجر جديد

فـجـرٌ جـديـدٌ حـالـم خـفـاقْ
لـمـا يـزلْ فـي عـالـم الآفـاقْ

توهـان فـي غـمـم الـدجـى قـلـقُ
بحنينه ... بالحب ... بالأشواقْ

ويـود لـو ضـاق الـظـلام بـه
فـيـهـب مندفـعًـا من الأعـمـاقْ

مـتـحـررًا مـن قـيـد ظـلـمـتـه
يرنو بعمق الروح ... بالأحداقْ

فـيـحـس لا شـيء يـنـازعُـهُ
ويحول عنه الكون إذ ينساق

لا شـيء مـلـتـفـا يـعـانـقـه
غير السنا في ضوئه البراق

فـيـغـيـب فـي أحـضـانـه ثـمـلًا
ويعب من فيض الهوى الدفاق

بـانـت لـه الـدنـيـا عـلـى قـلـق
«مشتاقة تهفو الى مشتاق»

نحو المجد[1]

يا أم مَن تستصرخين؟ من الذي قدح اللظى الموَّار في عينيكِ؟
يا أم هل تمشين نحو النار، أم فُتح الوغى ومشى الجحيم إليك؟
ما حلَّ بالحرية الحمراء؟ هل سال الدم القاني على قدميكِ؟
يا ويلها من صرخة مجنونة ضجتْ لها الآفاق من شفتيك
لا تجزعي يوم الفداءِ فكلنا مهج تحلق كالنسور عليك
فتلفتي تجدي عرينَكِ عامرًا وتسمَّعي، كم قائل لبيكِ!
وقف الشباب فداء محراب الحمى وتجمَّع الأشبال بين يديكِ
والصقر تاجك، تاج فرعون الذي جعل الشموسَ الزهرَ في كفيكِ
والمجدُ تاجُكِ والسهى لك موطنٌ والشهبُ والأقمارُ في نعليكِ
يا مصر أنت الكونُ والدنيا معًا وعظائمُ الأجيالِ في تاجيكِ

[1] عثرنا بهذه القصيدة في العدد (٧و ٨) من المجلد الثاني لمجلة العمارة «سنة ١٩٤٠» كتصوير شعري لتمثال الفنان فتحي محمود، الذي يمثل امرأة قوية في يسارها درع، وفي يمينها سيف مشهر، وعلى قاعدة التمثال مجموعة من المحاربين.

قدر[1]

لا تُدمني نظرًا إليَّ، فوالذي　　جعل الهوى قدرًا على كفيك
ما تلتقي عيني بعينك لحظةً　　إلا رأيت صباي في عينيكِ

[1] عن مخطوطة قدمتها إلينا الآنسة ضوحية، كريمة الشاعر.

اعتذار[١]

أبـعـث الآن اعـتـذاري وأنـا حاضرٌ بالقلب والروحِ معكْ
لك ظلٌّ مقتفٍ في خاطري حيثما سرتَ مضى فاتبعكْ
أنـا لا أومـن بـالـبـعـد ولا أحسب المقدور مني نزعك
أنت لا تبرح عيـنـي، فلذا لا تراني اليوم فيمن ودَّعك

[١] هذه الأبيات رواها لنا الأستاذ عبد اللطيف محمد رئيس محكمة جنايات مصر سابقًا. وقصتها أنه كان قاضيًا بالمنصورة، وناجي يومئذ طبيب بها، ثم نقل الأستاذ إلى القاهرة، ودعا أصدقاءه قبل الوداع إلى حفل صغير تخلف عنه ناجي وبعث بهذه الأبيات معتذرًا لظروف قاهرة.

فرحتان[1]

قد زُرتُ أيكك بعد أن طال النوى — وإليه كنتُ محلقًا بخيالي
يا من جروا في البال، ما برحوا به — أترى جرينا عندكم في البال؟
عهد مضى بين الهواجس والمنى — والنفس بين تعجب وسؤال
حتى رجعت كأنما رجع الصبا — لي بالأزاهر والربيع الحالي
فإذا بقلبي فرحتان: فهذه — بلقاك أنت، وفرحة ب «جلال»

[1] هذه الأبيات تلقيناها من الأديب السكندري نقولا يوسف، الذي روى أن ناجي نظمها عند زيارته للشاعرة جميلة العلايلي حين رزقت مولودًا أسمته «جلال».

مداعبة[1]

يا قرَّة العينين يا «تملي» يا واسع التدبير والحيلِ
يا خالع الضرسين في سنة ومعقم الآلات في «الحلل»

[1] داعب ناجي بهذه القصيدة صديقه الدكتور تملي قلدس، طبيب الأسنان، وقد ضاعت بقية القصيدة.

في رثاء مطران

يا نفس إن راح الخليلُ وعنده	ورد الخليل فعجِّلي برحيلي
حملوا على الأعواد فنًّا خالدًا	وا رحمتاه لكوكبٍ محمولِ!
هو مصرعٌ للعبقريةِ روَّعتْ	في عرشِها والتاجِ والإكليلِ

يا بحر[1]

يوم أبحرتُ فوق متنكِ تهوي بيَ أمواجك الغضاب وتعلو
راعني حولُك الرهيب فخارت عزماتي ولم يعد ليَ حول

* * *

وترنحتُ بين جنبيك تلهو بِي فتطغَى آنًا وتهدأ آنا
كانت القطرة الضئيلة من لُـ ـجِّك أمضى مني وأخطر شانا

* * *

وأنا اليوم أجتليك من الشا طئ تُزجي الأمواج مثل الجبال
فإذا بي أثور مثلك يا بحـ ـر وتنزو الأمواج في أوصالي

* * *

هو روحي الذي يحاكيك في البأ س ولكن يؤوده عبء جسمي
فإذا ما اجتلاك والجسم غفلا نُ توخَّاك في مضاء وعزم

[1] هذه أبيات من قصيدة يبدو أن أكثرها قد ضاع.

* * *

هو روحي الذي يحاكيك يا بحــ ــرْ ويخشى قلبي الجزوع أذاكا
ضعضع الجسم عزم روحي المُعَنَّى يا أخا الروح بُث فيه قواكا

الربيع[1]

مرحى ومرحى يا ربيع العامِ أشـرق فـدْتـك مـشـارقُ الأيـامِ
بعد الشتاء وبعد طولِ عبوسه أرِنـا بـشـاشـةَ ثـغـرِكَ الـبسَّـامِ
وابعث لنا أرجَ النسيمِ معطرًا مـتـخـطـرًا كـخـواطـر الأحـلامِ

[1] مطلع قصيدة ضاعت بقيتها.

تحية[1]

للأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة

متى نلتَها كانت لأنفسنا منَى تلفتْ تجد مصرًا بأجمعها هنا
وما بعجيب موطن البدر في العلى وما بجديد أن يرى الأفق مسكنا
ولكنَّ قلب الحر تعروه نشوةٌ فيثني على الآلاء وضاحة السنا
إذا أخذ البدرُ المنير مكانه ومُلِّكَ آفاقَ السما وتمكنا
فذلك تكريم الربيع لروضِهِ جلاها الأباظيون وارفة الجنى
أجلْ روضة صارت لكل عظيمة وللفضل والآداب والعلم موطنا
وميدان سباقين للمجدِ والعلى إذا اشتجرت أخرى الميادين بالقنا
من الأدب العالي إذا راح سيد غدا آخرٌ نحو اللواءِ فما ونى
عصيُّ القوافي سار نحوك مسرعًا ولبَّاك من أقصى الفؤاد وأذعنا
وأنت الذي فك القيودَ جميعَها عن الشعر تأبى أن يهان فيسجنا
إذا المعدن الصافي دعا الشعرَ مرةً بذلنا له من أجود الشعرِ معدنا

[1] أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفلة تكريم أقيمت بدار الأوبرا للأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة في إحدى المناسبات.

دسوقـي إذا أقللتُ فـاقبل تـحيتـي فـمـا أنـا شـاديـهـم ولا خـيـرهـم أنـا
ولـكـنـنـي صـوت الـمـحـبـيـن كـلـهـم ومن روضك الغالي وبستانهم جَنَى
فـراش عـلـى مـصـبـاح مـجـدِكَ حـائـم وأي فـراش مـن جـلالـك مـا دنـا
وإني صدى الهمس الذي في قلوبهم فـدعـنـي أقـم عـمَّـا يـكـنـون مـعـلـنـا

البندر[1]

انـظـر وجـوهَ الـقـومِ غـرَّ | تـهـا بـزيـنـتـهـا الـمـديـنـهْ
مـسـكـيـنـة بـلـهـاء لا | تـدري الـزمـان ولا فـنـونـهْ
يـا مـن يـغـرِّبـهـا إذا | أرست لصاحبها السفينهْ
الأفْـق مـضـطـرب الـحـوا | شـي والـسـمـاء بـهـا حـزيـنـهْ
لا تـحـسـن الـدنـيـا إذا | مـا الـمـرء جـن بـهـا جـنـونـهْ
وطـغـتْ مـنـافـعـهُ عـلـيــ | ــه وصـرن دنـيـاه وديـنـهْ
الـعـيـش حيث الـحـب، حيــ | ــث العطف صاف والسكينهْ

[1] عثرنا بهذه القصيدة في العدد الأول من المجلد الثاني لمجلة العمارة (سنة ١٩٤٠) كتصوير شعري للوحة الفنان محمود سعيد المشهورة «بنات بحري» التي تصور ثلاثًا من حسان الإسكندرية، بنات البلد، في براقعهن الهفهافة وملاءاتهن السود المحبوكة على أجسامهن.

دعابة[1]

قد هنأوك بمجد الإسباني فمتى تكون مصارع الثيرانِ؟
أمنحت أوسمة، ومجدك أول ماذا يهمك من وسام ثانٍ؟
إني أهنيك الغداة لأنني أهواك من قلبي ومن وجداني
إن المقطم والزمان كليهما الخالدان، وكل شيء فان

[1] هذه الأبيات تلقيناها من الأديب السكندري نقولا يوسف، الذي روى أن ناجي نظمها تهنئة للأستاذ وديع فلسطين (رئيس تحرير المقطم يومئذٍ) حينما أنعمت عليه الحكومة الإسبانية بوسام الاستحقاق المدني.

عيد «سونيا»

يـا أبـا الأشـواق غـنِّ وانـقـل الألـحـان عـنـي

إن «سونيا» ذات حسن ضـارب فــي كـل فــن

إيه «سونيا» هجتِ شوقي وشـجـونـي والـتـمـنـي

إن تـغـنـيـنـي فـإنـي طـائـر فـي كـل غـصـن

إنـنـي بـالـحـسـن أدعـى وأغـنــي كـل حــســن

إيه «سونيا» ذاك يومي فاسكبي لي، لا تضني

أفرغي سحر الهوى في خـاطـري مـن كـل دن

إنـمـا عـيـدك عـيـدي وهـو يـوم فـوق ظـنـي

لا أهـنـيـك ... ولـكـن كـل مـخـلـوق أُهـنـي

كيف أنساك؟

إيه «سونيا» أنت الرضا والحنانْ كيف ضاءت بك الليالي الحسانْ؟!

وغدا الدهر لحظة من سلام وإذا كل ما عليه أمانْ

لا أرانا فيه خُدعنا إذا ما بك عز الهوى وفات الهوانْ

كيف أنساك إذ نسيتُ شقائي وعذابي، وليس بي أشجانْ

وإذا بي أرى لعينيك دنيا خير ما فكرتْ به عينانْ

خشوع

جمالك الهادئ الرزينْ	وسحرك الواضح المبينْ
أبدع ما مرَّ في خيالٍ	وخير ما أبصرت عيونْ
وسرَّه أنت تجهلينْ	وكيف لو كنت تعلمينْ؟!
وكيف أضنى القلوب منا؟!	وكيف جئناه طائعين؟!
وكيف نلقاك في سرور؟!	وكيف نلقاه خاشعين؟!

دنيا

إيه «سونيا» ... إيه سونيا أنت دنيا ... أنت دنيا
أنت دنيا الحسن لكـ ـنَّ سماواتك عُليا
بك يلقى القلب ريًّا وبك الأنفاس تحيا
قد نسينا وطوينا كل ما قبلك طيًّا
كل من يلقاك لا يذ كر في الأيام شيَّا
غير «سونيا» إن «سونيا» هي دنيا، أي دنيا!